Rashid - Al Jumaily
Baghdad - University

The Atabck's Dynasty In Mosul After Imad Al - Din Zanki

(541. A. H - 631. A. H)

Published With the contribution
Of the Baghdàd University

1970

DAR AL - NAHDAH
AL - ARABIYAH
Beirut - Liban

رشيد الجميلي

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

دولة الأتابكة في الموصل

بعد عماد الدين زنكي

٥٢١ هـ ـ ٦٣١ هـ

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الطبعة الاولى

١٩٧٠

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت ـ ص.ب ٧٤٩

رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي
حازت على مرتبة الشرف الأولى
من كلية الآداب - جامعة الاسكندرية
يوليو - تموز سنة ١٩٦٨

مقدمة

بقلم الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم
أستاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية المساعد بجامعة الاسكندرية

ليس من عادتي أن أقدم لاحد من الباحثين الناشئين من تلاميذي . ولكن الامر مع السيد رشيد الجميلي صاحب هذه الرسالة يختلف لعاملين : الاول أنه كان من أبرز تلاميذي الذين تخرجوا من جامعة بيروت العربية في سنة ١٩٦٥ . لمست فيه منذ السنة الاولى من التحاقه بالجامعة المذكورة ميلا واضحا للتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية . وثبت لي في السنوات التالية أن لديه طاقة كبيرة على التحصيل والاستيعاب . والثاني أنني توليت الاشراف على هذه الرسالة التي تقدم بها للحصول على درجة الماجستير في الآداب من كلية الآداب جامعة الاسكندرية منذ ما يقرب من عامين وبضعة أشهر ونالت مرتبة الشرف الاولى باجماع اعضاء لجنة المناقشة .

وموضوع الرسالة «دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي» لم يحظ بعد بما يستحقه من عناية الباحثين على الرغم من أن عصر زنكي نفسه كان موضوعا محببا لديهم . طرقوه وعالجوه في عدد من البحوث الهامة ، باعتباره البطل الحقيقي لحركة الدفع الاسلامي والجهاد ضد القوى الصليبية في الشام ، ولكن هؤلاء المؤرخين لم يولوا عصر خلفائه نفس الاهتمام الذي أولوه لعصر زنكي الا ما كان له علاقة بعصر نور الدين وصلاح الدين اللذين خلفا زنكي في حمل راية الجهاد الاعظم ضد قوى الصليبيين بقصد تحرير قلب العالم الاسلامي من آثار عدوانهم .

وهكذا جاء اختيار السيد رشيد الجميلي لهذه الفترة موضوعا لرسالة للماجستير موفقا كل التوفيق ، وبدلا من أن يتبع المنهج التقليدي الشائع،

وأعنى به المنهج الموضوعي الذي يعالج فيه تاريخ أتابكية الموصل عن طريق دراسة عهود اتابكتها واحدا اثر آخر . نحا في هذه الرسالة نحوا يشف عن أصالة وابتكار . فقد استعرض أحداث الاتابكية من خلال دراسته لعلاقاتها السياسية مع القوى الاسلامية المجاورة . فعقد على هذا النحو فصولا عالج فيها علاقة الموصل بحلب ودمشق في عصر نور الدين . ثم علاقاتها بالقاهرة ودمشق في عصر صلاح الدين وخلفائه . وعلاقاتها بالسلاجقة والخلفاء العباسيين في بغداد . دون أن يغفل مع ذلك كله دور الموصل في المشاركة في حركة الجهاد ضد قوى الصليبيين . ومدى الدور الذي قامت به الموصل في المجال الحضاري في العصر الاتابكي .

وقد قسم السيد رشيد الرسالة قسمين رئيسيين ، خصص الاول منهما لدراسة تاريخ الاتابكة السياسي ممثلا في علاقاتها مع القوى الاسلامية المجاورة وأفرد القسم الثاني من رسالته لدراسة حضارة الموصل في العصر الاتابكي مستعرضا نظم الحكم والادارة في الاتابكية . ثم تطرق الى دراسة تخطيط الموصل نفسها وأهم منشآتها المعمارية في العصر الأتابكي ، ثم انتقل الى عرض صورة المجتمع الموصلي في الفترة المذكورة بطبقاته وعاداته. ثم تناول الوضع الاقتصادي من حيث الجهود التي بذلها الاتابكة في المجالين الزراعي والصناعي . واختتم رسالته بفصل بحث فيه تطور الحركة العلمية في الموصل مع الاهتمام بوجه خاص بالمؤسسات التي أسهمت في النهوض بالحياة العلمية كدور الحديث والمدارس والاربطة .

وبعد ، فقد أسعدني كثيرا أن يتولى السيد رشيد نشر هذه الرسالة الممتازة . وهو بذلك قد هيأ المجال لكي تقتنيها المكتبات العربية في مختلف أنحاء العالم العربي فيفيد منها الباحثون وأولو العلم ، ونحن اذ نهنئه بهذه الخطوة نتمنى له دوام التوفيق ؟

بيروت في تموز ١٩٧٠ **دكتور عبد العزيز سالم**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(آ)

موضوع الرسالة

موضوع دولة الاتابكة في الموصل من الموضوعات التاريخية الحية، التي توضح الدور الهام الذي لعبه الاتابكة على مسرح أحداث الشرق الادنى الاسلامي ، في القرنين السادس والسابع الهجريين ، في فترة من اشد فترات العالم الاسلامي تحرجا ، اذ تعرض فيها لحركة استعمار دولي واسعة النطاق ، اتخذت من الدين ستارا لها ، ونجحت في تحقيق اهدافها السياسية ، بتكوين أربعة امارات صليبية في قلب العالم الاسلامي ، مستغلة تدهور نفوذ السلاجقة ، وعجز الخلافة العباسية بالشرق من ناحية ، وانحلال الخلافة الفاطمية في مصر والشام من ناحية اخرى .

وأحس المسلمون امام هذا الخطر الصليبي ، الذي يهدد بلادهم انه لا سبيل لصد العدوان ، وطرد المغتصب الا بتضامن القوى الاسلامية وتماسكها والوقوف وقفة رجل واحد في وجه الصليبيين .

وفي خصم هذه الاحداث ، برزت شخصية عماد الدين زنكي مؤسس دولة الاتابكة في الموصل ، في طليعة القرن السادس الهجري ، ويسجل

ظهوره بداية مرحلة جديدة في تاريخ الشرق الادنى الاسلامي . فقد عزم على رفع راية الجهاد . ضد الصليبيين في الشام، ولكنه اصطدم بحالة التمزق والتفكك السياسي . التي كانت تسود العالم الاسلامي يومئذ . فأدرك حتمية تجميع القوى الاسلامية . وحشد طاقاتها في الجزيرة العراقية والشام . قبل القيام باي خطوة ايجابية لمواجهة العدوان الصليبي . وحتى لا يدع للاعداء الفرصة في أن ينفذوا من تلك الثغرة . ويحققوا مخططهم البغيض .

وهنا يظهر الدور الهام . الذي لعبته اتابكية الموصل . في هذه الفترة الحرجة . من تاريخ الاسلام . كمنطلق لارساء دعائم الوحدة . بين الامارات الاسلامية ، وتضافر الجهود لمناهضة القوى الصليبية في بلاد الشام . وتجلت تلك الوحدة في اوضح معانيها ، عندما شاركت عساكر الموصل والجزيرة العراقية ، في قتال الصليبيين جنبا الى جنب ، مع عساكر الشام ، في عهد نور الدين ، ثم مع جحافل مصر والشام ، في عهد صلاح الدين .

وموضوع دولة الاتابكة في الموصل ، لم يحظ بعناية المؤرخين المحدثين ، باستثناء شخصية عماد الدين زنكى ، (1) وولده نور الدين في الشام (2) ، بحكم مواجهة الاخير للصليبيين ، ولعل ذلك هو السبب

(1) بحث هذا الموضوع في رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي قدمها السيد عماد الدين خليل الى جامعة بغداد في سنة ١٩٦٥ . تناول فيها المؤلف عصر زنكي منذ نشأته حتى وفاته ، كذلك تناول الاستاذ سعيد الديوهجي تاريخ الموصل في العهد الاتابكي ، وأولى اهتماما خاصا بالناحيتين، العلمية والعمرانية في كتابه : الموصل في العهد الاتابكي ط بغداد ١٩٥٨ وبحوث عديدة اخرى عالج فيها النواحي العمرانية والاقتصادية .

(2) من اهم الكتب التي تناولت عصر نور الدين وجهاده ضد القوى الصليبية في الشام كتاب : نور الدين والصليبيون للاستاذ الدكتور حسن حبشي (ط مصر ١٩٤٨) .

الذي دفعني ، الى اختيار هذا الموضوع ، ودراسة دولة الاتابكة بعد عماد الدين ، دراسة تاريخية شاملة ، من خلال علاقاتها السياسية ، مع القوى الاسلامية المجاورة ، ودراسة حضارية ، من خلال نظمها في الحكم، مع تصوير بعض مظاهر حضارتها ، التي تنعكس في كل من الناحيتين العمرانية والعلمية •

ولقد قسمت البحث الى قسمين رئيسيين ، افردت القسم الاول ، للاحداث السياسية ، ممثلة في علاقات دولة الاتابكة مع جاراتها من الدول والامارات الاسلامية ، وبدأت هذا القسم بدراسة تمهيدية ضمنتها نشأة دولة الاتابكة في الموصل ، وتعرضت في هذه الدراسة ، لاصل البيت الاتابكي في الموصل ، وعلاقة قسيم الدولة آق سنقر والد عماد الدين زنكي بسلاطين السلاجقة ، واخلاصه لهم حتى مصرعه في ٤٨٧ هـ ، كما تناولت بالحديث عن نشأة عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الاتابكية في الموصل ، متتبعا الاحداث التي اعقبت مصرع أبيه ، حتى توليته على الموصل في سنة ٥٢١ هـ ، وقد استعرضت ايضا جهود زنكي ونضاله في توحيد الجبهة الاسلامية ، ومناوئته للصليبيين في الشام ، حتى مصرعه في قلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ ، وانقسام دولته بين ولديه سيف الدين غازي في الموصل والجزيرة ، ونور الدين محمود في حلب •

اما الفصل الثاني ، فقد بحثت فيه العلاقات السياسية ، التي كانت سائدة بين أتابكية الموصل ، واتابكية حلب ، حتى وفاة نور الدين محمود في سنة ٥٦٩ هـ •

وفي الفصل الثالث ، تناولت العلاقات بين الاتابكة والايوبيين ، في عهد صلاح الدين ، مبينا الصراع الذي نشب بين صلاح الدين وخلفاء

زنكي في الموصل . تتيجة للسياسة التي انتهجها صلاح الدين . والتي تهدف الى توحيد الجبهة الاسلامية. تمهيدا للجهاد الاعظم ضد الصليبيين.

أما الفصل الرابع . فقد افردته لدراسة العلاقات بين اتابكة الموصل وخلفاء صلاح الدين في الشام . ومحاولات الاتابكة استعادة نفوذهم في بلاد الجزيرة . وصراعهم مع الملك العادل . ثم استعانة بدر الدين لؤلؤ بالايوبيين ضد الحلف القائم بين مظفر الدين كوكبوري . وعماد الدين زنكي . وما تبع ذلك من حروب .

وفي الفصل الخامس ، تحدثت عن العلاقات بين الاتابكة والسلاطين السلاجقة ، ومع الخلفاء العباسيين في بغداد ، موضحا ضعف النفوذ السلجوقي بعد وفاة السلطان مسعود . وتدخل الاتابكة في النزاع بين السلاجقة انفسهم ، ثم حرص اتابكة الموصل في الابقاء على الولاء الروحي للخليفة ، وتطور العلاقات مع بغداد ، حتى نهاية حكم أسرة زنكي على الموصل في سنة ٦٣١ هـ .

اما القسم الثاني من البحث ، فقد خصصته لدراسة مظاهر الحضارة في الموصل في العصر الاتابكي ، ويشتمل هذا القسم على اربعة فصول ، عالجت في الفصل الاول منها ، نظم الحكم والادارة في الاتابكية ، فتحدثت عن ــ الاتابك ، واختصاصاته ، ووظيفة نائبه في القلعة ، ثم وظيفة الوزير، والحاجب ، كما تحدثت عن النظام القضائي ، والنظام الحربي ، بقدر ما استطعت جمع مادة هذا القسم . المتناثرة ، فيما اوردته المصادر العربية من روايات تاريخية شائكة الاحداث .

وفي الفصل الثاني من هذا القسم ، تناولت دراسة مدينة الموصل

نفسها ، وبدأت ذلك بالحديث عن طبقات السكان ، وطوائفهم الدينية . ثم عالجت خطط المدينة واحيائها وارباطها ، وشوارعها ، وميادينها . ولم يفوتني في هذا الفصل ، أن أخصص قسما للمنشآت التي اقيمت في الموصل في العصر الاتابكي ، سواء كانت هذه المنشآت دينية ، كالمساجد والربط ، او حربية كالقلاع والاسوار .

وفي الفصل الثالث . تناولت الحياة الاقتصادية في الموصل . من حيث الزراعة ، والتجارة . والفنون . والصناعات ، ولم اغفل في هذا الفصل الحديث عن الحرف التي اشتهرت بها الموصل ، وذاع صيتها في العالم كله. ومن بين تلك الحرف صناعة النسيج . والخزف . والتحف المعدنية ، وفنون التصوير . والنحت .

وانهيت القسم الخاص بالحضارة . بفصل افردته للحياة العلمية ، موضحا الدور الهام الذي ادته المدرسة الموصلية ، في نهضة العلوم ، ونبوغ الاسرات العلمية . التي تألقت في سماء الفكر والادب في الموصل في ذلك العصر .

وختمت البحث ، بدراسة بينت فيها الحقائق التي اوردتها في دراستي ، لدولة الاتابكة في الموصل .

★★★

وينبغي أن أشير بهذه المناسبة . الى ما عانيته من صعوبات ، وما بذلته من جهد ، في هذا البحث ، خاصة في ما يتعلق بالقسم الحضاري ، الذي اغفلته المصادر العربية ، وكنت في كثير من الاحيان ، لا اخرج من قراءتي في عدد منها ، الا بنتف قليلة متناثرة ، تختص بنظم الحكم ، او

ببعض مظاهر الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية في الموصل . واستطعت بفضل ما وصل الينا من معلومات ، عن السلاجقة ان اصل الى تحقيق بعض ما كنت اهدف اليه .

ب ـ مصادر البحث :

ما دمت اتحدث عن المصادر ، فلا بد ان اشير الى عدد من المصادر الهامة ، التي اعتمدت عليها في هذا البحث .

ويأتي كتاب ابن الاثير : (الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل) في مقدمة هذه المصادر ، وترجع اهمية هذا الكتاب الى ان مؤلفه عزالدين ابن الاثير كان قد ولد في سنة ٥٥٥ هـ ، وبهذا يمكن ان يعتبر مصدرا رئيسيا للحوادث التي سجلها في الخمسين سنة الاخيرة من الفترة التي شملها كتابه الباهر .

وكانت اسرة ابن الاثير على صلة وثيقة باتابكة الموصل وتولوا بعض المناصب الرسمية في الموصل واعمالها .

وقد اهدى ابن الاثير كتابه هذا الى الملك القاهر عزالدين مسعود (٦٠٧ ـ ٦١٥ هـ) اعترافا بفضل اسلافه على اسرته وتوجيها له حتى يتخذ من سلفه مثلا يحتذى بهم [١] .

وقد تناول ابن الاثير تاريخ الدولة الاتابكية مبتدئا بسرد اخبار قسيم الدولة آق سنقر والد عماد الدين زنكي وعلاقته بالسلطان السلجوقي ملكشاه ثم توليته على حلب وما اظهره من كفاءة وحسن تدبير واخلاص

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية طبعة مصر ١٩٦٣ ص ٢ ، ٣ تحقيق عبد القادر طليمات .

في خدمة السلاجقة حتى مقتله على يد تتش في سنة ٤٨٧ هـ ، ثم تناول اخبار عماد الدين موضحا الدور الذي قام به في قيام الدولة حتى مقتله في سنة ٥٤١ هـ .

وقد أورد ابن الاثير من التفصيلات التي قل ان نجدهـا في اي مصنف آخر فقد اعتنى عناية فائقة في سرد الحوادث بدقة وتفصيل كبيرين « في حين اقتصر باقي المؤرخين على ذكر اخبار قليلة متفرقة لو جمعت لا تصلح لان تكون تأريخا عن الدولة » [1] ، وتناول ابن الاثير انقسام الدولة الاتابكية بعد مصرع زنكي بين ولديه سيف الدين غازي فـي الموصل ، ونور الدين في حلب متبعا نفس الدقة والتفصيل في ذكر العلاقات التي كانت قائمة بين نور الدين واتابكة الموصل وجهاد نور الدين ضـد الصليبيين ومشاركة الموصل في القتال حتى وفاة نور الدين محمود في سنة ٥٦٩ هـ وقيام ولده الملك الصالح . ومنذ هذا التاريخ وحتى سنـة سنة ٦٠٧ هـ نجد ان ابن الاثير اختصر اختصارا كبيرا لا يمكن الباحث من الوقوف على الحقائق التاريخية اللازمة لدراسة تلك الفترة ولم يرد فيه الا النزر اليسير مما يتعلق بمآثر اتابكة الموصل الداخلية فقد احجم ابن الاثير عن الخوض في سرد الاحداث التي تلت دخول صلاح الدين في الشام وما تلا ذلك من الصراع الذي نشب بين صاحب الموصل وصلاح الدين والذي انتهى بهزيمة الاتابكـة وخضوعهم للدولة الايوبيـة ، وسبب ذلك ان اخبار هذا الصراع تظهر ضعف الاتابكة امام زحف صلاح الدين وانتصاراته في الشام والجزيرة فتجنب ابن الاثير الخوض في ذكر هذه الاحداث لئلا يخدش كبرياء الملك القاهر الذي الف له الكتاب فكان

---

(١) طليمات : المؤرخ ابن الاثير : (رسالة دكتوراه ـ جامعة عين شمس ـ ١٩٦٧) ص ٢٨٩ .

الرجوع الى كتابه الكامل في التاريخ ضروريا ومهما للاستزادة من التفاصيل في تلك الفترة ، وقد حرص ابن الاثير على احالة القارىء الى كتابه الكامل ويسميه في الباهر « المستقصى في التاريخ » .

وكتاب الكامل في التاريخ اعظم ما وصل الينا من كتب التأريخ العام العربية ففي هذا الكتاب « تجلت مواهب ابن الاثير النادرة ويتمثل ذلك في عرضه للحقائق وجعلها متماسكة مقبولة » [1] ، وحرص ابن الاثير في كتابته على حفظ التوازن بين الاحداث في مختلف انحاء العالم الاسلامي وعندما يقترب من عصره يحاول تفصيل الاحداث التاريخية دون أن يخل بنسبة المادة التي يوردها [2] .

وقد أرخ ابن الاثير لدولة الاتابكة في كتابه الكامل حتى سنة ٦٢٨ هـ واهتم بالجانبين السياسي والحربي واطال في اخبارهما اما الجوانب الاخرى فقد ذكرها باختصار في تراجم ملوك زنكي وتراجم كبار رجال دولتهم [3] .

ويأتي بعد ابن الاثير في الاهمية في قائمة مصادر بحثي كتاب : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية لابي شامة (٥٩٩ — ٦٦٥ هـ) ، ويعتبر كتابه هذا سجلا مفصلا لتاريخ الدولتين النورية والصلاحية ، وقد بدأ ابو شامة هذا الكتاب بالحديث عن نور الدين ونشأته وتحدث عن عماد الدين زنكي وجهاده ضد الصليبيين حتى استشهاده في قلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ . كما تحدث عن تقسيم دولته بين ولديه سيف

(١) العريني : مؤرخوا الحرب الصليبية طبعة القاهرة ١٩٦٢ ص ٢٠٧

(٢) سالم : التاريخ والمؤرخون العرب طبعة مصر ١٩٦٥ ص ١٠٣ .

(٣) طليمات : المؤرخ ابن الاثير ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .

الدين ونور الدين وهنا يبدأ اهتمام ابي شامة بنور الدين معتمدا على المصادر المعاصرة والوثائق الرسمية والاشعار والقصائد التي سجلت مراحل جهاده وقد اتبع ابو شامة في هذا يظام الحوليات مبتدئا بسنة ٥٤٢ هـ (١) ثم تناول ابو شامة اخبار صلاح الدين وجهاده ضد الصليبيين وعن علاقاته بآل زنكي في الموصل وصراعه معهم من اجل توحيد الجبهة الاسلامية وختم كتابه بفصول قصار متتابعة تحدث فيها عن التطورات السياسية التي اعقبت وفاة صلاح الدين والصراع الذي نشب بين اولاده من جهة والملك العادل من جهة اخرى (٢) .

ويلي كتاب الروضتين كتاب آخر لا يقل عنه اهمية هو: مفرج الكروب في اخبار بني ايوب للمؤرخ ابن واصل (٦٠٢ ــ ٦٩٧ هـ) وفي هذا الكتاب أرخ ابن واصل للدولة الايوبية منذ قيامها حتى زوالها . فكتابه بهذا اوفى تاريخ لدولة بني ايوب .

وقد افاد ابن واصل من معظم المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الدولة كما انه اضاف وخاصة في النصف الثاني من تاريخ الدولة . الكثير من مشاهداته وتجاربه ورواياته عن المعاصرين ، وأرخ ابن واصل في الجزء الاول من الكتاب بايجاز غير مخل لدولة الاتابكة مع العناية بعلاقاتها بالدول المجاورة وخاصة الخلافتين العباسية والفاطمية والامارات الصليبية حتى وفاة نور الدين في سنة ٥٦٩ هـ (٣) .

ويشمل الجزء الثاني من كتاب : مفرج الكروب عصر صلاح الدين وجهوده في تكوين الجبهة الاسلامية المتحدة وجهاده الاعظم ضد الصليبيين،

---

(١) محمد حلمي احمد : مقدمة كتاب الروضتين ص ١٧ ــ ١٨

(٢) نفس المرجع : كتاب الروضتين ص ١٨ ــ ١٩ .

(٣) الشيال : مقدمة كتاب مفرج الكروب ج ١ ط القاهرة ١٩٥٣

وافرد ابن واصل فصولا للحديث عن علاقة صلاح الدين باتابكية الموصل وحلب وصراعه مع آل زنكى من اجل توحيد الجبهة الاسلامية استعدادا للجهاد الاعظم [١] .

اما الجزء الثالث فقد تناول فيه ابن واصل عصر اولاد صلاح الدين واخيه الملك العادل فتحدث عن الصراع الذي قام بين اولاد صلاح الدين انفسهم ثم بينهم وبين عمهم الملك العادل حتى وفاته في سنة ٦١٥ [٢] ، وباقي كتاب ابن واصل لا يزال مخطوطا .

وهناك مصدر آخر كانت له اهمية كبيرة في تفصيل الاحـداث في عصر صلاح الدين واعني بهذا المصدر : النوادر السلطانيـة والمحاسن اليوسفية للمؤرخ بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع المعروف بابن شداد (٥٣٩ ــ ٦٣٢ هـ) ولد في الموصل واشتهر برجاحة العقل وسداد الحكم فعهد اليه أتابك الموصل بالسفارة في امور سياسية بالغة الخطورة والاهمية ابان النزاع الذي وقع بينه وبين صلاح الدين وكان لابن شداد دور كبير في تسوية الازمة وتقرير امور الصلح بين الطرفين [٣] ، ثم توجه رسولا من قبل عزالدين مسعود الى بغداد يلتمس من الخليفة التوسط في الصلح بين صاحب الموصل وصلاح الدين في سنة ٥٧٨ هـ . ثـم التحق المؤرخ ابن شداد بخدمة صلاح الدين ولازمه منذ سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) ولم يفارقه حتى وفاته في سنة ٥٨٩ هـ وتولى لصلاح الدين قضاء العسكر والحكم بالقدس ، ثم انتقل بعد ذلك الى حلب حيث تولى

---

(١) الشيال : مقدمة مفرج الكروب ج ٢ ط القاهرة ١٩٥٧ .
(٢) نفس المرجع كتاب مفرج الكروب ج ٣ ط القاهرة ١٩٦٠ .
(٣) العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٩٩ .

القضاء بها ، في عهد الملك المظفر بن صلاح الدين [1] .

وكتاب ابن شداد يعتبر ترجمة لصلاح الدين اعتمد فيها على الاحداث السابقة لسنة ٥٨٤ هـ على ما توافر لديه بعد هذا التاريخ من اخبار عن الفترة السابقة ولعله افاد من بعض المؤلفات التاريخية السابقة له . اما القسم الثاني الذي يبدأ بعد سنة ٥٨٤ هـ فيعتبر اكثر اهمية واعظم شأنا من الناحية التاريخية فقد تضمن مشاهدات المؤلف ومعاصريه الذين اتصل بهم عقب وقوع الحوادث فهو بذلك بالغ الاهمية بالنسبة للفترة التي يتحدث عنها [2] .

وفي الفصل الخاص بعلاقات الاتابكة بآل طغتكين في دمشق اعتمدنا على كتاب ذيل تاريخ دمشق لابي يعلي بن حمزة المعروف بابن القلانسي المتوفي في سنة ٥٥٥ هـ ، وترجع أهمية هذا الكتاب الى أن مؤلفه حين يتحدث عن دمشق انما كان يتحدث حديث خبير يسد القاريء بمعلومات غاية في الاهمية فهو من مواطني دمشق المقيمين فيها ومن رجالها الرسميين فقد تولى ابن القلانسي رئاسة ديوان دمشق مرتين فجاءت معلوماته عنها في هذه الفترة وفي عصر نور الدين محمود دقيقة لا غنى للباحث في التاريخ عنها [3] .

واعتمدت كذلك على بعض مؤلفات العماد الاصفهاني (٥١٩ ـ ٥٩٧ هـ ١١٢٥ ـ ١٢٠٠ م) وهما كتابا : « تاريخ دولة آل سلجوق » ، و « الفتح القسي في الفتح القدسي » . والكتاب الاول يتناول تاريخ

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٦٩

(٢) العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ٢٠٣

(٣) محمد حلمي احمد : مقدمة كتاب الروضتين ص ٢٠ ـ ٢١

الدولة السلجوقية . فقد كان العماد ينتمي الى اسرة تولى كثير من افرادها وظائف هامة في الدولة السلجوقية وفي حكومة الخلافة العباسية (١) ، وقدم العماد الى بغداد حيث تلقى علومه في المدرسة النظامية . وقد اسندت للعماد وظيفة ادارية في واسط بالعراق وقد حملته صلته هذه على تدوين تاريخ السلاجقة في مؤلف خاص (٢) .

والف العماد كتابه (نصرة الفطرة وعصرة القطرة في اخبار الدولة السلجوقية) ونقل مادته عن الوزير الفارسي انو شيروان المتوفي في سنة ٥٣١ هـ ١١٣٦ م وقد تناول القسم الاخير من هذا الكتاب مذكرات العماد الشخصية حتى غادر العراق في سنة ٥٦٢ هـ ١١٦٦ م وهي السنة التي توقف عندها عن الكتابة في تاريخ السلاجقة (٣) . وقد قام البنداري فيما بعد باختصار الكتاب الذي عرف « بتاريخ دولة آل سلجوق » .

اما الكتاب الثاني وعنوانه « الفتح القسي في الفتح القدسي » فيتناول وصف الاستعدادات لمعركة حطين . وهو بذلك تسجيل منظم للنشاط الحربي الذي قام به صلاح الدين بين سنتي ٥٨٣ هـ - ٥٨٩ هـ ، ١١٧ - ١١٩٣ م وهي فترة الجهاد الاكبر (٤) . وقد وقفنا في هذا الكتاب على مدى مساهمة اتابكة الموصل في الجهاد الذي خاضه صلاح الدين في بلاد الشام اذ وردت فيه بعض الرسائل الموجهة من صلاح الدين الى

---

(١) — Cahen. t. I . op, cit . p. 50.

(٢) محمد حلمي احمد : مقدمة كتاب الروضتين ص ٢٧

(٣) العريني : مؤرخوا الحروب الصليبية ص ٢٤٠ .

(٤) العريني : مؤرخوا الحروب الصليبية ص ٢٤١ – محمد حلمي احمد : مقدمة كتاب : الروضتين ص ٢٥ .

عزالدين مسعود تتضمن معاني الشكر على مساهمة الاخير في الجهاد عسكريا وماديا .

وهناك مصدر آخر له اهميته هو كتاب « مرآة الزمان في تاريخ الاعيان » لمؤلفه شمس الدين ابي المظفر يوسف التركي الشهير بسبط ابن الجوزى الذي ولد ببغداد سنة ٥٨٢ هـ ــ ١١٨٦ م ودرس فيها . ثم عمل فيما بعد مدرسا وكاتبا في مدينة دمشق . وكتابه « مرآة الزمان » تاريخ جامع يبدأ فيه منذ بدأ الخليقة حتى قبل وفاته في سنة ٦٥٤ هـ بعام واحد وقد توفي سبط ابن الجوزي في سنة ٦٥٤ هـ [١] . وطبع المجلد الثامن من هذا الكتاب في « حيدر اباد سنة ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م » ويتضمن هذا المجلد بعض الاخبار الخاصة باتابكة الموصل التي اغفلها ابن الاثير مثال ذلك اشتراك عساكر الموصل في عهد سيف الدين غازي في قتال صاحب انطاكية سنة ٥٤٤ هـ ثم مكاتبة مجاهد الدين قايماز لصلاح الدين ليقر عزالدين مسعود على ما بيده من املاك الجزيرة كما كان الحال في عهد اخيه سيف الدين غازي المتوفي في سنة ٥٧٦ هـ ثم زيارة نور الدين للموصل في سنة ٥٦٨ هـ .

وهناك مؤرخ شامي هو كمال الدين ابو القاسم عمر المعروف بابن العديم الحلبي المتوفي سنة (٦٦٠ هـ) وقد اعتمدنا على كتابه (زبدة الحلب في تاريخ حلب) ومادة هذا الكتاب تنتهي بحوادث سنة ٦٤١ هـ ؛ لم يحفظ منه سوى ثلثه وللمؤلف كتاب آخر هو « بغية الطلب في تأريخ حلب » [٢] .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية مادة ابن الجوزى

(٢) سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ط مصر ١٩٦٥ ص ١٢٢ .

وبالاضافة الى هذه المصادر العربية التي ذكرناها هناك مصادر اخرى تناولت هذا الموضوع نذكر منها كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري المتوفي سنة ٦٨٥ هـ [١] وكتاب المختصر في اخبار البشر لابي الفدا (ت ٧٧٤) . وتتمة المختصر في اخبار البشر لابن الوردي (ت ٧٥٠ هـ) والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير (ت ٧٧٤) . والعبر لابن خلدون (ت ٨٠٦ هـ) .

ومن المصادر العربية والتي لا تزال مخطوطة كتاب : « تاريخ الدول والملوك » لابن الفرات (٨٠٧هـ) « وعقد الجمان في تاريخ اهل الزمان » للعيني (ت ٨٥٥ هـ) « وكنز الدرر وجامع الغرر » لابن أبيك من علماء القرن الثامن ، « وعبرة أولى الابصار » لابن الاثير الحلبي (ت ٦٩٩ هـ) ومخطوطة « منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في تاريخ الموصل الحدباء » للعمري من مؤرخي القرن الثاني عشر للهجرة . وتتدرج هذه المصادر في المرتبة الثانية من الاهمية لانها استقت مادتها التاريخية من المصادر التي ذكرناها آنفا .

ولا يفوتني ان اوجه عميق شكري وامتناني وعرفاني الى استاذي الفاضل الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذي غمرني بعطفه وأحاطني برعايته وتعهدني منذ كنت طالبا بجامعة بيروت العربية بالتوجيهات السديدة وتشجيعي على مواصلة البحث والتحصيل والذي لم يضن عليّ بعلمه وآرائه . والله ولي التوفيق .

بيروت في تموز ١٩٧٠ م　　　　**رشيد الجميلي**

---

(١) ابن العبري : غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري طبع الكتاب (بيروت سنة ١٩٥٨) .

الباب الأول

التاريخ السياسي

الفصل الأول

دراسة تمهيدية في قيام دولة الاتابكة في الموصل

(١) نشأة دولة الاتابكة في الموصل

أ ـ تعريف نظام الاتابكية

ب ـ أصل البيت الاتابكي في الموصل

(٢) نشأة عماد الدين زنكي

(٣) قيام دولة الاتابكة في الموصل

أ ـ تولية عماد الدين زنكي أتابكا على الموصل

ب ـ الموصل في ظل عماد الدين زنكى

حـ ـ نهاية زنكى

(٤) انقسام الدولة الاتابكية بعد مقتل زنكى

دراسة تمهيدية في قيام دولة الاتابكة في الموصل

(١)

نشأة دولة الاتابكة في الموصل

أ ـ تعريف نظام الاتابكية :

الاتابكية كلمة مشتقة من أتابك ، وهو لفظ تركي مركب من المقطعين: « أتا » ومعناها ، أب ، « وبك » وتعني : « أمير » ، فهي بذلك « الوالد الامير » وكان هذا اللقب يطلق على من يتولى تربيـة أولاد السلاطـين السلاجقة بالنسبة لحداثة سنهم [١] ، وأول من تلقب به الوزير نظام الملك، وذلك منذ أن فوض اليه السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان تدبير المملكة في سنة ٤٦٥ هـ [٢] .

وكان من مظاهر الحكم السلجوقي في العالـم الاسلامـي ظهور « الاتابكيات » التي ترجع الى نظام الاقطاع الذي ابتدعه السلاجقة وطبقوه في اقاليم دولتهم، وأصبح عنصرا هاما من نظمهم السياسية والاجتماعية [٣].

---

(١) ش. سامى : قاموس الاعلام (تركي) طبعة استانبول سنة ١٣٠٦ هـ ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول مادة ـ أتا ـ نيكلسون ـ ط مصر سنة ١٩٣٣ ص ٤٢٣ .

PERSIAN -iEnglish Dictionary : F steingass PH. D. London 1930, P, 12.

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى طبعة دار الكتب المصرية ج ١ ص ١٦٧ ج ٤ ص ١٨ .

(٣) حافظ حمدي : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ص ٩٤ ـ حسين امين : العراق في العصر السلجوقي بغداد ١٩٦٥ ، ص ٢٠٩

وأول من أشاع نظام الاقطاع الوزير السلجوقي « نظام الملـك » الذي صار يمنح الرؤساء والمقربين . الاقطاعيات الزراعية لاستثمارها بدلا من المرتبات الثابتة أو كجزء منها . وكان على هؤلاء الامراء في مقابل هذا الاقطاع ان يتعهدوا بحفظ الامن والاستقرار في مناطقهم . وكانوا مسئولين عن هذا كله أمام السلطان مباشرة [1] .

وانتشرت هذه الاقطاعيات خاصة بعد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان في سنة ٤٨٥ هـ وتصدع الدولة السلجوقية . وانقسام السلاجقة على أنفسهم . مما زاد في اضعافهم ، فاستقبل كل أمير في مقاطعته وعمل كل واحد منهم على توسيع منطقة نفوذه على حساب القوى المجـاورة وضمها الى بلاده .

وكان هؤلاء الاتابكة هم اصحاب النفوذ الفعلي في البلاد التي يعهد اليهم بالحكم فيها فقد خول اليهم من السلطات ما جعلهم في الغالب مستقلين عن الحكومة المركزية [2] .

ومعظم مؤسسي الاتابكيات ، من المماليك الذين جلبوا من بـلاد القفجاق وتولوا مناصب رفيعة في الجيش والبلاط ، لما كانوا يتمتعون به من قوة البدن ، والنظام البدوي الذي كانوا يعيشونه [3] . وقد رفع

نظام الاتابكيات هذا بعض المتاعب الادارية والحربية عن الحكومة المركزية،

(١) محمد حلمي احمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي طبعة مصر ١٩٥٩ ص ١٨١ .

(٢) R. C. Smail : Crusading Warfare, Cambridge 1956, P 65

حافظ حمدي : الشرق الاسلامي قبل الغزو المغولي ص ٩٤ .

(٣) حسين امين : تاريخ العراق في العصر السجوقي ص ٢٠٩

نظرا لما كانت تتمتع به من استقلال في تنظيم أحوالها ، والدفاع عن حدودها ضد أي عدوان خارجي يقع عليها [1] .

ومن أشهر الاتابكيات في العالم السلجوقي « أتابكية الموصل » التي أسسها عماد الدين زنكي في سنة ٥٢١ هـ ١١٢٧ م ، واتابكية خوارزم (٤٩٠ — ٦٢٨) [2] . وأتابكية دمشق ٤٩٧ — ٥٤٩ هـ [3] . وأتابكية

---

(١) حسين امين : تاريخ العراق في العصر السجوقي ص ٢١٠ .

(٢) اتابكية خوارزم : تنسب هذه الاتابكية الى محمد خوارزم شاه ابن انوشكتين . وكان انوشكتين يشغل وظيفة الساقي في بلاط السلطان ملكشاه . ثم تدرج في المناصب في عهده . وكانت لابنه محمد شهرة واسعة في العلوم والاداب فعينه السلطان بركياروق بن ملكشاه حاكما على اقليم خوارزم . ومنحه لقب شاه . واتسعت هذه الاتابكية على حساب دولة الخطا . ثم شملت العراق العجمي بعد هزيمة طغرلبك آخر سلاطين السلاجقة بالعراق سنة ٥٩٠ هـ واتسعت في عهد علاء الدين محمد خوارزم شاه (٥٩٦ — ٦١٧ هـ) فشملت بلاد ما وراء النهر وسيطرت على الاقاليم المطلة على المحيط الهندي . ثم على البلاد الواقعة غربي نهر السند بعد الاستيلاء على غزنة في سنة ٦١٢ هـ . وقد سقطت هذه الدولة على ايدي المغول بعد ان قتل جلال الدين منكبرتي في سنة ٦٢٨ هـ بجبال كردستان (الذهبي : دول الاسلام ج ٢ ص ١٠١ — حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ط مصر سنة ١٩٣٩ ص ١٠٣ — حسين امين : العراق في العصر السلجوقي ص ٢٦٨ — ٢٦٩) .

(٣) أتابكية دمشق : تنسب الى طغتكين (ظهير الدين اتابك) احد قواد الجيش السلجوقي ومملوك السلطان تتش وبعد مقتل تتش اصبح طغتكين أتابكا ولده شمس الملوك دقاق بن تتش . وفي سنة ٤٩٧ هـ توفي شمس الملوك دقاق نعهد الى طغتكين باتابكية دمشق والحضانة لولده الصغير تتش بن دقاق وقد استمرت اتابكية دمشق تحت نفوذ اسرة طغتكين الى سنة ٥٤٩ هـ حيث استولى عليها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي من صاحبها مجير الدين بن محمد بن بورى بن طغتكين (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٤ — ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٩٧) .

أرمينية [1] ، (٤٩٣ ـ ٦٠٤ هـ) ، ثم أتابكية اذيجـان [2] (٥٣١ ـ ٦٢٢ هـ) و أتابكية فارس [3] (٥٤٣ ـ ٦٨٦ هـ) ويهمنا من الاتابكيات السابقة ، اتابكية الموصل موضوع البحث ، ومؤسسها عماد الدين زنكي.

ب ـ أصل البيت الاتابكي في الموصل : ـ

كان قسيم الدولة آق سنقر بن عبدالله والد عماد الدين زنكـى

---

(١) اتابكية ارمنية : اسسها سقمان القطبي مملوك قطب الدين اسماعيل الحاكم السلجوقي في مدينة « مرند » احدى مدن اذربيجان ، ثم استولى سقمان على خلاط سنة ٤٩٣ هـ وخضعت هذه الاتابكية لنجم الدين ايوب ابن الملك العادل في سنة ٦٠٤ هـ (ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٢٦ ـ ١٢٧. حافظ حمدي الشرق الاسلامي ص ١٠٨) .

(٢) اتابكية اذبيجان : اسسها ايلدكز احد مماليك السلطان مسعود السلجوقي وقد تدرج ايلدكز في المناصب الى ان ولاه السلطان مسعود على اقليم أران (أرانية) في شمال اذربيجان ، ثم اتسع ملكه فشمل معظـم اذربيجان وبلاد الجبل وهمذان واصفهان والري ، وامتدت بلاده من باب تفليس الى مكران وانتهت هذه الاتابكية باستيلاء جلال الدين منكبرتي عليها في سنة ٦٢٢ هـ (ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ، ج ١٢ ص ٤٣٦ ،٤٣٧ـ حافظ حمدي : الشرق الاسلامي قبل الغزو المغولـي ص ١٠٨) .

٣ ـ أتابكية فارس : تنسب هذه الاتابكية الى سلفر قائد احدى قبائل التركمان التي هاجرت الى خراسان وانضمت الى طغرلبك فعين سلفر في بلاطه ثم استولى احد خلفائه وهو سنقر بن مودود على اقليـم فارس في سنة ٥٤٣ هـ فوسع بلاده ، ومد نفوذه الى كرمان واتخذ شيراز حاضرة له. وقد خضعت هذه الاتابكية لجنكيز خان ثم لهولاكو عندما اجتـاح الاراضي الاسلامية .

(حافظ حمدي : الشرق الاسلامي ص ١٠٩ ـ ١١٠) .

تركيا من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن آلب أرسلان [١] . فلما افضت السلطنة بعد وفاة ألب أرسلان الى ولده ملكشاه حفظ لآق سنقر صحبته ، وقدمه وقربه اليه ، وجعله من اعيان دولته ، وأكابر امرائه وأخص أوليائه ، واعتمد عليه في أموره كلها فعلت مرتبته الى أن لقب بـ « قسيم الدولة » [٢] .

وقد أورد المؤرخ ابن الاثير دليلا على علو منزلة والد عماد الدين في عهد ملكشاه فقال : « وتقدم عنده تقدما فاق فيه سائر الناس ، واحتضنه السلطان بالقرب والايناس ، وزاد قدره علوا ، الى ان صار يتقيه مثل نظام الملك مع تحكمه على السلطان وتمكنه من المملكة بعلو للمنصب وكثرة الاعوان ، فاشار (نظام الملك) على السلطان بان يوليه مدينة حلب وأعمالها، ويحكمه في عساكرها وأموالها . ويضيف الى حكمه غيرها من البلاد الشامية . وكان قصده ان يتخذ عند قسيم الدولة يدا ويبعده عن خدمة السلطان ومن اعظم الدلائل على علو منزلته وسمو مرتبته لقبه « قسيم الدولة » وكانت الالقاب حينئذ مصونة لا تعطى الا لمستحقيها » [٣] .

وتولى قسيم الدولة مدينة حلب واعمالها ، وحماة ومنبج . واللاذقية وذلك في سنة ٤٨٠ [٤] . وقد اظهر قسيم الدولة هذا مقدرة وكفاية

---

(١) ابن الاثير : الباهر ط ١٩٦٣ ص ٤ ، تحقيق عبد القادر طليمات — ابن واصل : مفرج الكروب تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال — القاهرة ١٩٥٣ . ج ١ ص ١١ .

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٤ .

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ٤ .

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٩ — الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ط مصر ١٩٦٠ ص ٢٠٣ . . ابن كثير : البداية والنهاية طبعة مصر (مطبعة السعادة) ج١٢ ص ١٤٧ — ابن ايبك : كنز الدرر وجامع الغرر ج ٦ ص ٣٠٨ .

في ادارة شئون البلاد فنشر الامن وحفظ النظام وانصف الرعية وحصل له بذلك من الصيت وحسن الذكر وتضاعف الثناء والشكر [١] .

ولعب آق سنقر دورا هاما في توطيد دولة السلاجقة في عهد السلطان ملكشاه ، فخاض عدة معارك وافتتح عددا من المدن [٢] .

وبعد وفاة ملكشاه تنازع ولداه بركياروق ومحمد وقامت الحرب بينهما واستمرت قائمة بين الاخوين مدة ١٢ سنة ، حتى وفاة بركياروق حيث اسقرت السلطنة لاخيه محمد بن ملكشاه [٣] .

وقد دافع قسيم الدولة عن عرش بركياروق ضد اطماع عمه تاج الدولة تتش، وضحى بنفسه اعترافا منه بفضل صاحبه وولى نعمته ملكشاه، فقد قتل قسيم الدولة بيد تتش في شهر ربيع الآخر من سنة ٤٨٧ هـ . وذلك عندما جمع تتش عساكره وتوجه الى الشام ، وعبر نهر العاصي [٤] فلما علم قسيم الدولة صاحب حلب بذلك ، شرع في التأهب والاحتشاد

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٩ .

(٢) اشترك قسيم الدولة في الحملة على الموصل سنة ٤٧٧ مع عميد الدولة بن جهير والاميرارتق ومعهم جموع التركمان ثم اشترك في فتح مدينة شيزر في سنة ٤٨١ هـ وفي الاستيلاء على حمص سنة ٤٨٣ هـ من خلف ابن ملاعب ثم استولى على حصن افامية من ابن ملاعب ايضا في سنة ٤٨٤ هـ وملك الرحبة وتكريت . (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٠ ، ١٢١ ـ البنداري : تارايخ دولة آل سلجوق ط مصر ١٩٠٠ م ص ٧١ ـ ابو شامة: الروضتين ج ١ ص ٦٠) .

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٢ ـ ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ٦٠ .

(٤) نهر العاصي : هو اسم نهر حماة وحمص ينبع من بحيرة قدس ويصب في البحر قرب انطاكية : ياقوت : معجم البلدان ط مصر ١٩٠٦ ج ٦ ص ٩٦ .

لدفعه عن حلب ، وقدم اليه الامير بوزان [١] صاحب الرها [٢] وامدهما بركياروق بالامير كربوغا [٣] ، ويوسف صاحب الرحبة [٤] في الفين وخمسماية فارس ، واجتمعا بقسيم الدولة في حلب [٥] • والتقى الفريقان بالقرب من « تل السلطان » [٦] بظاهر حلب واشتد القتال فانهزم جيش قسيم الدولة وأخذ أسيرا مع الامير بوزان والامير كربوغا ، ولما أحضر قسيم الدولة عند السلطان تاج الدولة تتش قال له (لو ظفرت به ما كنت صنعت ؟ قال : كنت قتلتك قال : فانا احكم بما كنت تحكم علي فقتله

---

(١) الامير بوزان : هو مجاهد الدين ابو الفوارس بزان بن مامين بن علي بن محمد وهو من الاكراد الجلالية وهي طائفة منهم بلادهم في العراق بنواحي دقوقا من اعمال بغداد (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق حاشية ص ٣٥٩) .

(٢) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام افتتحها عياض بن غنم في عهد عمر بن الخطاب (البكري : معجم ما استعجم ج ١ ص ٤٢٤) .

(٣) الامير كربوغا : او كربوقا احد مماليك السلطان ملكشاه بن الب ارسلان ، وهو الذي صار فيما بعد صاحب الموصل بعد ان انهى حكم بني عقيل في الموصل في سنة ٤٨٩ هـ (ابن الاثير : الباهر ص ١٥ و ١٦) .

(٤) الرحبة : مدينة في الشام بينها وبين دمشق ثمانية ايام وبينها وبين حلب خمسة ايام بتقدير ياقوت الحموي وهناك عدة مواضع بهذا الاسم منها الرحبة التي على شاطىء الفرات اسفل قرقيسيا ، ورحبة دمشق وهي قرية من قرى دمشق ورحبة صنعاء ورحبة خالد، ورحبة خنيس بالكوفة والرحبة ايضا قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة ، ورحبة يعقوب ببغداد والمقصود هنا الرحبة التي على شاطىء الفرات اسفل قرقيسيا (ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ ــ ٢٣٦ ــ ٢٣٩) .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٦

(٦) تل السلطان : موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق وفيه خان ومنزل للقوافل وهو المعروف بالفنيدق : ياقوت الحموي ج ٢ ص ٤٠٥ .

صبرا [1] .

وامر تنش بقتل الأمير بوزان صاحب الرها . أما كربوغا فقد أمر بارساله الى حمص حيث سجن هناك [2] .

★★★

(١) ابن الاثير : الباهر ص ١٥ ــ ابو شامة الروضتين ج١ ص ٦٦ ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج ١٠ ص ٢٦ ــ ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٤ ص ١١٧ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٣ ــ ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ٦٦ ــ ابن واصل: مفرج الكروب ج ١ ص ٢٧ .

العمري : منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في سادات الموصل الحدباء ــ مخطوط ــ المتحف العراقي ــ بغداد ــ رقم ١٥٦٤ ص ٢٩ .

(١)

نشأة عماد الدين زنكي

كان لمركز قسيم الدولة آق سنقر والى حلب في سلطنة ملكشاه ، والدور الذي لعبه في الدولة السلجوقية سياسيا وعسكريا واداريا في الفترة الواقعة ما بين (٤٦٥ ــ ٤٨٧ هـ) أعظم الاثر في نشأة ولده عماد الدين زنكى وظهوره، فقد حظي برعاية واهتمام سلاطين السلاجقة وامرائهم عرفانا منهم باخلاص والده وعلو مكانته في الدولة السلجوقية ، فقد كانت سيرة ملكشاه عندهم كالشريعة المتبعة فأعظم الناس عندهم أكثرهم اتباعا لسيرته » [١] .

ولم يخلف قسيم الدولة من الاولاد غير عماد الدين هذا الذي لم يكن قد تجاوز من العمر عند وفاة ابيه عشر سنوات ، ولم ينس بركياروق ما قدمه والد عماد الدين من تضحيات في سبيل عرشه فتعهد عماد الدين برعايته واولاه اهتمامه ، وكان عماد الدين مقيما آنذاك في حلب ، فالتف حوله مماليك ابيه أق سنقر واصحابه ، وفيهم زين الدين على كوجك بن بكتكين وكان صبيا أيضا [٢] .

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٢٤ ــ عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى: رسالة ماجستير جامعة بغداد ١٩٦٥ ــ ص ٢٤ .

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ١٥ ــ ابو شامة : الرضتين ج ١ ص ٦٧ .

وما أن تخلص الامير كربوغا من السجن [١] حتى توجه الى حران [٢] فملكها وملك نصيبين [٣] ثم سار الى الموصل فاستولى عليها وانهى حكم علي بن شرف الدولة العقيلي في ذي القعدة من سنة ٤٨٩ هـ [٤] . ولما استقر كربوغا في الموصل استقدم مماليك قسيم الدولة آق سنقر وأمرهم باحضار عماد الدين وقال : « هو ابن أخي وأنا أولى الناس بتربيته » فاحضروه عنده وأقطعهم الاقطاعيات السنية ، وجمعهم على عماد الدين واستعان بهم في حروبه ، وكانوا من الشجاعة في اعلى درجاتها » [٥] .

واقام عماد الدين في صحبة كربوغا صاحب الموصل الى أن توفي

---

(١) كان كربوغا معتقلا بحمص بامر تتش وبعد ان قتل تتش تملك ولده فخر الملوك رضوان فارسل اليه بركياروق يأمره باطلاق سراح كربوغا ، فاطلق سراحه في سنة ٤٨٩ هـ (ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٣) .

(٢) حران : مدينة بين الموصل والشام وهي كورة من كورديار مضر (البكري معجم ما استعجم : ص ٢٣٣) .

(٣) نصيبين : مدينة عامر في بلاد الجزيرة في ديار ربيعة (البكري معجم ماسا تعجم : ج ٢ ص ٥٨٤) .

(٤) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٤ ، ١٦ . ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٦٧ ، ابن واصل :مفرج الكروب ج١ ص ٢٨ .

(كان ابتداء دولة بني عقيل في الموصل سنة ٣٨١ هـ على يد ابو الداوود محمد ابن المسيب ابن نافع بن المقلد بن جعفر امير بني عقيل الذي قتل ابا طاهر بن ناصر الدولة بن حمدان واولاده واستقرت الموصل له وانقرضت دولة بنو حمدان في الموصل وديار ربيعة ومضر والجزيرة واستمرت هذه الدولة قائمة حتى استولى كربوغا على الموصل في سنة ٤٨٩ هـ (العمري : منهل الاولياء ـ مخطوط ص ٢٣) .

(٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٦ ـ ابو شامة : للروضتين ج ١ ص ٦٦ .

كربوغا في سنة ٤٩٤ [١] ، وتعاقب على الموصل بعد وفاة كربوغا رجلان هما : سنقرجه وموسى التركماني عامل كربوغا على حصن كيفا ٢ ، الا ان عهدهما في الولاية كان قصيرا ، فتسلم الموصل الامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر [٣] واحد مماليك السلطان ملكشاه [٤] ، وكان جكرمش على علم بمكانة قسيم الدولة والد عماد الدين فقربه اليه وأكرمه واتخذه ولدا واستبقاه معه الى أن توفي في سنة ٥٠٠ هـ [٥] .

ثم خلف جكرمش على الموصل جاولي سقاوه ، فاتصل بـه عماد الدين وخدمه الى آن اعلن عصيانه على السلطان محمد في سنة ٥٠٢ هـ ففارقه زنكى وانفصل عن خدمته [٦] . وقد اثبت عماد الدين بموقفه من حركة جاولى مدى تمسكه بولائه للسلطان وتأييده له مما كان له أبعد الاثر في توثيق الارتباط بين السلطان وعماد الدين زنكى .

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٠ ـ ابن الاثير : الباهر ص ١٦ ـ ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ٦٧ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٨

(٢) ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك والامم طبعة حيدر اباد ١٣٥٨ هـ ج ١٠ ص ٣١ ـ العمري : منهل الاولياء ـ مخطوط ورقـة ٢٩.) حصن كيفا : ويقال ايضا حصن كيبا وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ان عمر : ياقوت ج ٧ ص ٢٦٥ .

(٣) جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة ايام تحيط بها دجلة من كل الجهات الا من جهة واحدة شبه هلال : ياقوت ج٣ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص ٣١ ـ العمري : منهل الاولياء : مخطوط ورقة ٢٩ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٦ ـ ابن الاثير : الباهر ص ١٦ ـ ابن واصل مفرج الكروب ج١ ص ٢٨ .

(٦)ابن الاثير : الباهر ص ١٦ ـ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٦٨ .

وفي سنة ٥٠٢ هـ اقطع السلطان محمد الموصل للامير مودود ابن التوتكين فقرب عماد الدين واكثر من اقطاعه ، واشركه في حروبه ضد الصليبيين في بلاد الشام [١] وهنا تجلت شجاعة زنكى وبسالته ودرايته في الحروب وخصوصا في اثناء حصار طبرية الذي حدث في سنة ٥٠٧ هـ [٢] ومن مظاهر ما ابداه عماد الدين من شجاعة انه « كان في نفر وقد خرج الفرنج من البلد فحمل عليهم هو ومن معه وهو يظن انهم يتبعونه فتخلفوا عنه وتقدم وحده وقد انهزم من بظاهر البلد من الفرنج ، فدخلوا البلد ، ووصل رمحه الى الباب فأثر فيه ، وقاتلهم عليه ، وهو ينتظر وصول من كان معه ليقاتلوا الفرنج ويتقدم باقي العسكر فيملكون البلد ، فحيث لم ير أحدا حمى نفسه وعاد سالما [٣] .

وتولى حكم الموصل بعد مقتل مودود على ايدي الباطنية في المسجد الجامع بدمشق في سنة ٥٠٧ هـ [٤] الامير جيوش بك ، فاتصل زنكي بخدمته ، واشترك معه في حروبه ضد الصليبيين في الرها وسمسياط [٥]

---

(١) الفارقي : تاريخ الفارقي طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩ م ص ٢٧٥ — ابن الاثير : الباهر ص ١٧ — ابن واصل — مفرج الكروب ج١ ص ١٩ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٥ — ابن الاثير : الباهر ص ١٩ .

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٨ — ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٦٨ .

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧ — ابن الاثير : الباهر ص ١٩ — ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٦٨ . — ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٩٩ — Cahen, op. cit. p. 267.

(٥) سميساط : مدينة على شاطىء الفرات الغربي : ياقوت ج ٥ ص ١٣٨ — ١٣٩ .

وسروج [١] وأبلى عماد الدين في كل هذه المواقع بلاء جسنا [٢] .

وبقي عماد الدين مصاحبا لجيوش بك حتى اعلن هذا الاخير عصيانه على السلطان محمود ، وذلك عندما عمل جيوشي بك على اخذ السلطة لمسعود الذي كان مقيما مع جيوش بك في الموصل [٣] فابدى عماد الدين معارضته الشديدة لهذا العمل وكان يحث جيوش بك على ترك العصيان، وينصحه بالولاء للسلطان محمود وطاعته [٤] وقد بلغ موقفه هذا للسلطان فعرفه له وقدره حق قدره ، فلما اقطع الموصل لآق سنقر البرسقي سنة ٥١٥ هـ [٥] اشار عليه السلطان بتقديم زنكي والوقوف عند اشارته ففعل

---

(١) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر — ياقوت ج٥ ص ٧٧ .

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٢٠ — ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ٦٩ .

(٣) كان السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه قد اقر اخاه مسعود على الموصل مع اتابكه جيوش بك بعد مقتل مودود في سنة ٥٠٧ هـ ، وبقي مسعود في طاعة اخيه السلطان محمود حتى سنة ٥١٤ هـ حيث اتفق صاحب الحلة دبيس بن صدقة مع جيوش بك على العصيان والخروج عن طاعة السلطان محمود وتأييد مسعود والعمل على اخذ السلطة له ولكن لم يكتب لهذه الحركة النجاح فقد انهزمت جيوشهم امام السلطان محمود واعتذر مسعود لاخيه فصفح عنه ثم تقدم جيوش بك الى السلطان محمود واعلن اعتذاره وخضوعه وولائه له فاخذ منه الموصل واقره على اذربيجان (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق طبعة مصر سنة ١٩٠٠ ص ١٢١ — ابن الاثير : الباهر ص ٢٢ ، ٢٣ ، ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٢ ، ٧٣ — ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٢٩ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٣) .

(٤) ابن الاثير : الباهر ص ٢٣ — ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٢ .

(٥) آق سنقر البرسقي : هو ابو سعيد آق سنقر البرسقي الغازي الملقب قسيم الدولة سيف الدين من مماليك السلطان طغرلبك وتقدم في الدولة السلجوقية وكان من الامراء المشار اليهم فيها المعدودين من اعيانهم (ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٩٩) .

ذلك [1] .

وفي سنة ٥١٦ هـ اقطع عماد الدين زنكي مدينة واسط [2] ، ثم ولي شحنكية البصرة [3] . فاظهر زنكي كفاية ادارية وقدرة عسكرية فائقة واستطاع أن يضع حدا لغارات الاعراب وهجماتهم وارغمهم على النزوح الى الصحراء ، فزاد ذلك من قدره وارتفاع مكانته عند السلاجقة .

وعندما خرج دبيس بن صدقة في المحرم سنة ٥١٧ هـ لمحاربة الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ) ابدى عماد الدين زنكي الكثير من ضروب الشجاعة والاقدام في قمع حركة دبيس ، فقد حمل على عسكر دبيس وأسر مقدم رجاله عنتر بن ابي العسكر الكردي [4] وبعد هذه الموقعة امر السلطان محمود آق سنقر البرسقي بالعودة الى الموصل ومدافعة الصليبيين في بلاد الشام ، فعاد البرسقي الى ولايته ، وشرع في التأهب للجهاد وارسل الى عماد الدين زنكي بالبصرة يستدعيه اليه [5] .

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٢٤ ـ سبطا بن الجوزي : مرآة الزمان ط الهند حيدر آباد سنة ١٩٥١ ج٨ ص ٥٢ .

(٢) واسط قرية بدجيل على ثلاثة فراسخ من بغداد (ياقوت ج ٢ من المجلد الرابع ص ٨٨، ـ وفي الاصطخرى ص ٥٨ : انها على شط دجله نصفان متقابلان بينهما جسر من سفن وفي كل جانب فيها جامع وقد اسس هذه البلدة « الحجاج بن يوسف الثقفي عامل الامويين في العراق » .

(٣) الشحنكية : الشحنة لفظ فارسي يعني محافظ المدينة (وفي القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٣٩ : معناها الشخص الذي فيه كفاية لضبط البلد من جهة السلطان) .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ١٠٩ ـ ١٠٨ .

(٥) ابن الاثير : الباهر ص ٢٧ ـ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٤ .

الا ان عماد الدين لم يستجب لرغبة البرسقي وآثر الاستقرار في خدمة السلطان السلجوقي ، وتطلع الى أن يصبح واحدا من الامراء لا مجرد تابع يقاتل لحساب امراء عديدين في مختلف الجهات ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الاثير اذ يقول « ان عماد الدين جمع اصحابه وقال لهم : قد ضجرنا مما نحن فيه ،كل يوم يملك البلاد امير ونؤمر بالتصرف على اختياره وارادته ، ثم تارة بالعراق وتارة بالموصل وتارة ببلاد الجزيرة وتـــارة بالشام ، فبم تشيرون اصنع ؟ فقال له زين الدين على بن بكتكين وكان أوثق اصحابـه عنده وأكثرهم صحبة له : يـا مولانا ، التركمـان تقول في امثالها اذا اراد الانسان ان يضع على رأسه حجرا فليكن من جبل كبير ، ولكن اذا كنا لا بد ان نخدم الناس فلان نخدم السلطان أولى ، فقبل رأيه وسار من البصرة الى السلطان محمود وأقام عنده » (١) .

ولم يستجب عماد الدين لرغبة البرسقي اذن الا لطمعه في أن يوليه السلطان اقطاعا يتخذه قاعدة لملكه ، وقد انتهز زنكي فرصة وقوع خلاف بين السلطان محمود والخليفة العباسي المسترشد بالله فانحاز الى جانب السلطان فرجحت كفته « وعظم الخطب على الخليفة وراسل السلطان طلبا للصلح فاصطلحا وعادا الى ما كان عليه (٢) .

ولما عزم السلطان محمود على المسير الى همذان في ربيع الآخر من سنة ٥٢١ هـ نظر فيمن يصلح لشحنكية العراق بحيث يأمن معه من الخليفة،

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٢٧ ــ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٤ ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٣٠ .

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٣٠ .

Runciman : op, cit, vol, II p. 181

ويضبط الامور فلم يجد أصلح لهذا المنصب من عماد الدين زنكـي ، خاصة وانه خير من يستطيع الاعتماد عليه في هذا المنصب الخطير ، فولاه شحنكية العراق بالاضافة الى ما كان بيده من اقطاع واصبح عماد الدين يصرف الامور لا في بغداد وحدها بل في سائر جهات العراق (١) .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم جزء ١٠ صفحة ٥ ـ ابن الاثير : الباهر صفحة ٣١ ـ ابو شامة : الروضتين جزء ١ صفحة ٧٤ ـ ابن واصل : مفرج الكروب جزء ١ صفحة ٣١ ـ العيني : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمـان مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ جزء ١\٢١ صفحة ٣ العمري : منهل الاولياء مخطوط ص ٣٤ .

(٣)

قيام دولة الاتابكة في الموصل

أ ـ تولية عماد الدين زنكي أتابكا على الموصل :

استمر حكم آق سنقر البرسقي للموصل حتى سنة ٥٢٠ هـ حيث قتل في الجامع العتيق بالموصل على يد جماعة من الباطنية (١) ، وثبوا عليه عند دخوله للصلاة وذلك في ذي القعدة من سنة ٥٢٠ هـ (٢) .

وخلف البرسقي في حكم الموصل ابنه مسعود الذي كان موجودا عند مقتل أبيه بحلب فأقره السلطان محمود على ما كان لابيه من الاعمال ، ولم تطل أيام مسعود هذا اذ لم يلبث أن توفي في سنة ٥٢١ هـ في الرحبة (٣) .

---

(١) الباطنية : فرقة تدين بمبادىء الشيعة المتطرفة ، وتنسب الى مؤسسها الحسن بن الصباح وعرفوا بالباطنية ، لانهم كانوا يبطنون خلاف ما يظهرون وكانوا ينادون بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، فعرفوا بالاسماعيلية ، كذلك اطلق عليهم اسم الحشيشية لاستعانتهم بالحشيش في الترويج لمذهبهم وفي حوادث الاغتيال السياسي ، وقد استولوا على قلعة ألموت في شعبان سنة ٤٨٣ هـ وهي من احصن قلاعهم (الشهرستاني : الملل والنحل منشور بحاشية الفصل في الملل والاهواء ـ طبعة مصر سنة ١٣٢٠ هـ ص ٢٧ ، ٢٩ ـ ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٤ ص ١٣٠ ـ الصياد : المغول في التاريخ ص ٣٨ـ عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في العصر الاسلامي ط مصر سنة ١٩٦٧ ص ٢٧٤ حاشية ٢٣) .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٤ ـ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٣٢ ـ ابن الاثير : الباهر ص ٣١ .

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ٣٢ ، Claude Cahen, p. 304.

وقام بالحكم من بعده اخ له صغير فتولى الامير جاولي تدبير شئون دولتهوارسل جاولى الى السلطان محمود يطلب ان يقر ولد البرسقي على الحكم وبذل في ذلك الاموال الكثيرة [1] .

وكان وفد جاولي الى السلطان لهذا الشأن يتألف من القاضي بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد الياغيسياني – امير حاجب البرسقي – وقد اخطأ جاولى في اختيارهما اذ كانا غير مخلصين له يخافانه ولا يرضيان بطاعته والتصرف بحكمه ، فعملا على ابعاده عن الولاية والتوسط لعماد الدين عند السلطان محمود [2] .

وما ان وصل الوفد الى بغداد حتى اجتمع صلاح الدين الياغيسياني بصهره نصير الدين جقروكان من اعظم اصحاب زنكي منزلة ، وذكر له سبب قدومه الى السلطان ، فخوفه نصير الدين من جاولي وقبح عنده طاعته ، وحرضه على شق عصا الطاعة له اذ أقنعه بان جاولى انما : ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ، ومتى اجيب الى مطلوبة لا يبقى على احد منهم [3] .

واشار نصير الدين على صلاح الدين الياغيسياني ، بان يطلب الولاية لعماد الدين زنكي ووعده خيرا فأجابه الى ذلك وعمل بنصيحته ، ثم اجتمع صلاح الدين بصاحبه القاضي بهاء الدين الشهرزوري واقنعه بوجهة نظره

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٣٢ – ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٣١ و ٣٢ – العيني : عقد الجمان ، مخطوط قسم اول من المجلد ٢١ ص ٤ العمري : منهل الاولياء مخطوط ص ٣٤ .

(٢) نفس المصدر : الباهر ص ٣٤ – ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٥ – ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٣٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ط بيروت ١٩٦٦ ج ١٠ ص ٦٤٤ – ابن واصل : مفرج الكروب جزء ١ ص ٣٢ .

ووعده بزيادة الاقطاع وتولى القضاء في الموصل واعمالها ، فوافق الشهرزوري على ذلك وسار مع صلاح الدين الى دار الوزير شرف الدين انو شيروان بن خالد وقالا له « قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها ، وقويت شوكتهم بها ، فاستولوا على أكثرها ، وقد اصبحت ولايتهم ، من حدود ماردين [1] الى عريش مصر ، ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين ، وقد كان البرسقي مع شجاعته وتجريبه وانقياد العساكر اليه يكفي بعض عاديتهم وشرهم ، فمنذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ، ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة ، يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها وقد انهينا الحال لئلا يجري خلل او وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ، ويقال ألا أنهيتم الينا جلية الحال [2] .

فانهى الوزير ذلك الى السلطان ، فشكرهما عليه ، واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية ، فذكرا جماعة من الامراء بينهم عماد الدين زنكي وعظما محله اكثر من غيره ، وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فأجاب السلطان الى ذلك لما كان يعلمه من كفايته وقدرته في ضبط الامور واخلاصه للبيت السلجوقي ، فأمر باحضاره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بذلك في رمضان من سنة ٥٢١ هـ [3]

---

(١) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين – ياقوت ج٧ صفحة ٣٦١ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٦٤٤ – ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٥٠٤ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص ٥ – ابن الاثير : الباهر ص ٣٤ – ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٥ .

وسلم اليه ولديه ألب أرسلان وفروخ شاه وجعله أتابكهما • فعرف عماد الدين لذلك بالاتابك [1] •

ب ـ الموصل في ظل عماد الدين زنكى :

مضى عماد الدين بعد صدور قرار توليته للموصل الى هذه المدينة وتسلمها من الامير جاولى وأقطعه الرحبة وأعمالها وشرع زنكي في اخضاع المناطق التابعة لها وتقرير قواعد الحكم بها ، واختار لذلك رجالا أكفياء يثق بهم • وكان عليه أن يكافىء من كان لهم اليد الطولى فيما ناله من تشريف بولاية الموصل ، فبادر باسناد المناصب الكبيرة في اقليمه اليهم فولى نصير الدين جقر دزدارية [2] قلعة الموصل وفوض اليه امر الولاية جميعها ، وجعل صلاح الدين الياغيسياني أمير حاجب [3] ، والقاضي بهاء

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٣٣ .

ذكر البنداري في تاريخ دولة آل سلجوق أن فروخ شاه هذا كان مسلما الى دبيس بن صدقة فانتزعه زنكي منه بالحرب (البنداري ص ١٨٣)

ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٤١ ابن الاثير الحلبي : عبرة اولى الابصار : مخطوط (دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٣ تاريخ ج٢ ص ١١٠)

العيني : عقد الجمان مخطوط ج ٢١/١ ص ٣

Runciman : op. cit, vol, I, p. 182

Çahen : op. cit. p. 306

(٢) دزدارية : لفظ اعجمي معناه حافظ القلعة أي الوالي (ابن خلكان ترجمة صلاح الدين) .

Governor of castle or fort. PERSTAN - English Dictionary : p. 518.

(٣) امير حاجب : من الوظائف المهمة في الدولة السلجوقية . والقائم بها يتصل بالسلطان ويكون همزة الوصل بينه وبين الوزير (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٠٧) .

الدين الشهرزوري قاضي بلاده وما يفتحه من بلاد [١] .

ثم انصرف زنكي الى تنظيم امارته اداريا وعسكريا مستندا في ذلك الى ما كان سائدا عند السلاجقة من نظم الحكم التي كان متأثرا بها كل التأثير .

وكانت سياسة زنكي تهدف الى تكوين جبهة اسلامية ليتمكن من الوقوف في وجه الصليبيين ، فدعا الى توحيد جهود المسلمين ، وحشد قواهم لقتال الصليبيين ووضع بذلك اساس حركة الجهاد ضد الفرنج [٢]

وشرع عماد الدين في تمكين نفوذه في المناطق التي خضعت لسلطانه ، وتوسعة هذه المناطق بضم ما أمكنه من البلاد الجزرية والشامية [٣] .

وكان أول عمل قام به عماد الدين هو توجيه اهتمامه نحو الامارات والمدن المجاورة والقلاع الكردية فعمل على ضم هذه الامارات واخضاعها تحت زعامته وتمكين نفوذه فيها ، فقد أدرك انه لا يستطيع أن يطمئن في زحفه الى الشام ومجابهة القوى الصليبية الا اذا اخضع هذه الامارات الصغيرة في ديار بكر حتى لا تتعرض مؤخرة جيشه لخطر الهجوم عليها، فبدأ بجزيرة ابن عمر واستولى عليها وانتزعها من مماليك البرسقي [٤]

---

(١) الفارقي : تاريخ الفارقي المنشور بحاشية ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٧ ـ ابن الاثير : الباهر ص ٣٥ .

(٢) العريني : مصر في عصر الايوبيين طبعة بيروت ١٩٦٧ ص ١٩ ـ الشيال : تاريخ مصر الاسلامية ط مصر ١٩٦٧ ج٢ ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) سالم : طرابلس الشام في العصر الاسلامي ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

(٤) ابن الاثير الباهر ص ٣٦ ـ ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ٧٧ .

ثم استولى على مدينة اربل [١] في رمضان من سنة ٥٢٢ هـ [٢] ثم سار نحو نصيبين فتسلمها من صاحبها حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازي واستولى على الخابور [٣] وسنجار [٤] وحران [٥] فأصبح متحكما في الطريق الى الشام ٠

وقد راى زنكي أنه من الانسب له في تلك الآونة مهادنة جوسلين صاحب الرها ليتفرغ لاصلاح البلاد وحشد الاجناد لضم امارة حلب ٠ فقد كان من اهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية [٦] ٠

وقد حقق زنكي هذا الهدف ، واستولى على حلب وقلعتها في المحرم

---

(١) اربل : قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الارض واسع ولقلعتها خندق عميق وهي في طرف المدينة وفي القلعة اسواق ومنازل وجامع – ياقوت ج١ ص ١٧٣ .

(٢) ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٧ .

(٣) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من ارض الجزيرة ويشتمل على عدة ولايات تنسب اليه منها قرقيسيا وماكسين والمجدل وعربان – ياقوت : طبعة بيروت ج٧ ص ٣٣٤ .

(٤) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة ايام وهي في لحف الجبل عال – ياقوت ج٥ ص ١٤٤ .

(٥) ابن الاثير : الباهر ص ٣٦ ، ٣٧ – ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٧ – ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٣٥ – ٣٦ – ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٤ ص ١٦٠ .

(٦) ابن الاثير : الكامل : ج١٠ ص ٦٤٩ – ابو شامة – الروضتين ج١ ص ٧٧ – العيني : عقد الجمان ج ٢١/١ ص ٥ .

Runciman : op, cit, vol II. p. 182

من سنة ٥٢٢ هـ (١) ، وكان نجاح زنكي في ضم حلب وتحقيق الارتباط بينها وبين الموصل من اخطر ما يخشاه الصليبيون نظرا لما يمكن ان ينجم عنه قطع الصلة بين امارة الرها من ناحية وبقية الامارات الصليبية في الشام من ناحية اخرى ، فضلا عما في تكتيل القوى الاسلامية نفسها من معاني القوة التي لم يشعر بها الصليبيون حتى ذلك الوقت بسبب تفرق المسلمين وعدم وحدتهم (٢) وكان زنكي قد استولى في طريقه الى حلب على منبج (٣) ، وبزاعة (٤) ، فارسل السلطان اليه تفويضا في حكم الموصل والجزيرة والشام (٥) .

وتوالت انتصارات زنكى في بلاد الشام فاستولى على مدينة حماه في سنة ٥٢٣ هـ (٦) ، ثم عاد الى الموصل ليريح جيشه ويجدد قواه ، ولم

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٣٨ ـ ابو شامة الروضتين ج١ ص ٧٨ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٤٠ ـ ابو الفدا : المختصر ج٤ ص ١٦٠ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٩٩ ـ المقريزي : السلوك ج١ من القسم الاول ص ٣٥ .

(٢) عاشور : الحركة الصليبية طبعة القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٥٦١ .

(٣) منبج : مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة عليها سور محكم مبنى بالحجارة بينها وبين الفرات ثلاث فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ : ياقوت ج ١٨ ص ٢٠٦ .

(٤) بزاعة : بلدة من اعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب بينها وبين كل واحدة منهما مرحلة نيها عيون ومياه جارية واسواق حسنة . ياقوت : ج٢ ص ١٦٢ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب طبعة دمشق ١٩٥٤ م ج ٢ ص ٤٤ ٢ـ العيني : عقد الجمان ج ١/٢١ ص ١٢ .

(٦)ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٨ ـ ابن الاثير : الباهر ص ٣٨ ـ ابن العديم : ص ١٢ . زبدة الحلب : ج٢ ص ٢٤٦ . ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ٨ .

يلبث زنكي ان عاد الى الشام فعبر الفرات وقصد حصن الاثارب [1] الذي يعتبر نقطة البداية في استرجاع شمال الشام من ايدي الصليبيين ، فقد كان هذا الحصن لا يبعد عن حلب سوى ١٥ كم على طريق انطاكية وكان لذلك مصدر ضيق وشدة على أهل حلب فاستولي عماد الدين عليه وخربه وسواه بالارض [2] .

ثم سار الى حارم [3] فصالحه اهلها وعاد الى الجزيرة وحاصر مدينة سرجة [4] في سنة ٥٢٤ هـ وهزم حسام الدين تمرتاش وركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا ونجح اخيرا في الاستيلاء على سرجة ودارا [5] .

وبعد هذه السلسلة من الانتصارات وجه زنكي اهتمامه نحو القلاع الكردية المحيطة ببلاده من الشمال ، وكانت هذه القلاع تشكل خطرا

(١) حصن الاثارب : قلعة معروفة بين حلب وانطاكية بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ ياقوت : ج٢ ص ٢٧٤ .

(٢)ابن الاثير : الباهر ص ٤٢ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٥٩ ـ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٨ ـ ابو الفدا : المختصر ج٥ ـ ابن الوردي تتمة المختصر ج٢ ص ٣٥ ـ ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٥٠٥ .

(٣) حارم : حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية : ياقوت : ج١ ص ٢٠٥ .

(٤) سرجة : حصن بين نصيبين ودنيسر ودارا من بناء الروم القديم وسرجة موضع قرب سميساط على شاطىء الفرات ، وذكر ايضا انها قرية من قرى حلب . ياقوت : ج٠١ ص ٢٠٧ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ج٠١ ص ٦٤٢ ـ ٦٤٣ .

ودارا بلدة في لحف الجبل بين نصيبين ومار دين ، من بلاد الجزيرة ـ ياقوت : ج٠١ ص ٢٠٧ .

حقيقيا على امارته ، فاستولى في سنة ٥٢٨ هـ على قلاع الاكراد الحمبدية منها قلعة شوش (١) والعقر (٢) وغيرهما ثم استولى على قلاع الاكراد الهكارية وكواشي (٣) .

وما أن تحقق له تنفيذ هذا الهدف حتى ولى وجهه شطر بلاد الشام من جديد لمواجهة الفرنجة فهاجم قلعة بعرين (٤) وهزم الفرنج واستولى على القلعة (٥) .

ثم رأي زنكي أن يضم الى ملكه بعض المدن الكبرى في الشام لتكون نواة للدولة الجديدة تأهبا للنضال ضد القوى الصليبية فملك حمص وبعلبك ، وحاصر دمشق في سنة ٥٣٤ هـ (٦) ، ثم عاد الى الجزيرة

---

(١) شوش : الشوش قلعة عظيمة عالية جدا قرب عقر الحميدية من اعمال الموصل وهي اعلى من العقر واكبر . ياقوت : ج١٢ صفحة ٣٧٢ .

(٢) العقر : قلعة حصينة في جبال الموصل اهلها اكراد وهي شرقي الموصل تعرف بعقر الحميدية ، والعقر ايضا قرية بين تكريت والموصل . ياقوت ج١٤ ص ١٢٦ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١٤ — ١٥ — ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٥٤ — ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٩ .
كواشي : قلعة حصينة في الجبال الواقعة الى شرقي الموصل وكانت تعرف قديما باسم اردمشت (ياقوت : ج ١٦ ص ٤٨٦) .

(٤) بعرين : بليدة بين حمص والساحل واسمها الصحيح هو بارين . ياقوت ج٤ ص ٤٥٢ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٤ — ١٥ — ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٧٣ — ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ١٩ .

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٣ ، ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٧٣ — ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٥٧ — ٥٨ (هذا هو الحصار الثاني لدمشق فقد سبق لزنكي ان حاصرها في سنة ٥٢٩ هـ ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٦ ٢— ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٧٩) .
Runciman : op, cit vol II, p. 197

فاستولى على شهرزور [١] ، واعمالها في سنة ٥٣٤ هـ ايضا [٢] ثم استولى على ديار بكر [٣] في سنة ٥٣٨ هـ [٤] .

وفي سنة ٥٣٩ هـ توج عماد الدين زنكي فتوحاته ببلاد الشام بافتتاح الرها [٥] وهي أول ثغرة نفذ منها المسلمون الى غيرها من القلاع والمدن الصليبية في الشام وسقوطها بايدي المسلمين يعتبر أول صدع كبير أصاب اساس البناء اللاتيني في الشرق واول ضربة عملية ضد الصليبيين في الشام [٦] باعتبارها العين من البلاد الجزرية والحصن من الديار الاسلامية [٧] .

---

(١) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان . ياقوت : ج ١٢ ص ٣٧٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٣٥ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٨٤ ـ ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ٢٣ . ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٤٣ .

(٣) ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة تنسب الى بكر بن وائل وتشمل حصن كيفا وآمد وميافارقين ياقوت ج٨ ص ٤٩٢ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٩٤ ـ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٩٣ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٩٢ ـ العيني : عقد الجمان ١/٢١ ص ١٣٦ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٧٩ ٢ـ ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٩٨ سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ج٨ ص ١٨٩ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٢٤١ ، ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٩٤ . ابن الاثير الحلبي : عبرة اولى الابصار ج٢ ص ١١٠ . Cahen, op, cit. pp. 360 - 371.

(٦) حبشي : نور الدين والصليبيون ط القاهرة ٩٤٨ ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٧) ابن الاثير : الباهر ص ٦٧ .

وكان لقيام هذه الامارة الصليبية في بلاد الشام الأثر الكبير في العالم الاسلامي فقد كانت الرها تشكل خطرا كبيرا على خطوط المواصلات الاسلامية بين الموصل وحلب وبين بغداد وبلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى [١] ثم ان غارات الصليبيين على البلاد الاسلامية كانت توجه منها الى سائر بلاد الجزيرة فكانت تشمل مدينة آمد وماردين ونصيبين والرقة فهي على حد قول الأستاذ فيليب حتي ، كانت بمثابة أسفين دقه الفرنج بين الشام والعراق [٢] فعلى هذا الاساس فانه بسقوط الرها اصبح الاتصال بين الموصل وحلب لدى المسلمين مأمونا [٣] .

ج ـ نهاية زنكي : ـ

كانت خاتمة حياة مؤسس دولة الاتابكة في الموصل ان لقي مصرعه في شهر ربيع الآخر من سنة ٥٤١ هـ وهو يحاصر قلعة جعبر [٤] اذ وثب عليه نفر من مماليكه وقتلوه غيلة بينما كان نائما في خيمته وهربوا الى القلعة ، وقيل ان الذي قتله يرنقش الخادم أحد مماليكه [٥] .

---

(١) عاشور الحركة الصليبية (القاهرة ١٩٦٣) ج٢ ص ٦٠٤ .
Stevenson : op, cit, p 153

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب مطول ط بيروت ١٩٥٣ ج٣ ص ٧٦٢ .

(٣) Cahen, op. cit, p. 371.

(٤) قلعة جعبر : على الفرات بين باس والرقة بالقرب من صفين وكانت تعرف قديما باسم دوسر وكان يملكها رجل من بني قشير اعمى يقال له جعفر بن مالك ياقوت : ج٢ ص ٨٤ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٤ و ٢٨٥ ـ الفارقي : تاريخ الفارقي المنشور بذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ـ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٨٨ ـ ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١١٠ ـ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٠٧ .

وبوفاة عماد الدين زنكي انتهت الحلقة الاولى من سلسلة المحاولات الاسلامية في تكوين جبهة قوية متحدة لمقاومة الصليبيين وطردهم من بلاد الشام [١] .

وقد استطاع زيكي ان يؤسس في فترة قصيرة دولة قوية شملت حدودها ما بين شهرزور شرقا الى قرب سواحل سوريا غربا ، ومن آمد وديار بكر وجبال الاكراد شمالا الى الحديثة جنوبا [٢] ، وكان ظهور زنكي فاتحة عصر جديد كان النصر فيه حليف المسلمين [٣] ، وكانت خسارة المسلمين فادحة بقتل عماد الدين حتى لقد صاح أهل قلعة جعبر أنفسهم بالقاتل « لقد قتلت المسلمين كلهم بقتله » [٤] .

---

(١) حبشي : نور الدين والصليبيون ص ٤٠ .
(٢) انظر الخريطة رقم ١ .
(٣) فيليب حتي : تاريخ العرب مطول ج٣ ص ٧٦٢ .
(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٨٢ ـ عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٦١٠ .

جدول باسماء أتابكة الموصل ٥٢١ - ٦٣١ هـ

عمادالدين زنكي بن آق سنقر
٥٢١ - ٥٤١ هـ
مؤسس دولة الأتابكة في الموصل

سيف الدين غازي الأول
٥٤١ - ٥٤٤ هـ

قطب الدين مودود
٥٤٤ - ٥٦٥ هـ

سيف الدين غازي الثاني
٥٦٥ - ٥٧٦ هـ

عز الدين مسعود
٥٧٦ - ٥٨٩ هـ

نور الدين ارسلان شاه الأول
٥٨٩ - ٦٠٧ هـ

الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني
٦٠٧ - ٦١٥ هـ

نور الدين ارسلان شاه الثاني
٦١٥ - ٦١٦

ناصر الدين محمود
٦١٦ - ٦٣١ هـ

ارمينية الكبرى
ملازكرد
خلاط
وان
بحيرة وان
جبال
حصن كيفا
جبال الاكراد
كردستان
اقليم الجبال
الموصل
شهرزور
حلب
حماه
حمص
بعلبك
بحر الشام
قرقيسيا
الرحبة
بغداد
حدود اتابكية الموصل عند وفاة عماد الدين زنكي
في سنة ٥٤١ هـ سنة ١١٤٦ م

(٤)

انقسام الدولة الاتابكية بعد مقتل زنكي

ذكر المؤرخون انه بعد مقتل زنكي في قلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ حاول الملك ألب ارسلان (١) الاستيلاء على بلاد زنكى ، وهذه هي المرة الثانية التي يحاول الاستيلاء على البلاد . فقد سبق له ان امر بقتل الامير نصير الدين جقر نائب عماد الدين في الموصل وذلك في ذي القعدة من عام ٥٣٩ هـ منتهزا في ذلك فرصة انشغال زنكى في حصار قلعة ألبيرة بعيدا عن الموصل (٢) وكان ألب ارسلان هذا بصحبة زنكي على قلعة جعبر وما أن بلغه مصرع عماد الدين حتى بادر الى جمع العساكر واعداد العدة للتوجه الى الموصل للاستيلاء عليها (٣) .

وكان الوزير جمال الدين الاصفهاني في جملة العسكر المحاصر لقلعة جعبر ، فلعب دورا كبيرا في الحفاظ على البلاد وابقائها في ايدي اولاد

---

(١) الب ارسلان : هو ابن السلطان محمود السلجوقي كان ابوه قد سلمه الى عماد الدين بعد صدور قرار توليته على الموصل وعينه اتابكا له فبقي ملازما له في الموصل .

(٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٨ ، ابن الاثير : الباهر ص ٨٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٠٧ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٥ ص ٢٨ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ٤٦ . — ابن خلدون : ج٥ ص ٥٣٢ العيني : عقد الجمان ج ١/٢١ ص ١٤١ (مخطوط)

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ٧١ و ٧٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٩٦ .

صاحبه وولى نعمته عماد الدين زنكي ، فما أن شعر بتحرك اطماع ألب ارسلان حتى بادر الى الاتصال بالامير صلاح الدين الياغيساني لتوحيد جهودهما في احباط محاولة ألب ارسلان هذه ، فأرسل جمال الدين الى صلاح الدين يقول له « ان المصلحة ان تترك ما كان بيننا ورا ءظهورنا ، ونسلك طريقا يبقى به الملك في اولاد صاحبنا ، ونعمر بيته جزاء لاحسانه الينا ، فان الملك قد طمع في البلاد ، واجتمعت عليه العساكر . ولئن لم تتلاف هذا الامر في اوله ، وتتداركه في بدايته ليتسعن الخرق ، ولا يمكن رقعه فأجابه صلاح الدين الى ذلك ، وحلف كل واحد منهما لصاحبه [1] .

اتفق الرجلان على العمل معا لمواجهة ألب ارسلان والوقوف امام اطماعه في الاستيلاء على البلاد . فسارا الى ألب ارسلان لخدمته وضمنا له فتح البلاد ، واطمعاه فيها ، وهونا عليه امرها وقالا له : « ان أتابك كان نائبا عنك في البلاد وباسمك كنا نطيعه، فقبل قولهما وظنه حقا، وقربهما طمعا في أن يكونا عونا له على تحصيل غرضه » [2] .

وبذلك نجح كل من جمال الدين ، وصلاح الدين في كسب ثقة الب ارسلان ، فأوكل اليهما مهمة تنفيذ اهدافه لعلمه بالمكانة التي يتمتعان بها في الدولة الاتابكية ، فبادرا بالاتصال بالامير زين الدين علي بن بكتكين نائب زنكي في الموصل وأخبراه بمقتل عماد الدين واشارا عليه بان يسرع في استدعاء ولده سيف الدين غازي الى الموصل (وكان سيف الدين غازي مقيما في شهرزور وهي اقطاعه من أبيه) فاجابهما زين الدين الى ذلك ،

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) نفس المصدر : الباهر ص ٨٥ .

وارسل من يحضر غازي الى الموصل [١] .

اما نور الدين محمود وهو الابن الثاني لزنكي فانه بعد ان شهد مصرع أبيه أخذ خاتمه من يده وسار الى حلب فملكها في ربيع الآخر من سنة ٥٤١ هـ واخضع جميع ما كان لأبيه في بلاد الشام مثل الرها وحران وسروج وحمص وحماه [٢] .

وسار صلاح الدين الباغستاني الى الشام ليلتحق بخدمة نور الدين محمود ويدبر امور دولته [٣] ، وكان لصلاح الدين مدينة حماه وهي اقطاعه من زنكي فلما استقر نور الدين في حلب أخذ حماه منه وعوضه عنها بحمص وقلعتها [٤] .

أما جمال الدين الاصفهاني فقد انفرد بالملك ألب ارسلان ، بعد ذهاب صلاح الى الشام ، وأقنعه بالتوجه الى الرقة وحسن له الاشتغال بشراب الخمر ، وارسل اليه عددا من الجواري ، وشيئا من المال يهبه للمغنيات ، وهون عليه أمر البلاد ، ومنعه من اعطاء الامراء خوفا من أن تميل قلوبهم اليه .

---

(١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٩٠ ، ابن الاثير : الباهر ص ٨٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٠٧ ابن العبري ص ٢٠٧ .

(٢) الفارقي : تاريخ الفارقي المنشور بحاشية ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٦ ، العيني : عقد الجمان ج١/٢١ ص ١٥٩ — ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١١٣ ، ابن واصل : : مفرج الكروب ج١ ص ١٠٧ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ص ١١٠ .

وشرع جمال الدين في استمالة العسكر وتحليفهم لسيف الدين غازي . وكل من حلف يأمره بالمسير الى الموصل [1] .

وأقام ألب ارسلان بالرقة اياما سار بعدها مع اتباعه الى ماكسين [2]، فبقي هناك فترة من الزمن ثم رحل بعدها الى سنجار ، وهناك علم جمال الدين بدخول غازي الموصل واستقراره فيها ، فارسل جمال الدين الى دزدار قلعة سنجار يأمره بعدم تسليم البلد الى ألب ارسلان ، وأن يعتذر له بأنه تابع للموصل ومتى أخضعت الموصل سلمت لك سنجار [3] .

فعمل صاحب سنجار بما أشار عليه جمال الدين وأرسل الى ألب ارسلان يعلمه بولائه له وانه يريد منه أن يوجه قوته الى الموصل لاخضاعها .

ثم ان جمال الدين اقنع ألب ارسلان بضرورة المسير الى الموصل فوافق على ذلك وسار في قلة من عسكره الذين بقوا معه . فعبروا دجلة عند مدينة بلد [4] وهناك فارقه جمال الدين ودخل الموصل ، واجتمع بسيف الدين غازي وأخبره بقلة من مع ألب أرسلان من الجند فأرسلوا اليه

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٢٣ ، ابن واصل / مفرج الكروب ج١ ص ١٠٨ ـ ابن خلدون ج٥ ص ٥٣٤ .

(٢) ماكسين: بلدة في الخابور قرب رحبة مالك بن طوق في ديار ربيعة. ياقوت : ج٧ ص ٣٤٤ ـ ٣٦٧ ط مصر سنة ١٩٠٦ .

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ٨٦ ، ابن شامة : الروضتين ج١ ص ١٢١ .

(٤) بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما مسافة سبعة فراسخ واسمها ـ بالفارسية : شهراباذ . معجم البلدان : ج٢ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ .

الامير عزالدين أبا بكر الدبيسي في جماعة من جند الموصل فقبضوا عليه وأدخلوه الموصل فكان هذا آخر العهد به (١) .

وبعد أن تم الامر لسيف الدين غازي في الموصل أقر زين الدين على ابن بكتكين على ما كان عليه من ولاية الموصل ، واتخذ جمال الدين الاصفهاني وزيرا له تقديرا للجهود التي بذلها في سبيل المحافظة على البلاد واحباطه لحركة الملك ألب أرسلان .

وحلف السلطان مسعود لسيف الدين غازي وأقره على البلاد وأرسل اليه الخلع (٢) فقد كان سيف الدين لا يفارق خدمة السلطان مسعود بأمر والدة زنكي (٣) وذلك لم يتأخر مسعود عن الموافقة وتقرير البلاد لسيف الدين غازي عندما خوطب في ذلك .

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٨٤ ــ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٢١ . ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٠٩ ــ ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ٢٩
Kennerk M. Setton (ed). A History of the Crusades vol. I, Philadelphia 1958. p. 462

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٨٤ .

(٣) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٠٠ ، ابن الاثير : الباهر ص ٨٦ .

الفصل الثاني

العلاقات بين أتابكية الموصل وأتابكية حلب

٥٤١ هـ ـ ٥٦٩ هـ

(١) العلاقات في عهد سيف الدين غازي الاول (٥٤١ ـ ٥٤٤ هـ)

أ ـ زوال الجفوة بين الاخوين غازي ونور الدين

ب ـ مظاهر التعاون بين الاخوين

١ ـ حصار دمشق

٢ ـ اشتراك عسكر الموصل في فتح حصن العريمة

٣ ـ اشتراك عسكر الموصل مع قوات حلب في هزيمة الفرنج في أنب وفي افتتاح أفامية .

٤ ـ وفاة سيف الدين غازي وولاية قطب الدين مودود على الموصل .

(٢) العلاقات في عهد قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي (٥٤٤ ـ ٥٦٥) .

أ ـ توتر العلاقات بعد استيلاء نور الدين على سنجار

ب ـ تحسن العلاقات بين الموصل وحلب .

جـ ـ اشتراك جيش الموصل في فتح حارم سنة ٥٥٩ هـ .

د ـ اشتراك قطب الدين مع نور الدين في مهاجمة الصليبيين في طرابلس .

هـ ـ وفاة قطب الدين مودود وانتقال الحكم الى سيف الدين غازي الثاني .

(٣) العلاقات في عهد سيف الدين غازي الثاني حتى وفاة نور الدين في ٥٦٩ هـ .

أ ـ نور الدين يفرض نفوذه على الموصل .

ب ـ اشتراك الموصل في الجهاد ضد الفرنج .

جـ ـ الموقف السياسي في الموصل بعد وفاة نور الدين .

الفصل الثـــاني

العلاقات بين أتابكية الموصل وحلب (٥٤١ ـ ٥٦٩ هـ)

خلف عماد الدين زنكي في حكم الدولة الاتابكية ولـداه سيف الدين غازي في الموصل والجزيرة ، ونور الدين محمود في حلب ومـا جاورها من مدن الشام ، أما أخوهما نصرة الدين أمير أميران فقد حكم حران تابعا لاخيه نور الدين محمود في حين كان الاخ الرابع قطب الدين لا يزال في رعاية أخيه سيف الدين غازي بالموصل [1] .

وكان نهر الخابور هو الحد الفاصل بين أملاك سيف الدين غازي ونور الدين ، وبقيام أتابكتي الموصل وحلب انفصمت عرى الوحدة التي كانت تربط بينهما في عهد زنكي منذ سنة ٥٢٢ هـ . وهي السنة التـي دخلت فيها حلب تحت النفوذ الاتابكي [2] .

وكان من الطبيعي أن تقوم هنالك علاقات متينة ووثيقة بين أتابكية الموصل وأتابكية حلب بحكم روابط الاسرة الواحدة التي تتولى الحكم

---

(1) Steven Runciman, A history of the Crusades vot II pp 243 - 244

(2) Stevenson (W.B) : The Crusaders in the East, Cambridge 1907, p. 154

العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية طبعة القاهرة ١٩٦٣ ج١ ص ٥٣٤ . عاشور : الحركة الصليبية ـ طبعة القاهـرة ١٩٦٣ ج٢ ص ٦٢١ .

في البلدين واشتراكهما في الهدف وهو الجهاد ضد الفرنج في بلاد الشام ، ذلك الجهاد الذي بدأه عماد الدين وحمل رايته نور الدين بحكم وجوده في حلب ومجاورته للصليبيين .

وكانت حلب بالنسبة للموصل والبلاد الجزرية تشكل صمام الامان ، ذلك ان أي خطر تتعرض له هذه المدينة تترتب عليه نتائج خطيرة على بلاد الموصل والجزيرة .

وعلى هذا الاساس قامت العلاقات بين صاحب الموصل وأخيه صاحب حلب بعد وفاة والدهما ، ثم بين صاحب حلب والامراء الذين توالوا على حكم الموصل من أسرة زنكي ، وهي علاقات ودية تقوم على التعاون والدفاع المشترك الا في بعض الفترات القصيرة التي كان يتعكر فيها صفو هذه العلاقات الودية بحدوث بعض التوتر الموقوت الذي كان لا يلبث أن يتلاشى ويزول ويسود بينهما الاتفاق والالفة .

وفي هذا الفصل سنستعرض تلك العلاقات التي كانت قائمة ما بين الموصل وحلب منذ وفاة زنكي في ٥٤١ هـ ، وحتى وفاة نور الدين محمود في سنة ٥٦٩ هـ .

(١)

العلاقـات في عهد سيف الدين غازي الأول
٥٤١ ـ ٥٤٤ هـ

أ ـ زوال الجفوة بين الاخوين غازي ونور الدين :

استقر سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي في الموصل وبلاد الجزيرة بالاضافة الى بعض مدن من بلاد الشام كانت تخضع لنفوذه كحمص والرحبة والرقة (١) ، وكان على سيف الدين غازي أن يوجه اهتمامه نحو حلب لتقرير الامور بينه وبين أخيه نور الدين والتعاون معه لمواصلة سياسة أبيهما التي كانت ترمي الى مدافعة الصليبيين ، ولذلك كان غازي يرى ضرورة الاجتماع بينه وبين أخيه وتسوية الازمة التي نشأت بسبب الارث بعد وفاة والدهما عماد الدين .

فقد ذكر المؤرخون ان صاحب الموصل أرسل الى اخيه نور الدين طالبا حضوره عنده الا أن نور الدين تأخر في الحضور « وارسل الى أخيه يعتذر له بالفرنج خوفا على نفسه منه » (٢) . غير أن هؤلاء المؤرخين لم يذكروا من الاسباب ما يصلح لتبرير خوف نور الدين من أخيه صاحب الموصل وتأخره في الحضور عندما دعاه الى ذلك ، وليس من شك في ان العلاقات بين الاخوين تعرضت لازمة عارضة عقب مصرع والدهما في قلعة

---

(١) الرقة : بفتح اوله وثانيه وتشديده : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة ايام . ياقوت ج٤ ص ٥١٦ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ١٩٢ .

جعبر سنة ٥٤١ هـ ، ونعتقد أن سبب هذا التوتر في العلاقة بين الاخوين يرجع أساسا الى تصرف نور الدين بعد مقتل والده في قلعة جعبر واسراعه في العبور الى الشام والاستيلاء على حلب ، فقد ذكر المؤرخون أن نور الدين كان حاضرا لما قتل والده فأخذ خاتمه من يـده وسار الـى حلب فملكها [١] ، الوقت الذي كان فيه سيف الدين غازي وهو الاخ الاكبر لايزال في شهرزور ، وقد اعتبر غازي هذا العمل من جانب أخيه نور الدين خروجا على التقاليد المعروفة عند القبائل التركية التي تقضي بأن تكون السيادة فيها للابن الاكبر . ونضيف الى ذلك عاملا آخر هو اضطراب الموقف بعد مقتل عماد الدين بسبب تحرك ألب أرسلان للاستيلاء علـى البلاد منتهزا فرصة وجود سيف الدين غازي بعيدا عن مسرح الاحداث . وقد رأى غازي أنه كان يجب على نور الدين الوقوف بجانبه حتى تستقر الامور لهما في البلاد ، ومن ثم يستأذنه في العبور الى الشـام ، واعتبر سيف الدين اسراع أخيه في دخول حلب انفصالا واضح المعالم عن الدولة الاتابكية ، لان استئثار نور الدين بملك أبيه في الشام يعني تكوين حكم انفصالي في الشام عن دولة الاتابكة في الموصل وهو ما حدث فعلا الامر الذي دفع سيف الدين الى الالحاح في مطالبة نور الدين بالاجتماع لتسوية الامور والاتفاق بينهما [٢] .

وقد عمد سيف الدين الى ازالة هذا التوتر عن طريق مراسلته لاخيه واجتذابه اليه كما أنه لم يغضب ولم يعارض نور الدين عندما استولى على

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١١٢ ـ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول . طبعة بيروت ١٩٥٨ ص ٢٠٧ ـ ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٥ ص ٢٨ .

(٢) Claude Cahen : op. cit. p. 373

الرها التي كانت تدخل في منطقة نفوذ سيف الدين بعد محاولة جوسلين استردادها من المسلمين في اواخر سنة ٥٤١ هـ [١] .

والواقع أن سيف، الدين لم يتقاعس عن انقاذ الرها عندما علم باستيلاء جوسلين الثاني عليها ولكن عساكره وصلت بعد أن كان اخوه نور الدين قد استولى عليها فعلا [٢] .

ولم يزل سيف الدين يراسل نور الدين ويستميله « وكلما طلب شيئا أجابه اليه استمالة لقلبه » [٣] ونجح سيف الدين في ازالـــة الجفوة وتم الاتفاق بينه وبين اخيه على الاجتماع ليلا في الخابور وبصحبة كل منهما خمسمائة فارس ، ورأى سيف الدين أن أخاه نور الدين يشك في نياته نحوه فعمل على كسب ثقته ، وفي الموعد المقرر خرج سيف الدين مــن معسكره في خمسة فوارس فقط اثباتا لحسن نيته ، أما نور الدين فقد حضر ومعه خمسمائة فارس [٤] .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١١٤ ـ سبطا بن الجوزي : مـرآة الزمان ج٨ ص ١٩٢ ـ ابن العديم : زبدة الحاب ج٢ ص ٢٩٠ ـ ابن واصل: مفرج الكروب ج ١ صفحة ١١١ .

Runciman : op, cit ., vol, II pp. 239 - 240

Setton, (ed) . vol, I. p. 514.

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٨٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ١٢٩ .

ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١١١ .

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ٨٧ ـ ٨٨ ، ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٢٢ .

(٤) نفس المصدر الباهر ص ٨٨ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ١٩٢ .

وفي هذا الاجتماع اعتذر نور الدين لاخيه عن تأخره في الحضور ، واظهر له الطاعة والاحترام « وترجل له وقبل الارض بين يديه ، وقعدا سوية بعد ان اعتنقا وبكيا فقال له سيف الدين . لم امتنعت من المجيء الي، كنت تخافني على نفسك ؟ والله لم يخطر ببالي ما تكره فلمن اريد البلاد ومع من أعيش . وبمن اعتضد اذا فعلت لسوء مع اخي وأحب الناس الي فاطمأن نور الدين وسكن روعه وعاد الى حلب » (١) .

سار نور الدين بعد اتفاقه مع أخيه صاحب الموصل الى حلب حيث جمع العساكر وتجهز ثم عاد الى مقابلة اخيه سيف الدين غازي ، الا أن الاخير أمره بالعودة الى بلاده وقال :

« لا غرض لي في مقامك عندي . وانما غرضي أن نعلم الملوك والفرنج اتفاقنا ، فمن يريد السوء بنا يكف عنا ، فلم يرجع نور الدين ولزمه الى أن قضيا ما كانا فيه ، وعاد كل واحد منهما الى بلده (٢) .

ب ــ مظاهر التعاون بين الاخوين :

لقد كان سيف الدين غازي يخشى ان يستغل اعداؤه واعداء ابيه فرصة انفصال أخيه بحلب فيصطادون في الماء العكر ، وينقلب الاخوان الى عدوين يسعى كل منهما ضد الآخر ، ولذلك كان سيف الدين يدرك مدى اهمية الاتفاق والاتحاد مع أخيه صاحب حلب حرصا على وحدة الصف ، والظهور بمظهر القوة امام الاعداء والطامعين في بلادهم بعد أن تحركت

---

(١) نفس المصدر الباهر ص ٨٨ ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج١

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٨٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص١١٢

اطماع امراء المدن المجاورة ، وصاحب دمشق والصليبيين لاسترداد ما أخذ من بلادهم ايام عماد الدين زنكي [1] . وكان من ثمار الاتفاق بين سيف الدين ونور الدين تعاونهما المشترك في الجهاد ضد الصليبيين واشتراك عساكر الموصل جنبا الى جنب مع عساكر الشام في القتال ؛ وكان أول عمل تجلى فيه هذا التعاون هو اشتراكهما في الدفاع عن دمشق ضد الصليبيين الذين حاصرت قواتهم المدينة في الحملة الصليبية الثانية عام ٥٤٣ هـ ــ ١١٤٨ م .

١ ـ حصار دمشق :

في سنة ٥٤٣ هـ ــ ١١٤٨ م تجمعت جيوش الصليبيين الوافدين منهم في الحملة الصليبية الثانية بزعامة كونراد الثالث ملك المانيا ولويس السابع ملك فرنسا ، والامير الفونس جوردان كونت دي تولوز ، والقدامى منهم أمثال ريموند الثاني صاحب طرابلس لمحاصرة دمشق وتم اجتماعهم عند طبرية ، ومنها زحفوا عن طريق بانياس الى الغوطة فهاجموها في ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ يوليو ١١٤٨ م واستطاعت قواتهم أن تحتل بعض المراكز

---

(١) بعد مقتل زنكي . بادر حسام الدين تمرتاش فاسترد دارا وغيرها ، من الاملاك التي انتزعها زنكي ، وانتهز صاحب دمشق مجير الدين أبق بن طفتكين ، فحاصر بعلبك واجبر نجم الدين ايوب على تسليمها له ، وعوضه عنها ببعض الاقطاع ، ثم اتصل مجير الدين سرا بحكام حمص وحماة . وعقد معهما اتفاقيات تجعلهما يعترفان بالسيادة لدمشق ، ثم حاول جوسلين الثاني استرداد الرها من ايدي المسلمين ، ونجح في الاستيلاء على المدينة ، لكنه فشل في الاحتفاظ بها . (انظر ابن الاثير : الباهر ص ٩٠ ، ٨٦ ؛ ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٧ ، ومفرج الكروب ج١ ص ١١٠ ــ العيني عقد الجمان ج ٢١/١ ص ١٦٠ ، عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦١٦ ــ ٦١٧) .
Setton, (ed) : vol I p. 513.

والقرى الامامية خارج سور دمشق مثل المزة والربوة [١] وكان معين الدين أنر [٢] قد أرسل يستنجد بسيف الدين غازي « ويستصرخ بـــه ويخبره بشدة بأس الفرنج ويقول أدركنا » [٣] .

ولم يتردد صاحب الموصل في نصرة أنر ومؤازرته فبادر بالخروج لنجدة دمشق وعبر الفرات على رأس جيش كبير واستصحب معه أخـاه نور الدين ، ثم نزل الاخوان في مدينة حمص [٤] . وقبل أن يتحرك غازي بقواته نحو دمشق أرسل الى معين الدين أنر يعرض عليه أن يسلم دمشق الى أحد نوابه حتى ينتهي القتال ويرحل الصليبيون عن المدينة ثم يعيدها اليه وقال له « قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلادي فان انا جئت اليك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد نوابي واصحابي وكانت الهزيمة علينا لا يسلم منا احد لبعد بلادنا عنا وحينئذ يملك الفرنج دمشق وغيرها فان اردت ان القاهم واقاتلهم فتسلم البلد الى من أثق اليه وأنا أحلف لك ان كانت النصرة لنا على الفرنج انني لا آخذ دمشق ولا اقيم

---

(١)ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٣٨ ـ عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٦٣١ ـ ٦٣٢ .

(٢) كان صاحب دمشق هو مجير الدين بن محمد بن بوري بن طغتكين، ولكن لم يكن له من الامر شيء ، وكان الحكم الفعلي لمعين الدين أنر مملوك جده طغتكين فهو الحاكم والمدبر للبلد والعسكر (ابن الاثير : الباهر ص ٨٨)

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ١٩٧ ، ١٩٨ .
Setton (ed) , vol I p. 382.
Cahen, op cit. p. 382.

(٤)ابن الاثير : الباهر ص ٨٩ ـ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ صفحة ١٩٨ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٩١ ـ ابن واصل: مفرج الكروب ج١ ص ١١٢ ـ Setton (ed) vol I p. 509.

فيها الا مقدار ما يرحل العدو عنها واعود الى بلادي » [١] .

وكان سيف الدين على حق في موقفه من معين الدين أنر لما كان معروف عن الاخير من ارتباطه بعلاقات ومحالفات مع مملكة بيت المقدس ضد القوى الأسلامية المجاورة، حفاظا على نفوذه في دمشق، وكان الفرنج ينظرون الى أنر على انه الحليف الوحيد الذي يستطيع مساعدتهم في وقف تقدم نور الدين زنكي [٢] فخاف صاحب الموصل من أن يغدر معين الدين به ويصالح الفرنج ضد المسلمين فأصر على أن يتسلم دمشق ليقطع على أنر القيام بأي محاولة تعرض قوات سيف الدين غازي للخطر . وكان معين الدين يعلم كل العلم كراهية أهل دمشق له وتطلعهم الى الخلاص منه . فعمل على الخروج من هذا المأزق دون أن يضطر الى الاستعانة بقوات سيف الدين وقبول شروطه ، فتجاهل الرد على سيف الدين، وماطله لينظر ما يكون من الفرنج [٣] ، واستغل معين الدين في نفس الوقت تهديد غازي للصليبيين فاستخدمه سلاحا يرغمهم به على الرحيل من دمشق وأرسل يقول لهم « ان ملك الشرق قد حضر فان رحلتم والا سلمت البلد اليه ، وحينئذ تندمون» [٤]. كذلك استغل أنر التوتر القائم بين الصليبيين الوافدين وبين القدامى منهم في الشام فعمل على الاستفادة منه عن طريق بذر الشقاق بينهم فأرسل الى الفرنج المستوطنين في بلاد الشام يقول « بأي عقل تساعدون هؤلاء علينا ، وانتم تعلمون انهم ان ملكوا دمشق

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٨٩ ، ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٣٨ .
Setton (ed) vol I p. 509

(٢) باركر : الحروب الصليبية ص ٩٥ ط مصر ١٩٦٠ .

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ٨٩ — ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٣٨.

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٣٠ .

اخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحلية. واما انا فان رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين ، وانتم تعلمون انه ان ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام في الشام (١) .

ونجحت مساعي أنر في حمل الصليبيين على الرحيل عن دمشق بفضل ما بذله لهم من الرشوات وما وعدهم به من دفع الجزية (٢) وكان ثمن هذا الاتفاق تنازل معين الدين عن بانياس للفرنج (٣) .

وهكذا ساهمت قوات الموصل وحلب عن طريق غير مباشر في ارغام الصليبيين على الرحيل عن دمشق وبث الرعب والخوف في صفوفهم لما بلغهم من كثرة تلك القوات والحشود وتتابع الامداد اليها (٤) .

٢ ـ أشتراك عسكر الموصل في فتح حصن العريمة :

سار معين الدين أنر الى بعلبك بعد ان تم رحيل الفرنج عن دمشق فأرسل الى نور الدين زنكي وكا نحينذاك لا يزال مجتمعا مع أخيه سيف الدين في حمص يسأله الحضور الى بعلبك فأجابه نور الدين واجتمع

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١٣٠ .

(٢) باركر : الحروب الصليبية طبعة مصر ١٩٦٠ ـ ترجمة د ـ الباز العريني ص ٩٦ . Setton (ed) vol, I, p. 509

(٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١٣١ ـ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ١٩٨ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١١٢ ـ العيني: عقد الجمان ج ١/٢١ ص ١٨٠ ـ باركر : الحروب الصليبية ص ٩٦ ـ عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٦٣٤ و ٦٣٥ .

(٤) ذكر المؤرخ ابن كثير انه اجتمع لدى سيف الدين ونور الدين من القوات ما بلغ عددها سبعون الف مقاتل (البداية والنهاية : ج١٢ ص ٢٦٦).

به هناك[1] وفي اثناء وجود نور الدين ومعين الدين أنر في بعلبك وصل كتاب من ريموند لثاني صاحب طرابلس يحثهما فيه على قصد حصن العريمة وانتزاعه من الفرنج[2] ولم يتردد نور الدين في اغتنام هذه الفرصة فسارع الى العريمة بصحبة معين الدين وارسلا الى سيف الدين في حمص يستمدانه فأمداهما بفرقة من جيشه بقيادة عز الدين ابي بكر الدبيسي ، فشدد المسلمون الحصار على الحصن وتقدم النقابون الى السور فاثروا فيه فاضطر الفرنج الى التسليم واستولى المسلمون على الحصن واسروا كل من كان فيه ومن جملتهم برتران نفسه وأمه . وعاد نور الدين الى حلب ومعه أسيراه ، أما عساكر الموصل فقد عادت الى حمص حيث كان يعسكر سيف الدين ومن هناك قفلت عائدة الى الموصل [3] .

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ٩٠ . ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٤٢ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٠ — ابن الاثير : الباهر ص ٩٠ — ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٤٢ — ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ١٩٢ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١١٤ .

(كان الامير الفونس جوردان بن ريموند ذي سان جيل كونت طولوشه قد قدم ضمن الحملة الصليبية الثانية وبصحبته ابنه برتران ، غير ان الفونس جوردان — لم يلبث ان توفي في ظروف غامضة في مدينة قيسارية بعد ايام من وصوله الى عكا . وقد استطاع برتران ان ينتزع قلعة العريمة من ريموند الثاني صاحب طرابلس ثم سعى بعد ذلك للتغلب على كل كونتية طرابلس ، فاضطر ريموند الى مكاتبة نور الدين محرضا اياه على مهاجمة حصن العريمة) .

انظر : : Stevenson, p. 164 عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في العصر الاسلامي صفحة ١٦٠ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٠ — ٣٠١ — ابن الاثير : الباهر ص ٩٠ — ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٩٢ — ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١١٤ — العيني : عقد الجمان ج ١/٢١ ص ١٨٣ .

٣ ـ اشتراك عسكر الموصل مع قوات حلب في هزيمة الفرنج في أنب وفي افتتاح افامية :

في أوائل سنة ٥٤٤ هـ ـ ١١٤٩ م جمع ريموند صاحب انطاكية قواته لمهاجمة اعمال حلب فارسل نور الدين محمود يستنجد بمعين الدين أنر صاحب دمشق فامده بالامير مجاهد الدين بزان بن مامين في فرقة من عسكر دمشق في اوائل صفر من عام ٥٤٤ هـ واحتشدت الجيوش لدى نور الدين من مختلف الاطراف [١] .

وقد ساهم سيف الدين غازي في هذه الواقعة وارسل عساكره الى الشام تلبية لنداء أخيه نور الدين فخرج بهم الى انطاكية [٢] ودارت المعركة بين قوات نور الدين والفرنج في ـ أنب ـ [٣] فانهزم الفرنج هزيمة منكرة ، ولم ينج منهم الا النفر القليل وكان من بين القتلى البرنس صاحب انطاكية فحمل رأسه الى نور الدين وذلك في صفر سنة ٥٤٤ هـ [٤] .

ثم نزل نور الدين بقواته على باب انطاكية وترددت الرسل بينه وبين الفرنج ، ثم ترك فرقة من عسكره عليها وزحف بمن معه نحو حصن

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٤ ـ ابو شامة : الروضتين جزء ١ صفحة ١٤٩ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ١٢٥ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٠١ .

(٣) أنب ـ حصن من اعمال اعزاز من نواحي حلب ـ ياقوت : ج١ ص ٣٤٢ .

(٤) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٠١ ـ ابو شامة : الروضتين ج١ ص١٥٠ .
Runciman : vol II pp 326 - 327 - 328
Cahen, p. 383

« افامية » [1] وكان قد رتب الامير صلاح الدين الياغيسياني في فرقة من العسكر لحصارها ، فلما بلغ أهلها ما حل بصاحب انطاكية أذعنوا الى التسليم وطلبوا الامان وسلموا البلد في ربيع الاول من سنة ٥٤٤ هـ [2] ، وعادت عساكر الموصل الى قواعدها بعد أن ادت واجبها المقدس في الدفاع عن الوطن والمشاركة في الجهاد ضد الفرنج .

٤ ـ وفاة سيف الدين غازي وولاية قطب الدين مودود على الموصل :

لم يطل العهد بسيف الدين غازي اذ لم يلبث ان توفي بالموصل في جمادي الآخرة من سنة ٥٤٤ هـ ودامت ولايته على الموصل ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما . ودفن بالمدرسة التي بناها في الموصل [3] .

وكان قطب الدين مودود أخو سيف الدين غازي مقيما عند وفاة أخيه ، بالموصل فاتفق جمال الدين الاصفهاني ، وزين الدين على كوجك

---

(١) افامية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص ياقوت ج١ ص ٢٩٨ .

(٢)ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٥ ـ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٥٠ ـ ١٥١ (ذكر المؤرخ ابنن الاثير هذه الواقعة بعد وفاة سيف الدين غازي ٥٤٤ هـ لكنه لم يحدد الشهر ولم يذكر اشتراك عساكر الموصل فيها ، وبعد الرجوع الى المصادر العربية ، كذيل تاريخ دمشق ومرآة الزمان وابى شامة ، تبين ان هذه الحادثة وقعت في شهر صفر من سنة ٥٤٤ هـ في حين ان سيف الدين غازي توفي في جمادي الآخرة سنة ٥٤٤ هـ اي ان بين وفاته وهذه الحادثة اربعة اشهر وليس من المعقول أن يستنجد نور الدين بمعين الدين انر وغيره ويترك اخاه سيف الدين غازي على الرغم من ارتباطه معه بعلاقات المودة وتعاونه معه في الجهاد ضد الفرنج) .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٣٨ ـ سبط ابن الجوي « مرآة الزمان ج٨ ص ٢٠٤ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٢٧ .

أمير الجيش على أن يستخلف قطب الدين أخاه على الموصل فأحضراه من داره وحلفا له ثم حلف له الامراء والاجناد في الموصل وتسلم جميع ما كان لاخيه غازي من البلاد التابعة لاتابكية الموصل [1] .

---

(۱) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٠٥ ـ ابن الاثير : الباهر ص ٩٢ ـ ٩٤ سبط الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٠٤ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٩٦ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١١٧ ـ العيني : عقد الجمان ج ١/٢١ ص ١٩٣ .

(٢)

العلاقات في عهد قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي

٥٤٤ ـ ٥٦٥ هـ

تعرضت العلاقات مع حلب في بداية حكم قطب الدين لازمة خطيرة كادت تؤدي الى اندلاع الحرب بينه وبين نور الدين لولا ان تدارك قطب الدين الامر ووضع حدا للنزاع بينهما .

وتعود اسباب هذه الازمة الى أن بعض الامراء في الموصل واعمالها ، وفي مقدمتهم المقدم عبد الملك ، والد شمس الدين محمد ، صاحب سنجار، راسلوا نور الدين ليتسلم البلاد بعد وفاة سيف الدين باعتبا رانه اكبر سنا من أخيه قطب الدين (١) . ويضيف ابن الاثير سببا آخر دفع هؤلاء الامراء الى استدعاء نور الدين هو كراهيتهم وحسدهم للوزير جمال الدين وللامير الجيش زين الدين على كوجك للمكانة التي كانا يتمتعان فيها بالموصل (٢).

أ ـ توتر العلاقات بعد استيلاء نور الدين على سنجار :

لم يكن نور الدين يزهد فيما عرضه عليه هؤلاء الامراء ، اذ كان يعتبر نفسه بعد وفاة اخيه غازي صاحب الحق الاول في ضم اتابكيـــة الموصل بحجة توحيد الجبهة الاسلامية امام الخطر الصليبي ، فلا غرابة

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص١٣٩ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٩٦ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١١٨ .

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٩٥ .

اذن في ان يجد مطلب صاحب سنجار استجابة لدى نور الدين الذي لم يتردد في اغتنام هذه الفرصة واسرع مجدا نحو سنجار بصحبة سبعين فارسا من أكابر دولته وأمرائه وفيهم أسد الدين شيركوه ، ومجد الدين أبي بكر بن الداية (٣) .

وكانت اخبار مكاتبة المقدم لنور الدين قد بلغت حكام الموصل فأرسلوا يستدعونه اليهم فعمد المقدم الى الابطاء في التوجه الى الموصل أملا في وصول نور الدين في هذا الاثناء فيضع حدا لذهابه الى الموصل . الا ان نور الدين لم يصل فاضطر المقدم الى ترك ولده شمس الدين في سنجار واتفق معه على أن يرسل اليه من يخبره بوصول نور الدين في الوقت المناسب . وفعلا وصل نور الدين الى سنجار ونزل بظاهرها وارسل من يخبر ابن المقدم بوصوله ، فارس شمس الدين رسولا الى والده فادركه في تليعفر (٤) فعاد المقدم وسلم سنجار الى نور الدين حسب اتفاقه معه (٥) .

وما أن استقر نور الدين بسنجار حتى استعد لمواجهة اخيه قطب الدين فارسل الى فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا يطلب اليه انجاده بالعساكر ووعده بأن يقطعه قلعة الهيثم وكان بين نور الدين وصاحب

---

(٣) نفس المصدر : الباهر ص ٩٥ ــ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٩٦ ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١١٨ ــ ابن الفرات تاريخ الدول والملوك مخطوط ج٧ ص ٥٢ .

(٤) تليعفر : قلعة وربض بين سنجار والموصل وسط واد فيه نهر جار وهي على جبل منفرد حصينة محكمة ــ ياقوت : ج٢ ص ٤٠٢ ــ ٤٠١ .

(٥) ابن الاثير : الباهر ص ٩٥ ، ٩٦ ــ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٩٧ ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١١٩ ــ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٢٦ .

الحصن علاقات حسنة فلم يتردد قرا ارسلان في الحضور بعساكره الى سنجار (٦) .

وكان رد الفعل عنيفا في الموصل بعد دخول نور الدين سنجار فقد اعتبر قطب الدين هذا العمل من قبل نور الدين اعتداء مباشرا على بلاده باعتبار ان سنجار ولاية تابعة لاتابكية الموصل ولا يحق لصاحب حلب أن يضمها الى املاكه ، فتجهز قطب الدين وخرج بعساكره نحو سنجار وكان يصحبه وزيره جمال الدين الاصفهاني وامير جيشه زين الدين على فنزل بتليعفر (٧) .

وارسل جمال الدين وزين الدين الى نور الدين كتابا ينكران عليه اقدامه على اخذ سنجار واعتداءه على املاك اخيه قطب الدين مودود، وهدداه بقصده ان هو لم يرحل عن البلد . ولم يعبأ نور الدين بتهديدهم له وارسل يقول : « انني انا الاكبر واني احق ان ادبر امر اخي منكم وما جئت الا لما تتابعت الى كتب الامراء يذكرون كراهيتهم لولايتكما عليهم ، فخفت ان يحملهم الغيظ والانفة على اخراج الامر عن ايدينا ، وأما تهديدكم اياي بالحرب والقتال فانا لا اقاتلكم الا بجندكم (٨) » .

---

(٦) ابن الاثير : الباهر ص ٩٦ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٩٧ ـ ابن واصل مفرج الكروب ج١ ص ١١٩ ـ ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ج٧ ص ٥٢ ـ العيني : عقد الجمان ج ١/٢١ ص ١٩٤ .

(٧) ابن الاثير : الباهر ٩٦ ـ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٧٣ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٩٧ ٢ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ص١١٩ ـ ابن الفرات : تاريخ الدول ـ والملوك ج ٧ ص ٥٢ .

Setton (ed) : vol, I p. 516.

(٨) ابن الاثير : الباهر ص ٩٦

ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٧٣ .

ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٢٠ .

وعبارة نور الدين الاخيرة « لا اقاتلكم الا بجندكم » تتضمن اشارة الى ان جماعة من عسكر الموصل انفصلوا عن جيش قطب الدين وانضموا الى قواته في سنجار ، فاضعف ذلك امراء الموصل وخافوا ان ينقسم الجيش ويفلت الزمام من أيديهم فمالوا الى الصلح ، وقد اشار الوزير جمال الدين به تقديرا منه للظروف التي تحيط بالدولة الاتابكية وما يسببه اختلاف قطب الدين واخيه نور الدين من تحرك اطماع السلاجقة والصليبيين في البلاد الامر الذي يؤدي الى تحول ميزان القوى في المنطقة لصالح هؤلاء الاخيرين • وقد برر جمال الدين ميله للصلح موضحا اهمية عقده بقوله « نحن نظهر للسلطان والخليفة اننا تبع نور الدين ، ونور الدين يظهر للفرنج انه بحكمنا ويتهددهم بنا ، فان كاشفناه وحاربناه فان ظفر بنا طمع فينا السلطان وان ظفرنا به طمع فيه الفرنج [٩] •

كان رأي جمال هذا يتضمن تحليلا دقيقا للموقف السياسي والعسكري الذي كان يحيط بدولة الاتابكة في تلك الظروف • فاشار جمال الدين على قطب الدين ان يتنازل عن حمص والرحبة والرقة لنور الدين في مقابل ان يرحل عن سنجار على اعتبار ان سنجار اقرب الى الموصل وانها اهم معاقل الجزيرة تأثيرا على الموصل ، ولم يتردد قطب الدين في قبول هذا العرض واتفق الجميع على أن يذهب جمال الدين لمقابلة نور الدين في سنجار وعقد الصلح معه على هذه القواعد • وسار الوزير الى سنجار وتم الاتفاق على أن يتخلى نور الدين عن سنجار لاخيه قطب الدين ويأخذ حمص والرحبة والرقة ، ورحل نور الدين الى الشام بعد

---

(٩) ابن الاثير : الباهر ص ٩٦ .
ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٧٣

أن اخذ كل ما كان بسنجار من الاموال والذخائر [١٠] .

ويجب أن نقف عند هذه الحادثة لنعلل الاسباب الحقيقية التي كانت وراء اندفاع نور الدين واسراعه في الاستيلاء على سنجار ، فنحن نعتقد ان هناك سبب آخر يكمن وراء تلهف نور الدين هذا . ذلك ان سنجار كان تزخر بالاموال والذخائر التي اودعها عماد الدين زنكي في قلعتها [١١]، وكان المقدم عبد الملك قد افضى الى نور الدين بهذا اسر وأخبره بان « خزائن بيت أتابك جميعها في سنجار » [١٢] فتطلع نور الدين الى الاستيلاء على هذه الاموال لينفقها على عساكره الكثيرة التي تأخذ على عاتقها مهمة طرد الصليبيين عن بلاد الشام ، وجاءت الفرصة عندما عرض ابن المقدم صاحب سنجار على نور الدين الحضور ليتسلم البلد فسارع نور الدين ودخل سنجار . وعندما تم الاتفاق بينه وبين اخيه قطب الدين أخذ نور الدين كل ما كان بسنجار من الاموال والذخائر ، وقد ذكر ابن الاثير مقدار ما حمله نور الدين منها فقال : « وعاد الى حلب ومعه خزائن سنجار على ستمائة جمل ماخلا البغال وما فرقه على أولاد الملوك والامراء وستة وتسعين بغلا محملة ذهبا » [١٣] .

ومهما كانت اسباب استيلاء نور الدين على سنجار فان الازمة انتهت بين الاخوين وعاد الوفاق بينهما واتحدت آرائهما واتفقت كلمتهما وانعكس

---

(١٠) ابن الاثير : الباهر ص ٢٩٧ ــ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١٧٣ ــ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٩٨ ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٢٠ .

Runciman : II pp 336 - 335

(١١) ابن الاثير : الباهر ص ٨٠ ــ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ١١٢ .

(١٢) نفس المصدر : الباهر ص ٩٨ .

(١٣) نفس المصدر : الباهر ص ٩٨ .

ذلك في تعاونهما المشترك في الجهاد ضد الصليبيين في الشام .

ب ـ تحسن العلاقات بين الموصل وحلب :

وقد بلغ من اتفاق الاخوين وثقتهما المتبادلة أن اقدم نور الدين في عام ٥٥٤ هـ على اختيار قطب الدين ليخلفه في حكم بلاده عندما احس بضعفه ومرضه (١٤) .

ففي سنة ٥٥٣ هـ عرض لنور الدين مرض خطير اوشك فيه علـى الهلاك وارجف بموته في حلب فاستدعى اليه أمراءة وكبار رجال دولته وخاطبهم فيمن سيوليه الحكم من بعده وقال لهم « انني قد عزمت على وصية اليكم بما وقع في نفسي ، فكونوا لها سامعين مطيعين وبشروطهـا عاملين انني مشفق على الرعايا وكافة المسلمين ممن يكون بعدي من الولاة الجاهلين والظلمة الجائرين ، وأن أخي نصرة الدين (أمير اميران) أعرف من اخلاقه وسوء افعاله ما لا أرتضى معه بتوليته أمرا من امور المسلمين ، وقد وقع اختياري على اخي الامير قطب الدين مودود متولي الموصل وخواصة ، لما يرجع اليه من عقل وسداد ودين وصحة اعتقاد بأن يكون في منصبي بعدي والساد لثلمة فقدي ، فكونوا لامره بعدي طائعين ، ولحكمه سامعين فحلفوا له » (١٥) .

واسرع نور الدين فانفذ الى اخيه قطب الدين وفدا لاحاطته بالموقف واتفاق الامراء على توليته العهد بعد نور الدين وطلب اليه الحضور بعساكره

(١٤) Cahen , p. 398

(١٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٥ ـ ابو شامة: الروضتين ج١ ص ٣٠٥ .

الى الشام (١٦) فتجهز قطب الدين مودود وخرج على رأس جيشه من الموصل ، فوصلته الاخبار بتحسن صحة اخيه نور الدين ، وابلاله من مرضه فأقام بحيث هو وأرسل وزيره جمال الدين الأصفهاني الى دمشق لمقابلة نور الدين والوقوف على تطورات الموقف هناك ، فوصل الوزير الى دمشق في ٨ صفر ٥٥٤ هـ واجتمع بنور الدين وابلغه استعداد قطب الدين ووضع امكانياته في خدمته ، فشكره نور الدين على ذلك وحمله من الهدايا الشيء الكثير تعبيرا عن شكره على مشاعر أخيه قطب الدين وأنفذ معه الامير أسد الدين شيركوه لتقديم الشكر الى صاحب الموصل (١٧) .

وسار نور الدين بعد ذلك الى حران وانتزعها من اخيه نصرة الدين امير أميران لمحاولته الاستيلاء على حلب اثناء مرضه ، واقطع حران الى زين الدين على نائب اخيه قطب الدين في الموصل وفوض اليه تدبير امورها (١٨) .

ج ـ اشتراك جيش الموصل في فتح حارم سنة ٥٥٩ هـ

في سنة ٥٥٩ هـ ١٩٦٤ م عزم نور الدين على قصد الفرنج في الشام ليشغلهم عن مساعدة عموري ويرغمه على ترك مصر وعدم التدخل في شئونها ومحاربة قائده أسد الدين شيركوه ، فنزل نور الدين الى حلب ، وأرسل يستدعي الجيوش من الاطراف للمشاركة في الجهاد ، فحضر قطب

(١٦) Setton (ed) : vol, I, p. 522

(١٧) ابو شامة الروضتين ج١ ص ٣٠٦ .

(١٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٣٢ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٣٠٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٣٠٩، ٣١٠ ـ ابن واصل: مفرج الكروب ج١ ص ١٣٠.

الدين مودود بعساكر الموصل . كما اشترك في هذه الحملة فخر الدين قرا أرسلان صاحب حصن كيفا . ونجم الدين البي صاحب ماردين [١٩] .

وكان الفرنج قد جمعوا شملهم في غياب عموري الاول لمواجهة نور الدين وحلفائه فاشترك في الدفاع مع بوهيمند الثالث Bohémond III امير انطاكية ، ريموند الثالث Raymond III امير طرابلس ، وقسطنطين كولومان Coloman حاكم قيلقية البيزنطي ، وتوروس الثاني Thoros II الامير الارمني [٢٠] بالاضافة الى جماعات الاسبتارية والداوية ، وسار الجميع الى حارم . وكان نور الدين قد ضرب الحصار حولها ونصب عليها المجانيق ، فترك نور الدين حصارها واتجه نحو أرتاح [٢١] املا في استدراج الصليبيين وابعادهم عن البلاد فساروا ونزلوا على « عم » [٢٢] لكنهم لم يلبثوا ان عادوا الى حارم فتبعهم نور الدين ، ودارت المعركة في رمضان من سنة ٥٥٩ هـ اغسطس ١١٦٤ م وانتهت بهزيمة الصليبيين هزيمة منكرة قتل فيها بضعة آلاف من فرسانهم واسر معظم امرائهم وسيقوا الى حلب نذكر منهم : بوهيمند الثالث امير انطاكية ، وريموند الثالث امير طرابلس وجوسلين الثالث دي كورتناي وهيو الثاني

---

(١٩) ابن الاثير : الباهر ص ١٢٢ ، ١١٢٣ — سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٤٦ — ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٣١٨ — ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٤٣ . R. C. Smail : p, 69

(٢٠) ابن الاثير : الباهر ص ١٢٤ — عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٦٨٥ .

(٢١) ارتاح : حصن في منطقة العواصم اصبحت من اعمال حلب . ياقوت ج١ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢٢) عم : قرية من اعمال حارم ذات عيون واشجار تقع في منتصف الطريق بين حلب وانطاكية . ياقوت : ج٦ ص ٢٢٥ .

لوزجنان وحاكم قيلقية البيزنطي الذي كان يعرف بالدوك مقدم الروم [٢٣] ويذكر كاهن ورونسمان انه لم ينج من امراء هذه الحملة سوى توروس الارمني واخوه ملح Melh [٢٤] .

وقد لعب عسكر الموصل دورا كبيرا في هذه المعركة وتحقيق النصر على القوات الصليبية ففي خلال المعركة « عطف زين الديـن في عسكر الموصل على راجلهم فأفناهم قتلا وأسرا » [٢٥] .

وعقب انتصار نور الدين الساحق سار الى حارم فاستولى عليها في ٢١ رمضان من عام ٥٥٩ هـ اغسطس ١٩٦٤ هـ ، ثم بث سراياه في اعمال انطاكية فنهبوها واسروا عددا كبيرا من اهلها ثم اذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعودة الى بلادهم . اما هو فقد سار بمن معه الى بانياس واستولى عليها في أواخر ٥٥٩ هـ ـ اكتوبر ١١٦٤ م [٢٦] .

---

(٢٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٢٥ ـ ابو شامة : الروضتين ج٣ ص ٣٣٩ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٣١٩ ـ سالم : طرابلس الشام في العصر الاسلامي ص ١٦٠ .

(٢٤) Cahen, p. 409
Runciman : vol. II. p, 369.

(٢٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٢٤ ـ ابو شامة : الروضتـــين ج٢ ص ٣٤١ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٣١٩ .

(٢٦) ابن الاثير : الباهر ص ١٢٥ ـ ١٣٠ ـ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٣٤٢ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٣١٢ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

د ـ اشتراك قطب الدين مع اخيه نور الدين في مهاجمة الصليبيين في طرابلس:

في سنة ٥٦٢ هـ ١١٦٧ م اتفق نور الدين محمود مع قطب الدين مودود صاحب الموصل على الاغارة على كونتية طرابلس ، فقد استغل نور الدين سوء الاوضاع في امارة طرابلس بعد وقوع اميرها ريموند الثالث في اسره وعزم على مهاجمتها فأرسل الى أخيه طالبا موافاته بعساكره ، فتجهز قطب الدين وسار مع زين الدين علي وعبر الفرات واجتمع بنور الدين في حمص ثم غارا على النواحي المحيطة بحصن الاكراد ، ثم اتجها الى الشمال الشرقي من طرابلس فنزلا بقواتهما على عرقة [٢٧] وحاصرا جبلة [٢٨] وخرباها ثم استولى الاخوان على العريمة وصافينا ، وعاد قطب الدين بعد ذلك مع اخيه الى حمص حيث صاما شهر رمضان هناك وسارا بعد ذلك الى بانياس فقصدا قلعة هونين فخربا سورها وأراد نور الدين الدخول الى بيروت ولكنه عدل عن ذلك بسبب تبرم جنده ورغبتهم في التفرق اما قطب الدين فقد عاد بجيش الموصل بعد أن أقطعه نور الدين مدينة الرقة على الفرات وكانت له فأخذها في طريقة [٢٩] .

هـ ـ وفاة قطب الدين مودود وانتقال الحكم الى سيف الدين غازي الثاني :

وانتهت بوفاة قطب الدين مودود في ٥٦٥ هـ صفحة مجيدة من تاريخ

---

(٢٧) عرقة : بلدة في شرق طرابلس بينهما اربعة فراسخ وهي في سفح جبل بينها وبين البحر ميل وعلى جبلها قلعة : ياقوت .

(٢٨) جبلة : قلعة مشهورة بمنطقة الساحل من اعمال حلب قرب اللاذقية . ياقوت ج٣ ص ٥١ ـ ٥٤ .

(٢٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ ابو شامة الروضتين ج٢ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٥٢ ـ الذهبي : دول الاسلام ج ٢ ص ٥٤ ـ Setton, (ed) vol. I. p. 525. سالم : طرابلس الشام ص ١٦٠ .

الجهاد الذي شاركت فيه الموصل والجزيرة ضد القوى الصليبية في بلاد الشام ، قال ابن الاثير (كان قطب الدين حسن الاتفاق مع اخيه الملك العادل نور الدين كثير المساعدة له والانجاد بنفسه وعسكره وامواله ، حضر معه المصاف بحارم وفتحها وفتح بانياس ، وكان يخطب له في بلاده باختياره من غير خوف) [٣٠] .

وكان قطب الدين قبل وفاته قد اوصى بالملك من بعده لولده الاكبر عماد الدين زنكي الا ان فخر الدين عبد المسيح نائب قطب الدين استطاع بالاتفاق مع الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش وزوجة قطب الدين أن يحول دون توليه عماد الدين وأخذ العهد لولدها سيف الدين غازي الثاني [٣١] .

وكان السبب الذي دفع فخر الدين الى ابعاد عماد الدين عن الولاية هو خوفه منه لطول اقامته عند عمه نور الدين محمود وزواجه من ابنته ، وكان نور الدين يكره فخر الدين هذا « لظلم كان فيه ويلوم اخاه قطب الدين على تولينه الامور » [٣٢] فعمل فخر الدين على ابعاد زنكي عن الحكم خوفا من ان يتصرف في اموره عن أمر عمه نور الدين فيعزله [٣٣] .

---

(٣٠) ابن الاثير : الباهر ص ١٤٩
(ذكر ابن الاثير في ص ١٣٠ ان نور الدين فتح بانياس بعد ان اذن لعسكر الموصل وديار بكر في العودة الى بلادهم) .

(٣١) نفس المصدر : الباهر ص ١٤٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٣٣١ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٤٧٢ ، ابن الموصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٩٠ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٣ .

(٣٢) ابن الاثير : الباهر ص ١٤٦ .

(٣٣) نفس المصدر : الباهر ص ١٤٦ ، ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٤٧٢ .

واستقر الامر لسيف الدين غازي وأصبح فخر الدين عبد المسيح يصرف الامور في البلاد وليس لسيف الدين من الامر الا اسمه فقد كان في عنفوان شبابه [٣٤] .

---

(٣٤) ابن الاثير : الباهر ص ١٤٦ .
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٧ ص ٥٣ .
العيني : عقد الجمان ج٢١ ص ٤٦٣ .

(٣)

العلاقات في عهد سيف الدين غازي الثاني حتى وفاة نور الدين في ٥٦٩ هـ

أ ـ نور الدين يفرض نفوذه على الموصل :

كان لانتقال الحكم في أتابكية الموصل بعد وفاة قطب الدين الى ابنه سيف الدين غازي الثاني وحرمان ولده الاكبر عماد الدين زنكى وانفراد فخر الدين عبد المسيح تتائج سياسية خطيرة أدت الى خضوع أتابكية الموصل لنفوذ نور الدين مباشرة فضلا عن انكماش رقعتها بسبب اقتطاع بعض املاكها في الجزيرة .

فبعد وفاة قطب الدين سار ولده عماد الدين زنكي الى عمه نور الدين شاكيا له ومستنصرا به ليعينه على أخذ الملك لنفسه باعتباره أحق بالولاية من اخيه سيف الدين غازي الثاني ، وكان نور الدين قد بلغه وفاة اخيه قطب الدين وتحكم فخر الدين عبد المسيح عليه « فأنف لذلك وكبر لديه وشق عليه » وقال « أنا اولى بتدبير بني أخي وملكهم » (١) .

ولم يتردد نور الدين في اغتنام هذه الفرصة لقصد الموصل ، فاسرع بقلة من الجند وعبر الفرات عند قلعة جعبر في شهر المحرم من سنة ٥٦٦هـ وقصد الرقة وكانت من أملاك أخيه سيف الدين فامتنع النائب بها لكنه

---

(١) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٢ ـ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٤٧٥ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٩١ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٦ ص ٣٨٤ .

لم يلبث أن أذعن لنور الدين وسلمه البلد (٢) . ثم تابع نور الدين تقدمه نحو الموصل فاستولى على الخابور جميعه وأخذ نصيبين فأقام بهـا يجمع العساكر* ويحشد الحشود اذ كان قد ترك اكثر جنده في الشام لحفـظ ثغوره من الفرنج فحضر لديه من امراء الاطراف نور الدين محمد بن قرا أرسلان الارتقى صاحب حصن كيفا وديار بكر ، وسار نور الدين بمن اجتمع معه من العسكر الى سنجار فحاصرها وأقام عليها المجانيق وكان بها فرقة من عسكر الموصل ، وجاءته رسل الامراء في الموصل يستحثونه على القدوم اليهم وأشاروا عليه بترك سنجار الا ان نور الدين أصر على افتتاحها فأقام محاصرا لها حتى تسلمها وأعطاها الى ابن اخيه عماد الدين زنكي الذي كان يرافقه في هذه الغزوة (٣) .

وأثناء حصار نور الدين لسنجار وصلته خلعة الخليفة المستضيء بأمر الله والاذن له بدخول الجزيرة والموصل ، وكان نور الدين قد ارسل الى بغداد رسولا يوضح للخليفة الهدف من قصد بلاد الموصل مؤكدا شرعيته في ذلك وقال : « اني قصدت بيتي وبيت والدي فأنا كبيره ووارثه » وكان رسوله في ذلك عماد الدين الكاتب وأوصاه « بأن يأخذ له اذنا في ذلك وانه ممتثل لما يرد عليه منه » (٤) وقام العماد بهذه المهمة وعاد بالخلع

---

(٢) ابن الاثير : الباهر : ص ١٥٢ ، ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٤٧٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٩١ .

(٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٢ ــ ١٥٣ ، زبدة الحلب ج٢ ص ٣٣٢ ، ابو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٤٧٥ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٤ .

Steven Runciman: A history of tge Crusabes, vol, II, p. 393, London, 1965.

(٤) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٤٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ح ١ ص ١٩١ .

ونور الدين لا يزال محاصرا سنجار [٥] • وبعد أن انتهى نور الدين من امر سنجار تقدم بجيوشه نحو الموصل الهدف الاصلي ، في هذه الحملة فوصل الى بلد [٦] وعبر دجلة من مخاضة قريبة الى الجانب الشرقي منها وواصل سيره حتى نزل شرقي الموصل على حصن نينوى [٧] بحيث أصبح لا يفصله عن الموصل سوى نهر دجلة فأرسل الى سيف الدين غازي يقول له : « انا ليس مقصودي البلد وانما مقصودي حفظ البلد لك فانه قد كتب الي في عبد المسيح كذا وكذا ألف قصة بما يفعل مع المسلمين وانما مقصودي أن أزيل هذا النصراني عن ولاية المسلمين [٨] •

وكان فخر الدين قد ارسل عزالدين مسعود اخو سيف الدين غازي الى اتابك شمس الدين ايلدكز صاحب بلاد الجبل واذربيجان يستنجد به

---

(٥) ذكر ابن الفرات ج٧ ص ٥٨ (مخطوط دار الكتب المصرية ٣١٩٧) أن الخليفة المستضيء عزم على مساعدة صاحب الموصل عند حصار نور الدين للمدينة ، ولما علم نور الدين بذلك ارسل اليه العماد الكاتب يذكر له بأنه كبير البيت واحق بالملك بعد اخيه قطب الدين وانه انما جاء لمصلحة اولاد اخيه واستأذنه في دخول الموصل فاذن له وارسل التقليد والخلع مع العماد الكاتب ،

ونحن لا نأخذ برواية ابن الفرات هذه اذ لم يكن للخليفة من القوة ما يستطيع الوقوف في وجه نور الدين الذي دانت لحكمه الشام ومصر والجزيرة . ولكن نور الدين أراد ان يضفي على حركته هذه صفة الشرعية بتأييد الخليفة له .

(٦) بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ . ياقوت ج٤ ص ٢٦٧ ــ ٢٦٨ .

(٧) حصن نينوي : ينسب الحصن الى قرية نينوي بالموصل وهي قرية النبي يونس ابن متى . ياقوت ج١٩ ص ٣٣٦ .

(٨) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٣٥ ، ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٤٨٢ .

ويطلب معاونته لرد نور الدين عن الموصل فأرسل ايلدكز رسولا الى نور الدين وكان حينئذ بسنجار ينهاه عن التعرض للموصل • ولكن نور الدين أهمل الرسالة فلم يهتم حتى بالرد عليها كتابة وواصل تقدمه الى الموصل وقال للرسول : « قل لصاحبك انا أرفق ببني أخي منك ، فلم تدخل نفسك بيننا ؟ ، وعند الفراغ من اصلاحهم يكون الحديث معك على باب همذان، فانك قد ملكت نصف بلاد الاسلام وأهملت الثغور حتى غلب الكرج (٩) عليها ، وقد بليت انا وحدي بأشجع الناس الفرنج فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم فلا يجوز لي أن أتركك على ما أنت عليه فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت من بلاد الاسلام وازالة الظلم عن المسلمين (١٠) •

وكان الامراء في الموصل قد استعدوا للوثوب بفخر الدين وتسليم البلد لنور الدين ، فلما علم فخر الدين بما عزم عليه هؤلاء الامراء ادرك تحرج موقفه وضعفه فراسل نور الدين في أمر الصلح واشترط أن تبقى الموصل بيد سيف الدين غازي وأن يعطيه الامان لنفسه وأهله وأن يمنحه اقطاعا • فأجاب نور الدين الى الصلح ولكنه أصر على عدم السماح لفخر الدين في البقاء بالموصل وقال له : « لا سبيل الى مقامك في الموصل ، بل تكون عندي بالشام ، فاني لم آت لآخذ البلاد من أولادي أنا جئت لاخلص

---

(٩) الكرج : أمة من المسيحيين مساكنها في جبال القوقاز المجاورة لتفليس ولم يلبث الكرج ان استولوا على تفليس من المسلمين سنة ٥١٥ هـ (صفي الدين البغدادي : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ج٢ ص ٢٦٦ طبعة مصر ١٩٥٤ .

ابن واصل : مفرج الكروب : ج١ ص ١٩٢ حاشية) .

(١٠) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٣ ـ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٤٨٢ ، ٤٨٣ .

ابن واصل: مفرج الكروب ج١ ص ١٩٣ .

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٧ ص ٥٨ .

الناس منك وأتولى أنا تربية أولادي [١١] .

ودخل نور الدين الموصل في ١٣ جمادي الاولى سنة ٥٦٦ هـ من باب السر [١٢] من أبواب قلعتها فقد أقسم ان لا يدخل الموصل الا من أحصن موضع فيها [١٣] فأقر سيف الدين على الموصل وجزيرة ابن عمر وولى مملوكه سعد الدين كمشتكين نائبا عنه في القلعة (دزدار القلعة) وأمر سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل من الامور ولا كثير وحكمه في البلاد [١٤] . وأهدى نور الدين الى ابن اخيه سيف الدين غازي خلعة الخليفة المستضيء وألبسه اياها وزوجه ابنته [١٥] وقام نور الدين اثناء اقامته في الموصل بابطال المكوس من البلاد وأمر ببناء الجامع النوري ، واقطع نصيبين والخابور لامراء عسكره وعاد الى الشام ومعه فخر الدين عبد المسيح فغير اسمه وسماه عبدالله وأقطعه اقطاعا كثيرا [١٦] .

---

(١١) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٣ .

(١٢) باب السر : احد ابواب قلعة الموصل الحصينة ويؤدي الى نهر دجلة .

(١٣) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٣٦٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٩٣ ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ٦٨ .

(١٤) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٣٦٥ ــ العيني : عقد الجمان ج ٢١ ص ٤٧٢ .

(١٥) العيني : عقد الجمان ج٢١ ص ٤٧٠ .

(١٦) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٣٦٥ ــ ابو شامة : الروضتين ج١ ص ٤٧٨ ــ ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٣٣٣ ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٩٣ ــ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٦٣ .

Runciman, vol. II, p. 393

(ذكر رونسمان ان نور الدين ترك حامية تابعة له في الموصل ولم نقف على هذا الخبر في المصادر العربية اذ لم يرد حول هذا الموضوع سوى ان نور الدين ترك نائبا عنه في الموصل جعل اليه الحكم وهو سعد الدين كمشتكين وكان مقره في القلعة) .

وخسرت الموصل بذلك نفوذها في سنجار التي تولاها عماد الدين زنكي ، ونصيبين والخابور اللذين تولاهما نور الدين محمود بن قرا ارسلان [١٧] وخضعت خضوعا تاما لنور الدين ، واصبح سيف الدين مجرد حاكم تابع له يعمل تحت اشراف سعد الدين كمشتكين الذي عينه نور الدين نائبا عنه في قلعة الموصل ، واعلنت الخطبة في جميع مساجد الموصل واعمالها لنور الدين وضربت السكة باسمه [١٨] .

وفي سنة ٥٦٨ هـ ارسل نور الدين القاضي كمال الدين الشهرزوري الى الخليفة المستضيء يطلب تقليده بما بيده من بلاد مصر والشام والجزيرة والموصل والبلاد التي دخلت في طاعته كديار بكر وخلاط وبلاد قلج ارسلان فوافق الخليفة على ذلك وأرسل له التقليد بحكم هذه البلاد جميعا [١٩] .

وفي هذه السنة ايضا زار نور الدين الموصل وصلى بالجامع النوري الذي كان قد اسسه في وسط المدينة في سنة ٥٦٦ هـ « وتصدق بمال عظيم ورتب فيه الخطيب والمؤذنين والحصر والبسط وغيرها [٢٠] .

وقد حرص نور الدين على أن تسود بينه وبين سيف الدين غازي

---

(١٧) Cahen, p. 413

(١٨) وجد اسم نور الدين على الدينار الاتابكي في عهد سيف الدين غازي الثاني الى جانب الخليفة المستضيء (باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العصر الاتابكي طبعة بغداد ١٩٦٦ ص ٤٧) .

(١٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٣٩٥ ـ ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٦١ ـ ٥٦٢ .

(٢٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٩٣ ـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٦ ص ٦٧ .

علاقات طيبة ، ففي سنة ٥٦٩ هـ ارسل نور الدين الى غازي هدية نفيسة كان صلاح الدين قد انتخبها من خزائن القصر الفاطمي وهي تمثال رائع لفيل كان يعتبر من التحف النادرة في ذلك العصر ، فارسله نور الدين الى سيف الدين غازي مصحوبا بهدايا اخرى تشتمل منسوجات وعود وعنبر (٢١) .

ب ـ اشتراك الموصل في الجهاد ضد الفرنج :

في سنة ٥٦٧ هـ ـ ١١٧٢ م استولى الفرنج على مركبين محملين بالامتعة كانا في طريقهما من مصر الى الشام فأرسيا بمدينة اللاذقية فأخذهما الفرنج منتهكين بذلك الهدنة التي كانت معقودة بينهم وبين نور الدين الذي أرسل يحتج عليهم ويطالب باعادة المركبين وما أخذوه من اموال التجار ، الا ان الفرنج رفضوا طلبه بحجة ان المركبين كانا قد انكسرا ودخلهما الماء وأصبح من حقهم الاستيلاء عليهما (٢٢) .

فأعد نور الدين العدة لقتال الفرنج وأرسل يستدعي العساكر الاسلامية للجهاد فاحتشدت لديه الحشود من الشام والجزيرة والموصل فسار الى عرقة وحاصرها وخرب ربضها ، وارسل فرقة من جيشه الى حصن صافيتا والعريمة فاستولت عليهما عنوة وعادت الفرقة الى عرقة فتوغل نور الدين في داخل كونتية طرابلس مدمرا ما كان يقابله من مراكز عمرانية فاضطر الفرنج الى مراسلته واعادة ما أخذوه من المركبين وجددوا

---

(٢١) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٥٢٦ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٢٢٦ .

(٢٢) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٤ .
Runciman, vol. II p. 395.

الهدنة [٢٣] .

ج ـ الموقف السياسي في الموصل بعد وفاة نور الدين : ـ

كان نور الدين قبل وفاته قد عزم على الخروج من الشام لانتزاع مصر من صلاح الدين بعد أن أسفرت نياته عن الاستقلال بها ، فارسل نور الدين يستدعي اليه العساكر من الموصل والجزيرة وديار بكر لتكون في مواجهة الفريج في الشام أثناء غيابه في مصر أو ليتظاهر بغزو الفرنج حتى لا يفطن صلاح الدين لنيته الحقيقية فيتأهب لملاقاته . ولكن القدر لم يمهل نور الدين اذ لم يلبث أن توفي في ١١ من شوال سنة ٥٦٩ هـ بدمشق ، ودفن في المدرسة التي أنشأها عند سوق الخواصين [٢٤] .

وكان سيف الدين غازي قد خرج بعساكر الموصل تلبية لطلب نور الدين فوصلت الاخبار وهو في الطريق بوفاته ، وكان على مقدمة جيشه سعد الدين كمشتكين فخاف من بطش سيف الدين به وولى هاربا الى حلب [٢٥] .

---

(٢٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٥١٦ ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٣٥ .

Runciman. vol, II p 395.

سالم : طرابلس الشام في العصر الاسلامي ص ١٦٧ .

(٢٤) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٠٢ ـ ابو شامة : الروضتين ٢١ ص ٥٨٣ .

ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٥٩ .

ابن الوردي : تتمة المختصر في اخبار البشر ج٢ ص ٨٣ .

ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٨٣ .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٨٣ ابن حلدون : ج٥ ص ٥٦٤ .

ولم يحسن سيف الدين غازي استغلال الظروف والاستفادة من وفاة نور الدين فقد كان عليه ان يواصل السير الى حلب ويستولى عليها اذ لم يكن باستطاعة ابن الداية الوقوف في وجهه والدفاع عن المدينة ، وكان بوسع سيف الدين ان يعلن وصايته على الملك الصالح الذي ورث الحكم بعد أبيه ولم يكن له من العمر سوى احدى عشرة سنة .

ولكن سيف الدين آثر ان يسترد املاكه في بلاد الجزيرة التي سبق لنور الدين أن استولى عليها في ٥٦٦ هـ [٢٦] ، فعاد الى نصيبين واستولى عليها وأرسل الولاة الى الخابور فاستولوا عليه وأقطعوه ، وسار هو الى حران فحاصرها وكان بها مملوك لنور الدين اسمه قايماز الحراني فامتنع بها ثم لم يلبث ان سلم البلد على أمل بقائها في يده فقبض عليه سيف الدين وانتزع منه حران ، ثم واصل سيره الى الرها فاستولى عليها ثم استولى على الرقة وسروج ، ولم يبق في الجزيرة خارجا عن طاعته سوى قلعة جعبر لمناعتها ، « ورأس عين » التي كانت بيد قطب الذين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرض لها [٢٧] .

وكان فخر الدين عبد المسيح قد عاد من الشام واتصل بسيف الدين غازي لخدمته فاشار عليه بعبور الفرات الى الشام اذ لم يكن هناك ما يمنعه من ذلك ، ولكن سيف الدين لم يأخذ برأي فخر الدين هذا في الوقت الذي استمع فيه لنصيحة كبير أمرائه عزالدين محمود المعروف بزلفندار الذي قال له « قد ملكت اكثر ما كان لابيك والمصلحة ان تعود ،

---

(٢٦) Cahen, p. 415.

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٠٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص ١٨٣ .

فرجع الى قوله وعاد الى الموصل » [٢٨] واغلب الظن ان سيف الدين غازي خشي الاصطدام بقوة فتية لها خطورتها بدأت في الظهور في حيـاة نور الدين وهي قوة صلاح الدين .

بوفاة نور الدين محمود ، تدخل العلاقات بين الموصل وبلاد الشام مرحلة حاسمة مليئة بالاحداث السياسية الخطيرة نتيجة لظهور صـلاح الدين وبدء نضاله في سبيل توحيد الجبهة الاسلامية استعدادا للوقوف امام الخطر الصليبي في بلاد الشام .

---

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٠٧ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٦ .

(في رواية ابن الجوزي يذكر ان سيف الدين غازي طمع في العبور الى الشام والاستيلاء على حلب الا ان الامراء لم يوافقوه على ذلك وقالوا له : ارجع الى بلدك فقد ملكت الجزيرة ولم يملكها ابوك وصلاح الدين بين يديك) مرآة الزمان ج٨ ص ٣٢٥ .

الفصل الثالث

العلاقات مع الايوبيين في عهد صلاح الدين

(١) الموقف السياسي في الشام بعد وفاة نور الدين

(٢) الموقف السياسي في الشام بعد وفاة الملك الصالح

(٣) الصراع بين صلاح الدين وعزالدين مسعود

(٤) اشتراك عساكر الموصل في الجهاد ضد الصليبيين تحت راية صلاح الدين •

(١)

الموقف السياسي في الشام بعد وفاة نور الدين

أ ـ التنافس على حلب : ـ

توفي نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٦٩ هـ • وخلفه في الحكم ابنه الملك الصالح اسماعيل وكان صبيا لا يتجاوز عمره احدى عشرة سنة ، وخطب له على منابر مصر والشام وضربت السكة باسمه • وكان صغر سن الملك الصالح قد أثار أطماع الامراء وكبار القادة للسيطرة على شئون الدولة (١) ، فكان كل منهم يريد أن ينصب نفسه وصيا وأتابكا للملك الصالح ، فأحدث هذا التنافس انقساما خطيرا بين الامراء في الشام مما ساعد على افساح المجال للتدخل الخارجي من جانب صلاح الدين خاصة بعد أن بلغه مصالحة أمراء دمشق لملك بيت المقدس ، فلقد سببت وفاة نور الدين خرقا واضح المعالم في الصف الاسلامي وتصدعا خطيرا في الجبهة الاسلامية المتحدة ، استغلها عموري ملك بيت المقدس أحسن استغلال • فبادر بمحاصرة مدينة بانياس وأرغم ابن المقدم على عقد معاهدة للصلح معه يدفع له بمقتضاها شيئا من المال ويطلق عددا من الاسرى • ويعتقد « جروسيه » أن نجاح عموري في عقد هذه المعاهدة في تاريخ يتفق مع مهاجمة النورمان بأساطيلهم للاسكندرية يدل على تخطيط هجومي صليبي متفق عليه • وأن عموري اقتدى في اتفاقه مع الدمشقيين بما كان قد

(1) Cahen, p. 415 - René grousset, Histoire des croisades, t. II, paris, 1935, p. 605.

فعله الملك « فولك » مع معين الدين أنر . وبذلك أتاح تفكك الدولة النورية في رأيه الفرصة للملك عموري كي يعود الى تطبيق سياسة التفاهم الصليبي الدمشقي الذي سنه أبوه فولك (٢) .

وشهدت المنطقة في هذه الفترة أحداثا سياسية هامة نتيجة لمواصلة صلاح الدين لنفس السياسة التي ارتسمها وأرسى قواعدها عماد الدين زنكي وسار عليها من بعده ولده نور الدين فعمل صلاح الدين على توحيد الجبهة الاسلامية وذلك عن طريق ربط الشام بمصر وانتزاع قلعتي الكرك والشوبك في وادي العربة بالاردن ليتمكن من الوقوف في وجه الصليبيين ويقضي على ملكهم في بلاد الشام (٣) .

كنا قد ذكرنا أن سيف الدين غازي الثاني اغتنم فرصة وفاة عمه نور الدين فهاجم الجزيرة واستعاد جميع البلاد التي كان نور الدين قد أخذها منه في سنة ٥٦٦ هـ (٤) . في الوقت الذي كان فيه الامير شمس الدين علي بن الداية قائد جيوش نور الدين مريضا بحلب حسبما تشير المصادر العربية فلم يستطع منع سيف الدين من الاستيلاء على الجزيرة (٥).

والحقيقة ان التنافس الذي حدث بين شمس الدين علي بن الداية قائد جيش حلب وبين أبي الفضل بن الخشاب مقدم الشيعة في حلب زاد في اضطراب الوضع بها وشغل ابن الداية عن مواجهة تقدم سيف الدين

---

(2) Grousset, p. 607
(3) Grousset, p. 553.
Grousset, p. 605.

(٤) استعاد نصيبين وحران والرها وسروج والرقة

(٥) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٠٧ ـ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٥٩٥ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٦ .

غازي في البلاد الجزرية ذلك انه كان يخشى أن يقصد سيف الدين غازي حلب وينتزعها منه ، فاجتمع بسعد الدين كمشتكين الذي لجأ الى حلب بعد هروبه من سيف الدين غازي ، واستقر الرأي على أن يسير سعد الدين في عسكر من حلب الى دمشق حيث يقيم الملك الصالح ليحضره الى حلب بقصد المحافظة عليها وحمايتها من اطماع صاحب الموصل (٦) .

ولكن الوضع في دمشق كان يختلف عما قدراه فقد نصب الامير شمس الدين بن المقدم نفسه وصيا على الملك الصالح مستندا في ذلك الى تأييد بعض الامراء وزوجة نور الدين (٧) ، فأشار كمال الدين الشهروزري على ابن المقدم بضرورة الاتصال بصاحب مصر صلاح الدين بن أيوب واحاطته بما يجري في دمشق باعتبار ان صلاح الدين كان من أكثر عمال نور الدين ونوابه اخلاصا له وتفانيا في خدمته واقترح الشهرزوري أن يقوم ابن المقدم بعرض الامر على صلاح الدين حتى لا يغضب فيخرج عن طاعة ابن المقدم، ويتخذ ذلك ذريعة للتدخل في شئون مملكة حلب وحذر الشهرزوري ابن المقدم من الاستهانة بأمر صلاح الدين بأنه أقوى منهم جميعا بحكم انفراده بحكم مصر (٨) .

ولكن ابن المقدم والامراء لم يأخذوا برأي الشهرزوري خوفا من أن تتاح الفرصة أمام صلاح الدين لدخول الشام فيخرجهم منها ويصبح له السلطان والنفوذ في البلاد كما أنه كان يخشى الاستجابة لرغبة ابن الداية

(٦) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤١٥ — ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٨ .

(7) Runciman : II, pp. 398 - 399.

(٨) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٠٥ — العيني : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان — ج ٣/٢١ ص ٥٤٤ .

وكشتكين في ارسال الصالح الى حلب ، وكان ابن المقدم يهدف من وراء ذلك اكتساب شرعية الحكم في دمشق بوجود الصالح اسماعيل فيها ولذلك نراه يتمسك هو وجماعة الامراء بدمشق بالملك الصالح عندما أرسل شمس الدين ابن الداية يطلب استقدامه الى حلب خوفا من أن يغلبهم عليه ابن الداية فانه كان اكبر الامراء النورية والمسيطر على حلب وعساكرها مع اخونه [٦] .

فلما اقترب سعد الدين من دمشق ارسل ابن المقدم عسكرا فنهبوه وعاد منهزما الى حلب فعوضه ابن الداية عما أخذ منه [١٠] .

غير ان ابن المقدم عدل عن تمسكه بالصالح اسماعيل بعد ذلك ورآي ان مسير الملك الصالحا لى حلب اصلح للبلاد ، فارسل ابن الداية يطلب منه أن يبعث اليه سعد الدين كمشتكين ليصحب الملك الصالح الى حلب فاجابهم ابن الداية الى ذلك وجهز سعد الدين وأرسله الى دمشق فعاد بالصالح وكان مسيره من دمشق في ذي الحجة من عام ٥٦٩ هـ ، فما ان وصل سعد الدين الى حلب حتى قبض على ابن الداية واخوته ووضعهم في سجن حلب وعندما أعلن ابو الفضل بن الخشاب مقدم الشيعة احتجاجه على هذا التصرف أمر بالقبض عليه وضرب عنقه ، واستبد سعد الدين بالملك الصالح وانفرد بأمور الدولة [١١] .

---

(٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ٤٠٦ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٢٥ ، ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٥٩ .

(١٠) ابن الاثير : الباهر ص ١٧٦ ، ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٥٦٦

(١١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤١٥ ــ ابو شامة : الروضتين ٢١ ص ٥٩٢ ــ ابن واصل : مفرج الكروب جـ٢ ص ١٠ ــ ابن الوردي : تتمة المختصر ٢ ص ٨٣ .

وبلغ ابن المقدم ما فعله سعد الدين كمشتكين بابن الداية واستبداده بالبلاد فخاف هو وطائفة الامراء من ان يقصدهم ويفعل بهم ما فعله بامراء حلب [١٢] ، وعندئذ فكر في الاستعانة بصاحب الموصل ضد كمشتكين فهو أقل قوة من صلاح الدين وفي وسعه أن يتخلص منه بسهولة وبادر بالاتصال بسيف الدين غازي ليسلمه دمشق الا ان سيف الدين غازي انصرف عن الاستجابةلرغبة ابن المقدم وامراءدمشق وفضل انيعززمكاسبه في الجزيرة [١٣] ، وقد حذره عز الدين زلفندار وصور له ان في دعوة امراء دمشق لقدومه مكيدة يقصد منها استدراجه في القدوم فتطوقه قوات حلب من الخلف [١٤] ، وقد وصف ابن الاثير عز الدين هذا بالجبن فقال : « والجبان يقدر البعيد من الشر قريبا ويرى الجبن حزما » [١٥] .

وكان من الطبيعي بعد أن تسرب الشك الى نفس سيف الدين غازي ان يمتنع عن المسير الى الشام ، واكتفى بانْ كاتب سعد الدين والملك الصالح وصالحهما على ما أخذه من البلاد الجزرية بعد وفاة نور الدين محمود .

ولم يسع ابن المقدم بعد ان تم الصلح بين أتابك الموصل وبين الملك الصالح في حلب وما استشعره من مبادرة أمراء حلب الى مهاجمة دمشق الا ان يتطلع الى صلاح الدين فيتصل به ويكتب اليه باسم أمرائها ليملكوه

---

(١٢) نفس المصدر : الكامل جـ ١١ ص ٤١٥

Runciman : op, cit, vol, II. pp. 398 - 399 (13)

(١٤) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤١٥ ـ العيني عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان جـ ٢١ ص ٥٤٩ .

(١٥) نفس المصدر ص ٤١٦ .

عليهم [١٦] وكان هذا القرار الخطوة الحاسمة في تاريخ الحروب الصليبية ومستقبل حركة الجهاد الاسلامي [١٧] .

ب ـ موقف صلاح الدين من أتابكية حلب :

كان صلاح الدين يراقب اضطراب الامور في الشام عن كثب ولكنه لم يشأ ان يتدخل في القضية الا بعد أن بلغه استبداد سعد الدين بأمور الدولة وقيامه بالقبض على الامير شمس الدين ابن الداية واخوته وتفريطه في البلاد ومهادنته للفرنج [١٨] ، وعندئذ راى ان الفرصة أصبحت مواتية للتدخل في حسم هذا النزاع ، خاصة وانه كان يدرك أهمية الدور الذي يقوم به باعتباره الرجل القوي الوحيد الذي يستطيع ان ينهض ويواصل الدور الذي كان يقوم به نور الدين في توحيد الجبهة السلامية ضد الصليبيين [١٩] .

وكان صلاح الدين مؤمنا كل الايمان بأحقيته في أن يرث نور الدين

---

(١٦) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤١٦ ـ ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٠ ـ ابن واصل مفرج الكروب ج٢ ص ١١ .
Runciman, vol II, p. 404.

(١٧) عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٧٤١ .

(١٨) ابن ابيك : كنز الدرر وجامع الغرر مخطوط (دار الكتب المصرية رقم ٤٦٤٣ تاريخ) ج٧ ص ٤٤ شغل صلاح الدين قبل ذلك عن التدخل في مشكلة الوصاية على الملك الصالح بترقب وصول الاسطول النورماني القادم من صقلية الى الاسكندرية بعد فشل مؤامرة عمارة اليمنى (راجع
Cahen; p. 414 Grousset; t, II, 506

(19) Stanely lane - poolé, Ahistoryof Egypt inthe middle ages, london, 1901, p. 199

في رسالته التي كان يقوم بها وفي جميع املاكه [٢٠] ، وكان يرى ان من واجبه اعادة بناء ما تداعى في بناء الدولة ، فعزم على الخروج من مصر الى الشام وحسم الامور هناك ، فلما وصلته كتب شمس الدين بن المقدم يستدعيه للحضور الى الشام لم يتردد في المبادرة بالسير الى دمشق مظهرا أنه أحق بتربية الملك الصالح رعاية لعهد والده ، « وانه لو استمرت ولاية هؤلاء القوم تفرقت الكلمة وطمعت الكفار في البلاد » [٢١] .

ثم ارسل صلاح الدين الى ابن المقدم برسالة يقول فيها : « انا لا نؤثر للاسلام واهله الا ما جمع شملهم والف كلمتهم، وللبيت الاتابكي الا ما حفظ اصله وفرعه او دفع ضره وجلب نفعه ، فالوفاء انما يكون بعد الوفاة ، والمحبة انما يظهر اثرها عند تكاثر اطماع العداة ، وبالجملة أنا في واد والظانون بنا ظن السؤ في واد ، ولنا من الصلاح مراد ، ولمن يبعدنا عنه مراد » [٢٢] .

ويبدو ان صلاح الدين قد تناسى ما كان بينه وبين نور الدين من جفوة كادت تؤدي الى الحرب بينه وبين سيده نور الدين ، فاخذ يغمر نفسه بصفات الوفاء للبيت الاتابكي والمحبة .

ويعلق « جروسيه » على موقف صلاح الدين هذا بقوله : « يا لها من مسرحية كوميدية اذا كنا ما زلنا تتذكر ان الحرب كادت تشتعل نيرانها بينه وبين نور الدين قبيل وفاة هذا الامير » [٢٣] .

Cahen; p. 416. (20)

(٢١) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٨ .

(٢٢) نفس المصدر : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٨

Grousset : t. II, p. 621. (23)

ما كاد صلاح الدين يتلقى رسالة ابن المقدم التي يدعوه فيها الى الحضور الى دمشق حتى رحل من مصر في ٧٠٠ فارس من صفوة فرسانه، ودخل صلاح الدين الشام مخترقا مراكز الفرنجة في وادي العربة ، فنزل بصري [٢٤] وكان صاحبها « صديق بن جاولي » من جملة من كاتبه مع ابن المقدم [٢٥] ثم رحل صلاح الدين من بصرى قاصدا دمشق فلقيه ابن عمه الامير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، والامير سعد الدين ابن معين الدين أنر فنزل بجسر الخشب وتوافت اليه الاجناد والعساكر من دمشق مع وجوه وأكابر أهل البلد [٢٦] .

ثم سار الى دمشق لاستقباله من كان بها من العسكر ودخلها في يوم يوم الثلاثاء سلخ ربيع الآخر من عام ٥٧٠ هـ ـ ٢٧ نوفمبر سنة ١١٧٤ م وامتنع عليه جمال الدين ريحان بقلعتها [٢٧] ، فامر صلاح الدين باستقدام كمال الدين الشهرزوري قاضي دمشق والحاكم بجميع امورها وأرسله الى ريحان لاقناعه بتسليم القلعة اليه ، فصعد كمال الدين الى القلعة وخاطب ريحان واستماله وبذل له كل ما يطلبه وقال له : « ان صلاح الدين انما جاء ليعيد البلاد التي اخذت من الملك الصالح وانه احد مماليكه » [٢٨] . فرضخ ريحان وسلم القلعة لصلاح الدين على عوض

---

(٢٤) بصرى : من اعمال دمشق وهي قصبة كورة حولان . ياقوت : ج ٤ ص ٤٤١ .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤١٦ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٩ .

(٢٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٩ .

(٢٧) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٠ .

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٧ ـ المقريزي : السلوك ج ١ ص٥٨ (يقصد بالبلاد التى اخذت من الصالح بلاد الجزيرة التي استرجعها صاحب الموصل بعد وفاة نور الدين) .

اعطاه اياه فدخلها صلاح الدين واستولى على ما كان بها من اموال وانزل بها اخاه ظهير الاسلام طغتكين بن أيوب [٢٩] .

ج ـ الموقف في حلب بعد دخول صلاح الدين دمشق :

لما انتهى الخبر الى الامراء والمدبرون للملك الصالح في حلب بدخول صلاح الدين دمشق وميل الناس اليه ، سقط في ايديهم وأيقنوا بقرب نهاية تسلطهم وزوال سلطانهم فأرسلوا قطب الدين ينال بن حسان صاحب منبج الى صلاح الدين برسالة يهددونه فيها ويحذرونه من مغبة المضي في الاستيلاء على بلاد الملك الصالح ، فاغلظ ابن حسان لصلاح الدين في الجواب وقال : «هذه السيوف التي ملكتك مصر بأيدينا والرماح التي حويت بها قصور المصريين على أكتافنا ، والرجال التي ردت تلك العساكر هي تردك ، وعما تصديت تصدك ، وأنت فقد تعديت طورك ، وتجاوزت حدك وأنت احد غلمان نور الدين وممن يجب عليه حفظه في ولده » [٣٠].

فاستاء صلاح الدين من ابن حسان وقال له : « لولا انك رسول لضربت عنقك ، والله ما جئت الى ها هنا شرها ولا طمعا في الدنيا ، وفي مصر كفاية وما جئت الا لاستنقذ هذا الصبي من يد مثلك وأمثالك ، فانتم

---

(٢٩) نفس المصدر : ص ٤١٧ ـ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٢٧ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٢٠ ـ ابن الوردي : تتمة المختصر في اخبار البشر ج٢ ص ٨٤ .

Runciman, vol II p. 404.

Stanely lane-poole, saladin and the Fall of the kingdom of jerusalem, london, 19 4, p. 137

(٣٠) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦١٧ .

سبب زوال دولته » [٣١] .

ورد صلاح الدين على تحديات اهل حلب بالاستيلاء على حمص وحماة [٣٢] وكان صلاح الدين يعلن في كل مرة ينتزع فيها مدينة من اتابكية حلب عن طاعته للملك الصالح ، ويعلل حركته برغبته في توحيد الكلمة والمحافظة على بلاد المسلمين من الفرنج ، واستعادة ما أخذه سيف الدين غازي من البلاد الجزرية [٣٣] .

وما أن تم لصلاح الدين الاستيلاء على حمص وحماة حتى زحف الى حلب ونزل على (جبل الجوشن) المطل على المدينة في ٣ من جمادي الآخرة سنة ٥٧٠ هـ [٣٤] فأشار أمراء حلب على الملك الصالح بأن يجمع أهل المدينة في الميدان ويخاطبهم بقصد التأثير عليهم وحملهم على الوقوف معه ضد صلاح الدين ، فاجتمعوا حتى غص الميدان بهم فخاطبهم الملك الصالح قائلا « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم ، وأنا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه يأخذ بلدي ولا يراقب الله تعالى ،ولا الخلق » [٣٥] .

---

(٣١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ج٨ ص ٣٢٨ .

(٣٢) نفس المصدر : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ص ٣٢٨ .

(٣٣) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤١٧ ـ ٤١٨ .

(٣٤) نفس المصدر ص ٤١٨ ـ ابو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٦٠٩ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٢٣ المقريزي : السلوك ج١ ص ٥٩ .

(١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤١٨ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٨٩ .

Wiet, G; : Egypte Arabe. Histoire de la Nation Egyptienne paris, 1931, p. 311.

وضمن الصالح خطابه كثيرا من هذه العبارات المؤثرة ثم بكى فأبكى الناس وأشعل جمرة غضبهم على صلاح الدين فأعلنوا طاعتهم له، وبذلوا له « الاموال والانفس واتفقوا على القتال دونه » (٣٦) والدفاع عن مدينتهم ، وكان لخطاب الصالح اسماعيل اثره في نفوس أهل حلب فقد جدوا في مقاتلة جيش صلاح الدين وأبدوا كثيرا من ضروب البسالة والاقدام فهم قد ألفوا الحرب واعتادوها لطول مارستهم لقتال الفرنج المجاورين لهم وكانوا يخرجون من حلب ويقاتلون صلاح الدين عند جبل الجوشن فلا يستطيع أن يتقدم شبرا من مركزه (٣٧) .

وقرر امراء حلب الاستعانة بالاسماعيلية فراسلوا مقدمهم راشد الدين سنان وعرضوا عليه ان يبعث الى صلاح الدين رجلا من طائفة الفداوية يفتك به ويقتله وبذلوا له في مقابل ذلك الضياع والاموال الكثيرة ، ولم يسع سنان الا الموافقة فارسل جماعة من الفداوية الى جبل الجوشن حيث كان يعسكر صلاح الدين لتنفيذ المؤامرة غير ان هؤلاء اخفقوا في خطتهم بسبب تعرف (خمار تكين) أمير قلعة أبي قبيس عليهم . ولم يكتب لهذه المؤامرة النجاح بعد أن انكشف أمرهم وقتلوا عن آخرهم (٣٨) .

---

(٣٦) ـ نفس المصدر ص ٤١٨ ـ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٦ .

(٣٧) ـ نفس المصدر ص ٤١٩ ـ نفس المصدر تاريخ مختصر الدول ص ٢١٦ .

(٣٨) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤١٩ ـ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦١٠ ـ ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٨٤ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٨٩ ـ عاشور الحركة الصليبية ج٢ ص ٧٤٣ ـ ٧٤٤ (وقلعة ابي قبيس تقع في مقابل شيزر . ياقوت ـ معجم البلدان ج١ ص ٩٥) . Grousset, t; I, p. 622

Iane-poole, saladin, p. 138

وطال حصار صلاح الدين لحلب ففكر أمراؤهـا في الاستعانة بالصليبيين على صلاح الدين فأرسلوا يستنجدون بالقومص (الكونت ريموند الثالث صاحب طرابلس) الذي رحب بهذه الدعوة لا حبا للصالح اسماعيل وانما ليقطع الطريق على صلاح الدين والقضاء على قوته لادراكه خطورة قيام وحدة بين القاهرة ودمشق وحلب [٣٩] فخرج على رأس جيشه متجها الى حمص وحاول الاستيلاء على المدينة ليقطع بذلك على صلاح الدين طريق العودة الى دمشق . ولكن صلاح الدين بحكم خبرته الحربية فطن للخطة . وفي نفس الوقت علم بقدوم قوات من الموصل للدفاع عن حلب فخاف ان يقع بين عدوين [٤٠] فاسرع برفع الحصار عن حلب وقفل عائدا الى حمص فنازل قلعتها ونصب عليها المجانيق وأرغم حاميتها على التسليم بالامان ١ ٢١ شعبان من سنة ٥٧٠ هـ [٤١] . واضطر كونت طرابلس الى تركها والعودة الى بلده منهزما [٤٢] . اما صلاح الدين فقد واصل تقدمه جنوبا الى بعلبك فاستولى عليها بالامان في رمضان سنة ٥٧٠ هـ [٤٣] .

---

(٣٩) عاشور الحركة الصليبية ج٢ ص ٧٤٤ .

(40) Lane - poole, Saladin, p. 139.

(٤١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٤ ــ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٨٩ .

(٤٢) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤١٩ ــ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦١١ ــ ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٨٤ ــ المقريزي : السلوك ج١ ص ٥٩ .

(٤٣) نفس المصدر ص ٤٢٠ ــ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٢٨ ــ المقريزي : السلوك ج١ ص ٥٩ (كانت بعلبك بيد الخادم يمن الريحاني احد مماليك نور الدين محمود . مرآة الزمان ج٨ ص ٣٢٨) .

د ـ موقف صاحب الموصل من صلاح الدين : ـ

كان لتدخل ريموند الثالث لحماية الملك الصالح اكبر الاثر في بقاء حلب بعيدة بعض الوقت عن فلك نفوذ صلاح الدين، وقد نجح بذلك في تعطيل صلاح الدين وتعويقه عن تحقيق هدفه في ربط الشام ومصر في وحدة سياسية وثيقة، واصبح الوضع السياسي بصورته الراهنة : دولة الصالح اسماعيل في حلب تعضدها الدولة الاتابكية في الموصل امام دولة صلاح الدين في مصر والشام حتى دمشق • ويعلق جروسيه على هذا الوضع بقوله « يصور هذا الوضع السيسي نفس التنافس العميق الذي كان قائما قبل ذلك بين الفاطميين والسلاجقة ثم بين نور الدين وصلاح الدين ، وكما ان الملك فولك كان قد وضع نفسه ضد نور الدين المدافع عن استقلال دمشق ، فان ريموند الثالث اصبح اليوم حاميا لابن نور الدين ضد الاسرة الايوبية الجديدة (٤٤) •

وكان سيف الدين غازي الثاني صاحب الموصل والجزيرة يرقب عن كثب النجاح الذي أحرزه صلاح الدين في بلاد الشام واستيلائه على دمشق وحمص وحماه وبعلبك ثم حصاره لحلب ومحاولة الاستيلاء عليها ، وهنا تجلت له الاخطار التي تتعرض لها بلاده اذا واصل صلاح الدين تقدمه في بلاد الشام وأدرك ان نجاح صلاح الدين في الاستيلاء على حلب يشكل تهديدا خطيرا للموصل التي تصبح بعد ذلك الهدف التالي لصلاح الدين وهنا أدرك ضرورة الارتباط مع حلب وعزم على التدخل •

وكان الملك الصالح قد ارسل الى ابن عمه صاحب الموصل وفدا يطلب امداده باجناد الموصل وكان هذا الوفد يتكون من قطب الدين ينال

(44) Grousset, t II. p. 625.

ابن حسان صاحب منبج وغرس الدين قليج ، وامين الدين هاشم خطيب حلب ، فقابلوا سيف الدين وابلغوه رسالة الملك الصالح في الاستنصار به واستحثوه بالأسراع لنجدة الملك الصالح بحجة ان صلاح الدين متى ملك حلب لم يكن له قصد الا الموصل (٤٥) .

ولم يكن سيف الدين غازي في حاجة الى من يستحثه لمواجهة صلاح الدين فقد أدرك انه ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقر قدمه في الملك وتعدى الامر اليه (٤٦) فبادر الى جمع العساكر من الموصل والجزيرة واعداد العدة بعبور الفرات الى حلب ، فأرسل الى أخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجار يأمره بموافاته بالعساكر والاجتماع على قتال صلاح الدين، ولم يكن صلاح الدين قد فاته التفكير مقدما فيما ينوي عليه صاحب الموصل فقد سبقه الى الاتصال بعماد الدين والاتفاق معه على معارضة أخيه وأطمعه بتوسيع رقعة املاكه باعتباره كبير البيت وأحق من أخيه سيف الدين في حكم الاتابكية (٤٧) ولاقت هذه الدعوة قبولا حسنا لدى عماد الدين زنكي الذي كان يعتبر نفسه الوارث الشرعي لاتابكية الموصل بعد أبيه قطب الدين مودود ، وأعلن امتناعه عن اجابة سيف الدين غازي لمقاتلة صلاح الدين .

واضطر سيف الدين غازي ازاء موقف اخيه المعادي له ان يوجه

---

(٤٥) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٣٧ ـ العيني : عقد الجمان مخطوط ج٢١ ص ٥٦٣ .

(٤٦) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٠ .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٢٠ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٠ . ابن الوردي تتمة المختصر ج٢ ص ٨٤ ؛ ابن خلدون ج٥ ص ٥٦٩ ـ ٥٧٠ ، العيني : عقد الجمان ج٢١ ص ٥٦٣ .

جيشه نحوه لاستنزاله وفي نفس الوقت وجه اخاه عزالدين مسعود على رأس جيش الى حلب [٤٨] وجعل المقدم على هذا الجيش الامير عزالدين محمود زلفندار وفوض اليه تدبير الامور ، اما هو فقد سار الى سنجار لمحاربة عماد الدين زنكي فحاصر سنجار في شهر رمضان من سنة ٥٧٠ هـ [٤٩] •

اما عزالدين مسعود فقد عبر الفرات بجيش الموصل متجها الى حلب فوصلها وانضم اليه من كان بها من العسكر [٥٠] ، وسار الى حماة فحاصرها • وراسل صلاح الدين في امر الصلح فمال صلاح الدين الى ذلك وأبدى تسامحا في الاغضاء عن حركة الموصل المعادية له لضآلة عدد عسكره الى ضخامة عسكر خصومه ، متنازلا للصالح عن المدن والقلاع التي افتتحها في بلاد الشام مكتفيا بدمشق « على ان يكون فيها نائبا عن الملك الصالح منتميا اليه ، والخطبة والسكة له وان يرد عليهم كل ما أخذ من الخزانة » [٥١] •

---

(٤٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٩٤ .
Runciman, II. p. 408.

(٤٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٢٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣١ • ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٨٤ . العيني : عقد الجمان ج٢١ ص ٥٦٣ . سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٢٨ .

(٥٠) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٤ .
Lane - poole, a history of Egypt, p. 200 - Lane - poole, Saladin, p. 140

(٥١) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٢ ـ ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٨٤ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٩٠ ، العيني : عقد الجمان ج٢١ ص ٥٦٤ .

وكانت هذه الشروط التي عرضها صلاح الدين فرصة عظيمة أمام الملك الصالح لاعادة نفوذه في بلاد الشام ، وحفظ هيبة البيت الاتابكي . فالواضح من هذه الشروط ان صلاح الدين لم يكن هدفه الاستيلاء طمعا في الملك أو رغبة في تحقيق مكاسب واطماع شخصية ، وانما كان هدفه حفظ البلاد من التفكك والانقسام الذي اعقب وفاة نور الدين محمود والدفاع عن الشام بتوحيد الجبهة الاسلامية ضد القوى الصليبية .

واطمع ميل صلاح الدين الى الصلح الحلبيين في طلب المزيد من الامتيازات خاصة بعد ان وضح لديهم (ان وضح لديهم) قلة من كان معه من العسكر فطالبوه بالرحبة واعمالها فاعتذر صلاح الدين عن اجابتهم بحجة انها في يد ابن عمه ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه ولا سبيل اليها [٥٢] ، فعزم عسكر الموصل وحلب على مواصلة القتال فاستعد صلاح الدين لقتالهم وزحف الى موضع يقع عند اخدود لوادي اورنت يعرف بقرون حماة حيث انضمت الى جيشه جماعة من العسكر المصري ومعهم عشرة من المقدمين منهم : تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب وأخوه عز الدين فرخ شاه أولاد اخ السلطان صلاح الدين [٥٣] .

ونشب القتال بين الفريقين في ١٩ رمضان من سنة ٥٧٠ هـ ، ٢٣ بريل ١١٧٥ م فانهزم عسكر الموصل لا يلوي أخ على أخيه،وثبت عزالدين مسعود بعد هزيمة اصحابه فلما رأى صلاح الدين ثباته قال « اما أن هذا أشجع الناس ، او انه لا يعرف الحرب وأمر أصحابه بالحملة عليه ،فحملوا

---

(٥٢) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٣٧ ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٢ .

(٥٣) نفس المصدر ، ج٢ ص ٦٣٨ نقلا عن ابن ابي طى ــ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٢ .

فأزالوه عن موقفه وتمت الهزيمة عليهم [٥٤] » .

واسر صلاح الدين جماعة من امراء عزالدين مسعود ثم اطلقهم[٥٥]. وطارد خصومه حتى أبواب حلب [٥٦] فحاصرها للمرة الثانية وامر بقطع الخطبة للملك الصالح وازالة اسمه من السكة في بلاده [٥٧] وبقي محاصرا لحلب فلما طال الامر على الحلبيين راسلوه في الصلح على ان يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها [٥٨] فاجابهم صلاح الدين الى ذلك على أن تضاف اليه المعرة [٥٩] وكفر طاب [٦٠] ، وبارين [٦١] .

وتم الاتفاق بين الجانبين ورحل صلاح الدين عن حلب في اوائل شوال من سنة ٥٧٠ هـ فوصلته رسل الخليفة المستضيء بالله بتقليده

(٥٤) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٢١ — ٤٢٢ — سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٢٨ — ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٢ — ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٩٠ .

(٥٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٤ .

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٢٢ — المقريزي : السلوك ج١ ص ٥٦ .

(57) Grouseet, Op. cit. T II p. 626

(٥٨) المعرة : مدينة قديمة كبيرة مشهورة من اعمال حمص بين حلب وحماة : ياقوت معجم البلدان ج١٨ ص ١٥٦ ط بيروت .

(٥٩) كفر طاب : بلدة بين المعرة ومدينة حلب معجم البلدان ج١٦ ص ٤٧٠ .

(٦٠) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٣٤

Wiet : op. cit. p. 313 - Lane - poole Saladin p. 141

(٦١) وبارين حصن بين حلب وحماة من جهة الغرب ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٣٤ — ٣٥ .

السلطنة على بلاد مصر والشام وهو في حماة (٦٢) .

وبلغت اخبار هزيمة عزالدين مسعود الى سيف الدين غازي صاحب الموصل وهو يحاصر اخاه عماد الدين زنكي في سنجار فمت ذلك في عضده وخاف ان يبلغ نبأ الهزيمة اخاه فيشتد امره ، فاضطر الى رفع الحصار ، وبادر بمصالحة اخيه زنكي وانصرف بعد ذلك الى الموصل ، وهو ساخط على امراء حلب الذين قبلوا الصلح مع صلاح الدين ، وقد زاد في سخطه ما حصل عليه صلاح الدين من تشريف بتقليد الخليفة العباسي لـه بمصر والشام فاخذ يفكر في الانتقام من صلاح الدين ، ولم يكن صلاح الدين غافلا عما يفكر فيه سيف الدين ، ولم يكن لديه شك في انـه سينتصر بالفرنجة ولذلك بادر صلاح الدين فارسل رسولا الى ريموند الثالـث ليعرض له سلمه وصداقته اذا لم يعضد الفرنجة حركة الاتابكة المقبلـة واظهارا لحسن نيته ارسل اليه صلاح الدين جميع اسرى الفرنجة الذين كانوا في بلاده ووافق ريموند الثالث على شروط صلاح الدين في شوال من سنة ٥٧٠ هـ مايو ١١٧٥ م (٦٣) .

وصح ما توقعه صلاح الدين من تنبئه بتفكير اهل الموصل في الانتقام منه فقد ارسل سيف الدين رسولا الى الامراء في حلب يوبخهم علـى قبولهم الصلح مع صلاح الدين ويحرضهم على نقضه ويدعوهم الى اخذ

---

(٦٢) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٢٢ ـ ابن شداد : سيرة صـلاح الدين ص ٥١ ـ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٣٩ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٩٤ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٤٣٣

Runciman, ; vol II p. 408.

(63) Grousset : II, p. 627.

المواثيق والاتفاق معه ضد صلاح الدين لارغامه على الخروج من الشام(٦٤) .

وقد قام رسوله بهذه المهمة في حلب ثم توجه بعد ذلك الى دمشق ليأخذ لسيف الدين غازي العهد من صلاح الدين ويكشف ما عنده من نوايا ، فلما خلا صلاح الدين بالرسول رغب في الأطلاع على نسخة اليمن فاخطأ الرسول واخرج من كمه يمين الحلبيين لصاحب الموصل فتأملها صلاح الدين واطلع على ما اتفقوا عليه ثم ردها اليه وقال : «لعلها تبدلت» فعرف الرسول انه قد اخطأ ، ثم ان صلاح الدين سأل الرسول : « كيف حلف الحلبيون لسيف الدين ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون امرا الا بمراجعتهم لنا واستئذانهم » (٦٥) وتأكد لصلاح الدين انهم نقضوا العهد الذي ارتبطوا به معه وانهم يستعدون لقتاله فارسل الى اخيه العادل نائبه في مصر يطلب امداده بالعساكر والخروج في شعبان من سنة ٥٧١ هـ فبراير ١١٧٦ م. (٦٦) .

وكان سيف الدين غازي عند عودته الى الموصل يعد العودة للخروج الى الشام والانضمام مع الملك الصالح اسماعيل ضد صلاح الدين فارسل

---

(٦٤) ابو شامة : الروضتين : ٢١ ص ٦٤٧ . عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٧٤٦ ـ ٧٤٧ . Grousset : t. II p. 627

(ارسل سيف الدين غازي سفارة الى ريموند الثالث صاحب طرابلس يطلب محالفته ومساعدته ضد صلاح الدين ولكي يثبت سيف الدين حسن نواياه تجاه صاحب طرابلس ارسل اليه جميع من لديه من اسرى الطليبين في سنة ١١٧٥ أنظر عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٧٤٧) .

(٦٥) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٤٧ ـ ٦٤٨ .

(٦٦) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥١ ـ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٣٢ ـ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٤٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

يستنجد صاحب حصن كيفا ، وصاحب ماردين وغيرهما من الامـــراء التركمان وحضر عنده ، اخوه عماد الدين زنكى صاحب سنجـار [٦٧] فاجتمع لديه من العساكر والاجناد اعداد كثيرة فسار بهم سيف الدين الى نصيبين في ربيع الاول من سنة ٥٧١ هـ واقام هناك حتى نهاية فصـــل الشتاء [٦٨] ثم عبر الفرات من البيرة ونزل في الجانب الغربي وراسل سعد الدين كمشتكين والملك الصالح فجرت بينهم مراجعات كثيرة عزم فيهـا سيف الدين على العودة ثم تم الاتفاق اخيرا على الاجتماع بالملك الصالح فتقدم سيف الدين نحو حلب وخرج الى لقائه الصالح بنفسه والتقى به بالقرب من القلعة فعانقه سيف الدين وضمه اليه وبكى وطلب منه ان يعود الى القلعة ، اما سيف الدين فقد سار الى موقع يعرف بعين المباركة حيث نزل هناك مدة كان خلالها عسكر حلب يخرجون الى خدمته كل يوم [٦٩] .

ثم انتقل سيف الدين من هذا الموضع وتحرك بقواته الى « تـــل السلطان » وكان الحلبيون قد اتفقوا مع الصليبيين على ان يساعدوهم على صلاح الدين وذلك بعد ان اطلقـوا سراح امرائهـــم امثـــال ارناط (Renaudded chatillon) وجوسلين امير الرها (Gocelin d'Edesse) [٧٠]

اما صلاح الدين فقد كان ينتظر وصول الامدادات من مصر بمـا

(٦٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٣٢ .
(٦٨) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٢٧ .
(٦٩) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥١ ـ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٣٣ ـ ابو شامة ج٢ ص ٦٤٩ .
(70) Cahen, p. 416
Runciman; vol II p. 408

وصل اليه المدد عزم على المسير تجاه عسكر الموصل فعبر نهر العاصي عند شيزر [٧١] ورتب عسكره وارسل الاثقال الى حماة ، ثم واصل السير حتى بلغ الموضع المعروف بـ « قرون حماة » [٧٢] .

فبلغ خبر وصوله سيف الدين غازي فارسل من يكشف اخباره ، فوجدوه قد وصل الى جباب التركمان ، وتفرق عسكره يسقى وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فالقوا بأنفسهم الى الارض ، فاشار جماعة من العسكر على غازي بقتلهم وهم على هذه الحال من التفرق والاجهاد ، فقال عزالدين زلفندار مقدم عسكر الموصل ما بنا حاجة الى قتال هذا الخارجي هذه الساعة ، غدا بكرة نأخذهم كلهم « فارجأ القتال الى اليوم التالي » [٧٣] .

فلما اصبحوا يوم الخميس ١٠ شوال من سنة ٥٧١ هـ ١٢ ابريل ١١٧٦ م [٧٤] اشتبك الفريقان في قتال عنيف اهتزت له ميسرة صلاح الدين

---

(٧١) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم واحد في وسطها نهر الاردن وتعد من اعمال حمص : ياقوت : معجم البلدان ج١٢ ص ٣٨٣ .

(٧٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٢ .

وقرون حماة : منطقة جبلية تشرف على مدينة حماة : ياقوت : ج٣ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

Lane - poolle, Ahis tory of Egypt p. 200

Lane - poole, Saladin, p. 143

(٧٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٢٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٩ .

Ruaciman : Ahistory of thc crusades, vol, II. p. 400

(٧٤) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٢

Runciman; Ahistory of the Crusadės Vol II 408

في بداينه وانكسرت امام مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين على صاحب اربل والقائد على ميمنة سيف الدين غازي وادرك صلاح الدين انه اذا لم يتفانى جنده في القتال فان الدائرة تدور عليهم فحمل على عسكر غازي حملة شديدة انكسروا على اثرها واسر جماعة من امرائهم من بينهم فخر الدين عبد المسيح ولكن السلطان لم يلبث ان من عليهم واطلقهم (٧٥) .

قنع صاحب الموصل بهذه الهزيمة النكراء وعزم على القفول الى بلاده بعد ان تكبد عسكره خسائر فادحة بالاضافة الى انه لم يفد من هذه الحرب الا كسب عداء صلاح الدين فعاد الى حلب وامر اخاه عز الدين بالبقاء بها في جمع من العسكر ، ثم انه اسرع بعبور الفرات الى الموصل وهو لا يصدق بالنجاة (٧٦) .

وبهذا الانتصار الحاسم تمهد السبيل امام صلاح الدين لضم حلب ونواحيها الى ملكه ، وكان عليه وهو القائد المجرب ان يبدأ باستنزال الحصون والقلاع المحيطة بحلب من جهة الشمال ليضعف من مقاومتها ويهون عليه امرها (٧٧) ويقطع سبيل اتصالها بالموصل (٧٨) .

---

(٧٥) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٢ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٣٤ ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٥٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٣٩ .

Runciman; Vol II p 409

(٧٦) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٢ ، ابو شامة الروضتين ص ٦٥٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٩ ، ٤٠ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٦ .

(٧٧) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٥٥ Runciman; vol II. p. 409

(78) Grousset; t, II, p. 628

بدأ صلاح الدين ببلدة بزاغة فافتتحها في شوال من سنة ٥٧١ هـ ؛ ثم استولى بعد ذلك على منبج وانتزعها من صاحبها قطب الدين نيال بن حسان الذي لاذ بسيف الدين فاقطعه الرقة (٧٩) .

ثم زحف صلاح الدين بعد منبج الى « قلعة اعزاز » (٨٠) فنصب عليها المجانيق وجد في قتالها وحاصرها مدة ثمانية وثلاثين يوما انتهت باستيلائه على القلعة في ١١ ذي الحجة وباستيلائه على اعزاز نجح صلاح الدين في عزل حلب عن الفرنج واصبح في امكانه ان يضيق عليها الحصار حتى تستسلم ، وبدأ صلاح الدين في محاصرتها في منتصف ذي الحجة سنة ٥٧٢ هـ ٢٤ يونيو ١١٧٦ م وظل مقيما على حصارها مرجئا اقتحامها امام هجمات اهلها بين الحين والحين حتى دخلت سنة ٥٧٣ هـ فاشتد الضيق باهلها وسئموا من طول الحصار فارسلوا يطلبون الصلح ، فاجابهم صلاح الدين الى ذلك على أن تبقى حلب واعمالها في يد الملك الصالح ، ويصبح له حماة وما يليها جنوبا . ثم ان صلاح الدين اعطى قلعة اعزاز لابنة نور الدين اذ خرجت اليه وسألته ان يهبها القلعة فاكرمها واجابها الى طلبها وتنازل لها عن القلعة (٨١) .

---

(٧٩) ابن الاثير : الكامل ١١ ص ٤٣٠ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٣٥ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٣٤ ، عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٧٤٨ .

(٨٠) اعزاز بليدة فيها قلعة شمالي حلب بينهما مسيرة يوم واحد . ياقوت : معجم البلدان ج٧ ص ١١٨ ـ ١٦٩ .

(٨١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٣١ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٣٥ .

Runciman; Ahirtorv of the Crusades, vol, 2, p. 409.
Grousset; op. cit p. 629
Lane - pool; Saladin, p. 144 - 146.

وتقرر الصلح لجميع الاطراف التي اشتركت في قتال صلاح الدين ، فدخل في هذا الصلح كل من : الملك الصالح ، وسيف الديـــن غازي ، وصاحب حصن كيفا ، وصاحب ماردين وكتب في نسخة اليمين :

« انه اذا غدر واحد منهم وخرج عن مقتضى اليمين كان الباقون يدا واحدة عليه [٨٢] .

هـ - وفاة سيف الدين غازي وتولية عزالدين مسعود :

لم يلبث سيف الدين غازي ان توفي في صفر من سنة ٥٧٦ هـ ، وكان قبل وفاته اراد ان يعهد بالولاية لولده معز الدين سنجر شاه الذي لم يكن يتجاوز من العمر ١٢ سنة ، فامتنع عز الدين مسعود (اخو سيف الدين) عن الاجابة والاذعان لهذا القرار [٨٣] ورأى انه احق بالحكم بعد اخيه في الظروف التي تمر بها الدولة الاتابكية ، وقد ايده في ذلك امراء الموصل وفيهم مجاهد الدين قايماز الذي اوضح لسيف الدين المخاطر التي تترقب على تولية ولده الصغير وقال له : قد علمت استيلاء صلاح الدين على البلاد وقربه منا وسنجر شاه صبي لا راي له واخوك عز الدين كبير السن صاحب رأي وشجاعة ، فاعهد اليه واجعله وصيا على اولادك » [٨٤] .

ولا شك ان الخوف من مطامع صلاح الدين في املاك الموصل كان العامل الاساسي الذي دفع امراء الموصل الى اختيار عز الدين مسعود بدلا من سنجر شاه ، الذي لم يكن يستطيع ان يقف امام التيارات السياسية العنيفة .

---

(٨٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٤٦ .
(٨٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٨١ .
(٨٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٦٤ .

ووافق سيف الدين غازي على رأي امرائه ، وجعل الحكم من بعده لاخيه عز الدين مسعود واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معز الدين سنجر شاه ، وقلعة الحميدية لولده الاخر ناصر الدين وجعل مجاهد الدين قايماز (نائبه في القلعة) المدير لامورهما (٨٥) .

وكان صلاح الدين حينئذ في حدود الروم فارسل اليه مجاهد الدين قايماز رسولا هو الفقيه أبا شجاع ابن الدهان البغدادي يطلب منه ان يجدد الصلح مع عزالدين مسعود وان يكون معه كما كان الحال مع اخيه سيف الدين غازي ، وان يبقى عليه الجزيرة وما بيده من حران والرها والرقة والخابور ونصيبين فاجاب صلاح الدين على طلب مجاهد الدين بقوله :

« اما ما خلف عليه من بلاد الموصل فهو باق على حاله ، وأما ما ذكره من بلاد الجزيرة فانما كانت بيده بشفاعة الخليفة على شرط ان يقوى ثغور المسلمين بالمال والعساكر . اما الان فالخليفة قد فوض الى لافعل فيها ما أراه من المصلحة (٨٧) « ونحن نرى رأينا فيما نعتمده بعد مطالعة الديوان في ذلك » وأعاد الرسول بالاكرام وشرع صلاح الدين في العودة الى الشام (٨٨) .

---

(٨٥) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٦٣ ـ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٦٤ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٨ .

(٨٦) في مكان يعرف « ب كوك سو » أو « كونك صو » تقي الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق طبعة مصر ١٩٦٨ ص ٤٣ .

(٨٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جزء ٨ صفحة ٣٦٥ .

(٨٨) محمد تقي الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٤٤ .

(٢)

الموقف السياسي في الشام بعد وفاة الملك الصالح

١ ـ تسليم حلب الى صاحب الموصل :

في رجب من سنة ٥٧٧ هـ ـ ديسمبر ١١٨١ م توفي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين بحلب وكان قد استقدم الامراء والاجناد ، واوصاهم بتسليم حلب الى ابن عمه عزالدين مسعود بن مودود صاحب الموصل واستحلفهم على ذلك [1] . ولكن بعض امراء حلب اعترضوا على تلك الوصية وأشاروا عليه بأن يوصي بها لابن عمه عماد الدين زنكي صاحب سنجار ، مستندين في ذلك الى أحقيته لهذا الملك باعتباره صهره فقالوا : « ان عماد الدين ابن عمك ايضا وهو زوج اختك ، وكان والدك يحبه ويؤثره ، وهو تولى تربيته وليس له غير سنجار ، فلو اعطيته البلد لكان اصلح ، وعزالدين له من البلاد من الفرات الى همذان ولا حاجة به الى بلدك » ، ولكن الصالح كان له رأي آخر في عماد الدين فهو لا يملك من الامكانيات الحربية ما يكفل له المحافظة عليها من اطماع صلاح الدين ، والوضع في نظر الصالح يختلف بالنسبة لعز الدين مسعود ، وقد

---

(١) ابن الاثير : ج١١ ص ٤٧٣ . ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص٥٥ . سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٦٧ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ، ص ٩٤ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٨ ، ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ٨٥ ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٧٠ ، ابن ابيك : كنز الدرر ج٧ ص ٦٥ مخطوط .

Runciman; Ahistory of the crusades, vol, 2 p. 433 - Grousset, t. II, p. 684

تضمن رد الصالح هذا المعنى فهو يقول : « ان هذا لم يغب عني ، ولكن قد علمتم ان صلاح الدين قد تغلب على عامة بلاد الشام سوى ما بيدي ، ومتى سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها وان ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام ، وان سلمتها الى عز الدين امكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده (٢) .

فاقتنع الامراء برأي الملك الصالح واستحسنوا قوله ، فلما توفي أرسلوا الى عزالدين مسعود يستدعونه ليتسلم حلب . ولم يتردد عزالدين في اغتنام هذه الفرصة فاسرع بالسير وبصحبته نائبه مجاهد الدين قايماز الى الفرات في طريقه الى حلب خوفا من صلاح الدين ان يسبقه فيأخذها (٣) وأرسل يستدعى الامراء من حلب فقدموا اليه وحلفوا له اليمين ، ولما تم له ذلك . واصل السير الى حلب فدخلها في العشرين من شعبان سنة ٥٧٧ هـ (٤) وقوبل عزالدين في حلب بترحيب لم يكن في الحسبان وطغت على البلاد موجة من الولاء لآل زنكي شملت الجزيرة وشمالي الشام حتى دمشق . واتصل امراء حلب بالفرنجة والاسماعيلية طالبين منهم التدخل ضد صلاح الدين .

وكان تقي الدين عمر ابن اخ صلاح الدين حينئذ في « منبج » فلما بلغه سير صاحب الموصل الى حلب تخلى عن منبج خوفا من ان يتعرض لهجوم

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٧٣ . سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٦٧ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٤ .

(٤) ابن الاثير الكامل : ج١١ ص ٤٧٣ . ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٤ — ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٠٩ — العيني : عقد الجمان ج ٢١ ص ٦٢٧ .

من جانبه فهرب الى حماه ، فثار اهلها ونادوا بشعار عزالدين مسعود [٥] .

واشار بعض الامراء من عسكر حلب على صاحب الموصل بمهاجمة دمشق ، واطمعوه في بلاد الشام ، ومحبة اهلها للبيت الاتابكي . فابى عزالدين مسعود ان يمضي في ذلك متمسكا باليمين التي كانت بينهم في سنة ٥٧٢ ، وقال : « بيننا يمين فلا نغدر به » [٦] . وأقام عز الدين مسعود في حلب عدة اشهر ثم غادرها الى الرقة ، ولو ان عزالدين استجاب للحلبيين في ذلك الوقت وزحف على دمشق حيث كان شعور الولاء للزنكيين لا يزال ظاهرا لامكن له ان يحقق وحدة الشام تحت حكمه قبل أن يتمكن صلاح الدين من الحضور من مصر [٧] .

كان عماد الدين زنكي صاحب سنجار يطمع في ان تؤول اليه حلب بعد وفاة الملك الصالح وكان من الطبيعي ان يستاء من انضوائها في فلك الدولة الاتابكية بالموصل ، وكان عليه ان يعترض على ذلك بكافة الطرق حتى يحقق هدفه ، فارسل الى اخيه مسعود يطلب منه ان يقدم اليه حلب بدلا من سنجار ، ولكن هذا الطلب قوبل بالرفض من صاحب الموصل الذي امتنع عن اجابته . ويذكر ابن الاثير ان عماد الدين ارسل اليه يهدده بتسليم سنجار الى صلاح الدين اذا لم يتنازل مسعود له عن حلب [٨] .

---

(٥) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٧٤ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٠٨ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ٣٠٩ ـ ابن خلدون : العبر ص ٥٧٤ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٧٤ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٣٠٩ ـ العيني : عقد الجمان ج ٢١ ص ٦٣٧ .
Lane - poole; Laladin, p. 165.

(٧) عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٧٦٤ ـ ٧٦٥ .

(8) Crousset; t. II, p. 685

ويبدو استنتاجا لما ذكره ابن الأثير ان هذا التهديد كان له من الأثر ما جعل مسعود يتراجع عن موقفه ، فقد أوضح له مجاهد الدين قايماز نائبه ومدبر دولته مدى المخاطر التي يتعرض لها اذا لم يستجب لرغبة عماد الدين ، ولم يزل يلح عليه في تسليم حلب الى عماد الدين بدلا من سنجار حتى اضطر صاحب الموصل الى الموافقة على رأيه فيعدل عن معارضته لاخيه ، ويجيبه الى طلبه ، فيسلم حلب اليه وضم اليه سنجار (٩) « على كره منه » في سنة ٥٧٨ هـ هـ (١٠) .

غير ان بعض المؤرخين يذكرون اسبابا اخرى دعت صاحب الموصل الى التنازل عن حلب لاخيه عماد الدين منها ان عزالدين مسعود أدرك انه ليس في استطاعته المحافظة على حلب والموصل معا امام صلاح الدين الذي كان يسعى الى ضم حلب وما يليها الى املاكه ليؤلف بذلك جبهة قوية في الشام امام الصليبيين ، ومما يذكرون من أسباب ان امراء حلب ألحوا عليه بطلب الزيادات في الاقطاع والاموال كثمن لاختيارهم له بعد وفاة الملك الصالح ، فضاق عزالدين منهم لبخل فيه واتفق مع اخيه عماد الدين في الرقة على تسليمه حلب بدلا من سنجار (١١) .

ونحن نأخذ برواية ابن الاثير فهي اقرب الى الواقع ، واذا اخذنا في الاعتبار ان عماد الدين زنكي كان يطمع في أن يكون الوارث لابيه قطب الدين مودود في حكم الدولة الاتابكية ، وكان قطب الدين ينوي

---

(٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٧٤ ــ ٤٧٥ ، العيني : عقد الجمان ٣/٢١ ص ٦٣٨ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٧٤

(١٠) ــ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٣٠٩ . Cahen; p. 421

(١١) ابن شداد: سيرة صلاح الدين ص ٥٥ ــ ٥٦، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦٧ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٠٩ .

بالفعل تمليكه بعد وفاته باعتباره اكبر ابنائه . الا ان فخر الدين عبد المسيح والخاتون ام سيف الدين غازي حالا دون ذلك . وصرفا صاحب الموصل عن وصيته واخذ العهد لسيف الدين غازي ، واستقر عماد الدين زنكي بسنجار بعد ان تدخل عمه نور الدين محمود في هذه القضية في سنة ٥٦٦ هـ .

ويضاف الى هذا ان عماد الدين عندما طلب منه اخوه الخروج معه الى الشام في سنة ٥٧٠ هـ لمنازلة صلاح الدين ومدافعته عن حلب امتنع عن اجابته ، ورفض الخروج لاتفاقه مع صلاح الدين الذي ارسل اليه يستميله ويطمعه في البلاد فمال اليه ورفض الاشتراك في قتاله على النحو الذي اشرت اليه .

ولذلك لا نستبعد ان يكون عماد الدين قد اتخذ من تهديده بتسليم سنجار لصلاح الدين سلاحا ليرغم عزالدين على العدول عن موقفه ، ولم يسع صاحب الموصل امام هذا التهديد سوى الاذعان خوفا من أن ينفذ عماد الدين تهديده ويسلم سنجار الى عدوه فتصبح ديار الموصل والجزيرة تحت رحمته ، هذا بالاضافة الى ما كان من رغبة مجاهد الدين والحاحه على عزالدين بالتنازل عن حلب ، فلم يتجرأ عزالدين مسعود على مخالفته لتمكنه من الدولة وكثرة عساكره واملاكه (١٢) .

ومن هذه الاسباب جميعا يتضح لنا ان تنازل مسعود عن حلب لعماد الدين في مقابل سنجار كان بقصد عدم اتاحة الفرصة لصلاح الدين للتدخل في شئون الجزيرة والموصل وفي نفس الوقت ضمان انضواء عماد الدين الى جانب عزالدين مسعود .

---

(١٢) ـ ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٧٤ ، أبو الفدا : المختصر ج٥ ص ٨٥ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٨ ص ٩١ .
ابن خلدون : العبر ج ٥ ٥٧٤ .

(٣)

الصراع بين صلاح الدين وعزالدين مسعود

أ ـ استيلاء صلاح الدين على اعمال الموصل :

اضطرت الظروف السياسية في الشام بعد وفاة الملك الصالح ، صلاح الدين وهو مقيم بمصر الى التوجه الى الشام ليكون على مقربة من الاحداث الجارية هناك ويتمكن من التدخل عندما تقضي الظروف ذلك . ويبدو ان اخبار الشام الشمالية ازعجته واقلقته ، فعزم على السير الى حلب وكتب الى اخيه تقي الدين عمر صاحب حماه والى نوابه بالشام يأمرهم بالاستعداد والتأهب للقتال ومهد لتدخله في احداث الشام والموصل بالكتابة الى الناصر لدين الله العباسي موضحا له سوء الأحوال في بلاد الشام ، وتعرض حارم لهجوم الصليبيين . واعتداء عسكر حلب على املاكه هناك ، واستنجادهم بالصليبيين[١] ومراسلتهم للحشيشية[٢]. واوضح صلاح الدين للخليفة الناصر دوره السابق في ازالة الخلافة الفاطمية في مصر واعادة البلاد الى النفوذ العباسي ، وذكر في جملة ما ذكره ان حلب من البلاد التي سبق

---

(١) يذكر جروسيه ان صلاح الدين بلغه ان اهل الموصل فاوضوا الصليبيين واغروهم بغزو حدود اقليم دمشق بهدف ارغام صلاح الدين على التحول عن الموصل كما ذكر ان بلدوين الرابع كان يتقرب الى البيت الاتابكي مدافعا عنه مانعا لسقوطه لتعويق الزحف الايوبي المتواصل والمحافظة على حالة التوازن في القوى بين المعسكرين الايوبي والاتابكي .

(Grousset, t. II. p. 715)

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٦٧ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١١٠ العيني : عقد الجمان : ج٢١ ص ٦٤٤ .

للخليفة المستضيء بالله أن قلدها له وانه لم يتركها الا من اجل نور الدين ولا يسعه الآن الا ان يطالب بحقه . وقد عبر عن ذلك بقولـه « والآن فليرجع كل ذي حق الى حقه ليقنع برزقه » (٣) .

وسار صلاح الدين من مصر في الخامس من المحرم سنة ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م قاصدا دمشق فوصلها في ١٧ صفر من السنة نفسها (٤) .

وبلغ صلاح الدين ان رسول عز الدين مسعود وصل الى الفرنـج يحثهم على قتاله ويحرضهم على مهاجمة الثغور الاسلامية ليشغلوه عـن قصد بلادهم ، فادرك صلاح الدين عند ذلك أن عزالدين مسعود قد غدر به ونكث اليمين فعزم على قصد حلب والموصل (٥) ، وفي اثناء طريقه الى حلب انضم اليه مظفر الدين كوكبوري صاحب حران بسبب اختلافه مع عزالدين مسعود صاحبه الموصل ونائبه مجاهد الدين قايماز الذي اقصاه عن ولاية اربل ، فكأنما أراد كوكبوري أن يثأر منهما بانضمامه الى عدوهما صلاح الدين (٦) .

وكان مظفر الدين كوكبوري يداوم الاتصال كتابة بصلاح الدين

---

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ٢١ ص ١١١ ـ ١١٢ .
Baldwin; op. cit. p. 576.

(٤) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٧٨ ـ ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٦ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٦٨ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ٢١ ص ١١٣ ، ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ٨٥ ـ ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٩١ .

(٥) محمد بن تقى الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٩٦. ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(٦) نفس المصدر : ص ٢٠١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ص ٩٥ . عبد القادر طليمات : مظفر الدين كوكبوري ص ٦٣ .

ويلح عليه في عبور الفرات ويطمعه في البلاد [٧] . فسار صلاح الدين ونزل محاصرا حلب في جمادي الاولى من سنة ٥٧٨ هـ ، واقام على حصارها ثلاثة ايام فقط رحل بعدها الى الفرات فنزل ألبيرة وكان صاحبها ابن شهاب الدين الارتقي يدين له بالطاعة ، واصدر من هناك كتبا الى الامراء وملوك الاطراف يرغبهم في الدخول في طاعته ، وذكر في هذه الكتب أن «من جاء مستسلما سلمت بلاده ، على ان يكون من اجناد السلطان واتباعه ومساعديه على جهاد الكفرة » [٨] ، فاجابه من ملوك الاطراف نور الدين ابن قرا ارسلان بن ارتق صاحب حصن كيفا فانضم الى صلاح الدين ووعده هذا بان يهبه آمد اذا فتحها [٩] بدأ صلاح الدين بالرها فحاصرها وأضطر فخر الدين مسعود بن الزعفراني صاحبها الى تسليمها له فاقطعها لمظفر الدين كوكبوري صاحب حران [١٠] .

ثم واصل صلاح الدين تقدمه الى الرقة فانتزعها قسرا من قطب الدين ينال بن حسان المنبجي ثم استولى على اقليم الخابور جميعه [١١] ، ونازل مدينة نصيبين واستولى عليها وولاها حسام الدين ابا الهيجاء السمين ،

---

(٧) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٦ ـ ٥٧ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٢٦ .

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١١٧ . Cahen; p. 421

(٩) محمد بن تقي الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٠٣ ، ١٠٤ . ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١١٧ ، ابو الفدا : المختصر ج ٥ ص ٨٧ ، ابن الوردي : ص ٩١ ، العيني : عقد الجمان ١ ٣/٢٣ ص ٦٤٤ .

(١٠) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٠ .

(١١) نفس المصدر : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٥ ، العيني : عقد الجمان ج ٣/٢١ ص ٦٤٤ .
Wiet; op. cit. p. 319 - Baldwin: op. cit. p. 576

واقطع الخابور جميعه لجمال الدين خوشترين [١٢] • وبذلك نجح صلاح الدين في الاستيلاء على ديار مضر كلها ولم يبق امامه بعد ان اتم اخضاع اهم مدن الجزيرة وحصونها وقلاعها ، سوى التوجه نحو الموصل الهدف الاصلي الذي يسعى الى فرض سيطرته عليه [١٣] •

ب ـ حصار الموصل (المرحلة الاولى) :

كانت الموصل مصدر قلق لصلاح الدين وحجر عثرة امامه في سبيل تحقيق اهدافه فقد رأى انه لا بد من اخضاع الموصل او على الاقل ضمان تأييدها له وتحالفها معه ؛ وأدرك صلاح الدين انه لا يستطيع ان يبدأ جهاده الاعظم ضد الصليبيين الا اذا أمن ظهره ولا يمكن ان يتم ذلك الا بضم الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر لاكمال حلقات الجبهة المتحدة وتضافر القوى الاسلامية ضد الفرنجة [١٤] •

فجمع صلاح الدين امراءه واستشارهم في أي البلاد يبدأ بالهجوم : الموصل ام سنجار ام جزيرة ابن عمر ، فاختلفت آراؤهم في ذلك ، الا ان مظفر الدين كوكبوري الح عليه في قصد الموصل واقنعه بضرورة البدء بها بعد ان هون عليه فتحها وسهل له مهمة الاستيلاء عليها لاهميتها ولضمان وقوعها في يده بمجرد الشروع في محاصرتها وقال : لا ينبغي ان يبدأ بغير الموصل فانها في ايدينا ، لا مانع لها فان عزالدين ومجاهد الدين متى

---

(١٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٢٨ ، ابو الفدا ، المختصر ج٥ ص ٨٧ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٩١ .

(١٣) Lane - poole; Ahistory of Egypt, p. 206 - Cahen; p. 421.

(١٤) الشيال : مصر الاسلامية ج٢ ص ٥٦ .

سمعا بمسيرنا اليها تركاها ، وسارا عنها الى بعض القلاع الجبلية (١٥) .

وايد ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه رأى مظفر الدين وبذل لصلاح الدين مالا كثيرا كي يقطعها له عندما يتم فتحها (١٦) .

واقتنع صلاح الدين بهذا الرآي فسار الى الموصل ونزل عليها في الحادي عشر من رجب سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) (١٧) وكان صاحبها عزالدين مسعود ونائبه مجاهد الدين قايماز قد أعدا العدة لمواجهة الحصار فحشدوا العساكر الكثيرة ، واظهرا من السلاح والات الحصار ما حارت له الابصار (١٨) وبذل مجاهد الدين اموالا كثيرة للعسكر استمالة لهم وشحن ما بقي لصاحب الموصل من البلاد كالجزيرة وسنجار واربل بالرجال والسلاح والاموال (١٩) .

ولما اقترب صلاح الدين من الموصل وشاهد ما كانت عليه من الحصانة والمنعة واطلع على كثرة المدافعين على شرفات اسوارها ، ووفرة

---

(١٥) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٤ — ٤٨٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٩٩ .

(١٦) نفس المصدر : الكامل ج١١ ص ٤٨٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١١٩ ، العيني : عقد الجمان ج٢١ ص ٤٤٦ .

(١٧) ابن شداد سيرة صلاح الدين ص ٥٧ ، ابن خلكان : وفيات ج٢ ص ٩٥ . ابن ابيك : كنز الدرر وجامع الغرر ج٧ ص ٦٦ — ٦٧ (مخطوط ٤٦٤٣ دار الكتب المصرية) .

(١٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٥ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٩ ، العيني : عقد الجمان ج٢١ ص ٦٤٤ . Grousset; t. II. p. 713

(١٩) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٨٥ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٨٦ ، العيني : عقد الجمان ج ٢١ ص ٦٤٤ .

اسلحتهم واقواتهم ، خاف ان يطول عليه امرها ، ويستد حصارها فتستعصي عليه ، فانفرد بان عمه ناصر الدين محمد وبمظفر الدين ، وافضى الى ناصر الدين بمخاوفه وآمره بأن يسلم اليه ما وعده به من الاموال فقال له :

« اذا رجعنا الى المعسكر فاحمل ما بذلت من المال فنحن معك على القول » فرد عليه ناصر الدين بقوله : « قد رجعت عما بذلت من المال فان هذا البلد لا يرام » . وكان من الطبيعي ان يثور عليهما صلاح الدين لتغريرهما به وتحريضهما له على البدء بالموصل ولو انه لم يطعهما لكان في امكانه ان يظفر وشيكا بالحصنين الآخرين ، اما الآن فهو في حيرة من امره وليس أمامه سوى مواجهة الموصل ، وقد عبر عن ذلك بقوله :

« غررتماني واطمعتماني في غير مطمع ، ولو قصدت غيره قبله لكان اسهل اخذا بالاسم والهيبة التي حصلت لنا ، ومتى نازلناه وعدنا عنه ينكسر ناموسنا ، ويفل حدنا وشوكتنا » [٢٠] .

وعاد صلاح الدين بعد جولته الاستطلاعية حول مدينة الموصل الى معسكره ، حيث اشرف على تعبئة الجيش وتأهب للهجوم ، وفي الصباح تقدم بعساكره نحو الموصل فنزل بحذاء « باب كندة » وانزل صاحب حصن كيفا بباب الجسر وانزل أخاه تاج الملوك بوري عند الباب العمادي [٢١] وابتدأ بالهجوم ولكنه لم يظفر بشيء منها ، فقد كان عسكر الموصل قد لزموا الاسوار ولم يسكنوا قوات صلاح الدين من الاقتراب ونقب أسوار المدينة . فاشار تقي الدين عمر بنصب منجنيق وتوجيه قذائفه على سور

---

(٢٠) ابن الاثير : الكامل ص ٤٨٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١١٩ — ١٢٠ .

(٢١) ابن الاثير : الكامل ص ٤٨٦ ، العيني عقد الجمان : ج٢١ ص ٦٤٦

الموصل ولكن صلاح الدين وضح عبث هذا العمل امام تفوق اعدائه في السلاح وفي العدد فقال : « مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق ومتى نصبناه اخذوه ، ولو خربنا برجا وبدنة [22] من يقدر على الدخول للبلد وفيه هذا الخلق الكثير [23] »

ولم يقتنع تقي الدين بما قاله صلاح الدين واصر على نصب منجنيق واحد فقابله اهل الموصل بتسع منجنيقات . وخرج العامة من اهل البلد واستولوا على المنجنيق . فاضطر صلاح الدين ازاء ذلك الى سحب قواته من الموصل وابتعد عنها خوفا من ان يخرج عليه اهل الموصل واجنادها فلا يأمن من هجومهم [24] .

وكان صاحب الموصل عزالدين مسعود قد سير القاضي بهاء الدين ابن شداد الى بغداد مستنجدا بالخليفة العباسي لرد صلاح الدين عن بلاده، فارسل الخليفة الى صدر الدين شيخ الشيوخ وكان بصحبة صلاح الدين آنذاك يأمره بالتوسط في الصلح بين الطرفين . وقد اشار المؤرخ ابن شداد الى هذه الوساطة فقال : « فسيرت رسولا الى بغداد قبيل نزوله بايام قلائل فسرت مسرعا في الدجلة وأتيت بغداد في يومين وساعتين من اليوم الثالث مستنجدا بهم فلم يحصل منهم سوى الانفاذ الى شيخ الشيوخ وكان في صحبة صلاح الدين رسولا من جانبهم يأمرونه بالحديث معه ويتلطف الحال معه » [25] .

---

(٢٢) البدنة : هي جزء من السور يقع بين برجين .

(٢٣) ابن الاثير الكامل ج١١ ص ٤٨٦ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٢٠ .

(٢٤) نفس المصدر ص٤٨٦ ونفس المصدر : مفرج الكروب ص ١٢١ .

(٢٥) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٧ .

ونزل شيخ الشيوخ على الموصل ومعه شهاب الدين بشير الخادم وهو من خواص الخليفة الناصر لدين الله . وترددت الرسل بين صاحب الموصل وصلاح الدين في الصلح فأصر عزالدين مسعود على اعادة البلاد التي اخذت منه فاجابه صلاح الدين الى ذلك واشترط انتسلم اليه حلب، فامتنع صاحب الموصل فعاد صلاح الدين وادخل تعديلا على هذا الشرط فاشار على عزالدين ان يترك نجدة صاحب حلب ومساعدته عليه . فرفض عزالدين وقال: «هو اخيوله معي العهود والمواثيقولا يسعني نكثها»[٢٦].

وتحرج موقف صلاح الدين وخاف ان يفقد مكانته كبطل مجاهد في سبيل الأسلام بسبب ظهوره بمظهر الطامع في اتابكية الموصل ولعل ذلك كان السبب في ان يخاطب الخليفة مبررا اسباب مهاجمته للموصل لتحالف امرائها مع الصليبيين ثم وصلت رسل كل من قزل ارسلان صاحب اذربيجان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط ليتوسطوا فيالصلح بين الفريقين ، وكان عزالدين مسعود ومجاهد الدين قد ارسلا يستنجدان بهما وكذلك بصاحب همذان بهلوان ابن ايلدكز[٢٧] .

وبالرغم من الجهود التي بذلتها هذه الوفود مع رسول الخليفة فقد فشلت المساعي في عقد الصلح بين صلاح الدين وعزالدين مسعود لتمسك كل منهما بموقفه واقام صلاح الدين على الموصل أياما تأكد له فيها بعبث محاصرته لها فقرر الرحيل عنها والتوجه الى سنجار للاستيلاء عليها وليعزل

---

(٢٦) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٧ .
ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٢٢ .

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٧ ، ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٢٢ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٧٧ .

بذلك الموصل عن حلب ويسيطر على بلاد الجزيرة كلها ويضيق الخناق حول الموصل ويضعفها (٢٨) .

فلما علم مجاهد الدين بمسير صلاح الدين الى سنجار ارسل اليها نجدة الا ان صلاح الدين اوقع بهم واخذ سلاحهم ودوابهم ونزل على سنجار وحاصرها وكانت بيد شرف الدين امير اميران أخو عزالدين مسعود (٢٩) .

وشدد صلاح الدين حصاره لسنجار ونصب المجانيق حولها ففتح في سور قلعتها ثلمة اقتحم منخلالها المدينة وملكها ووكل بها من يحفظها (٣٠) .

وقد ذكر المؤرخ ابن الاثير في استيلاء صلاح الدين على سنجار فقال : ان بعض الاكراد فيها راسلوا صلاح الدين واتفقوا معه على فتح الباب من جهتهم ليلا ، فسار صلاح الدين ودخل المدينة ففت ذلك في عضد صاحبها شرف الدين . وطلب الامان فأجابه صلاح الدين الى ذلك ، فدخل سنجار واقطعها الامير سعد الدين مسعود ابن معين الدين انر (٣١) .

ج ـ اتفاق صاحب الموصل وشاه ارمن ضد صلاح الدين :

كان عزالدين مسعود قد ارسل الى شاه ارمن سكمان ظهير الدين

---

(٢٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٥ .

(٢٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٢٢ .

(٣٠) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٢٣ .

(٣١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٨ ، العيني : عقد الجمان ج٢١ ص ٦٤٥ (ذكر ابن خلكان في وفيات الاعيان : ان صلاح الدين اناب سنجار تقي الدين عمر (راجع ابن خلكان ، ج٢ص ٩٥) .

ابن سكمان القطبي صاحب خلاط يستنجد به على صلاح الدين ويسأله مساعدته على رده عن بلاده فارسل شاه ارمن عدة رسل في الشفاعة والتوسط لدى صلاح الدين ليكف عن الموصل وما يتعلق ببلاد عزالدين مسعود لكن صلاح الدين لم يجبه الى ذلك (٣٢) .

ثم قرر صاحب خلاط اخر الامر ان يرسل الى صلاح الدين مملوكه سيف الدين بكتمر وأوصاه في حالة رفض صلاح الدين العدول عن موقفه ان يبلغه بعدم سكوته على هذا الموقف ويهدده اذا لم يرحل عن بلاد الموصل ، وكان صلاح الدين حينئذ يحاصر سنجار فوصله سيف الدين بكتمر وابلغه شفاعة شاه ارمن في صاحب الموصل وسأله الكف عن بلاده ، فسوفه صلاح الدين في الجواب كسبا للوقت ليتسنى له فتح سنجار ، فلما لاحظ بكتمر تعمد صلاح الدين الابطاء في الرد عليه أبلغه مضمون الرسالة الثانية وهي التهديد بحربه اذا لم يرحل عن بلاد عزالدين مسعود وفارقه وهو غاضب ولم يقبل منه خلعة ولا صلة (٣٣) .

وعاد سيف الدين بكتمر الى صاحبه شاه ارمن وابلغه ما كان من صلاح الدين ورفضه لشفاعته ، وخوفه من صلاح الدين وحذره من التواني في قصده كي لا يستفحل امره ، وكان صاحب خلاط مخيما بعسكره بظاهرها ، فسار نحو ماردين ونزل عند صاحبها قطب الدين ايلغازي وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عزالدين مسعود وحموه فقد كان

---

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٨٨ — ٤٨٩ — ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٣٢ — ١٣٣ ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٧٨ (يسميه ابن خلدون شاهرين) .

(٣٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٣٣ ، العيني : عقد الجمان ج٢٣ ص ٦٤٨ .

قطب الدين متزوجا من ابنة عزالدين صاحب الموصل [٣٤] .

وانضم الى هذا الحلف دولة شاه صاحب بدليس [٣٥] وأرزن [٣٦] ، فساروا جميعا واجتمعوا بقوات عزالدين مسعود ونزلوا على حرزم من اعمال ماردين [٣٧] .

اما صلاح الدين فقد رحل عن سنجار ونزل بحران حيث تفرقت عساكره ، فلما بلغه الخبر بمسير صاحب الموصل ومن معه لقصده ارسل الى ابن اخيه تقي الدين عمر صاحب حماة فوصل اليه مسرعا ، وتحرك صلاح الدين بقواته الى راس عين ، فلما علم عزالدين مسعود وحلفاؤه بتقدم صلاح الدين نحوهم خافوا الاشتباك معه ، وتفرق كل منهم الى بلده ، فعاد شاه ارمن الى خلاط ووعد بجمع العساكر والعودة لقتال صلاح الدين، ورجع عزالدين مسعود الى الموصل ، اما قطب الدين ايلغازي فقد اقام بماردين فتحرك صلاح الدين بجيشه ونزل بحرزم [٣٨] .

---

(٣٤) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٩ العيني : عقد الجمان ٢١ ص ٦٤٨ .

(٣٥) بدليس : بلدة من نواحي ارمينية قرب خلاط ذات بساتين كثيرة. ياقوت . ج٣ ص ٣٥٨ .

(٣٦) ارزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة كانت اهم نواحي ارمينية فتحت على يد عياض بن غنم بعد فراغه من فتح الجزيرة سنة ٢٠ هـ (ياقوت : ج٢ ص ١٥٠) .

(٣٧) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٣٣ .

(٣٨) محمد بن تقي الدين عمر : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١١٤ ، ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٨٩ .
ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٣٥ .

واخفقت خطة عزالدين مسعود على الرغم من تأييد بعض الامراء في المدن المجاورة له ، والحقيقة انه لم تنجح محاولات عزالدين مسعود لعرقلة زحف صلاح الدين نحو الموصل ، ولم يعد لعزالدين مسعود بعد ان اخضع صلاح الدين اغلب مدن الشام والجزيرة ، وتحالف مع اصحاب الامارات المجاورة لاتابكية الموصل ، في الوقت الذي احس فيه يضعف نفوذه على الجزيرة وما جاورها من هذه الامارات والقلاع والمدن التي كانت تخضع لدولة الاتابكية في الموصل ، لم يعد لعز الدين بعد ذلك كله من القوة ما يستطيع به مواجهة قوى صلاح الدين فعمد الى اجتذاب اصحاب الامارات المجاورة عن طريق تحذيرهم من اتساع نفوذ صلاح الدين في بلادهم حتى ينضموا اليه ويساعدونه في صراعه مع صلاح الدين.

اما صلاح الدين فقد رأى ضرورة استكمال فتح باقي الحصون في الجزيرة فاستولى في ذي الحجة من سنة ٥٧٨ هـ على حصن آمد واقطعه لنور الدين محمد قرا ارسلان صاحب حصن كيفا تنفيذا لوعده السابق له (٣٩) ثم عبر الفرات قاصدا مدينة حلب فاستولى في طريقه اليها على تل خالد (٤٠) وعين تاب (٤١) وهما من اعمال حلب ، وبذلك ضيق الخناق حولها واصبح الطريق امامه مفتوحا للاستيلاء عليها .

د ـ ضم صلاح الدين لحلب :

في شهر صفر من عام ٥٧٩ هـ ـ يونية ١١٨٣م توج صلاح الدين

---

(٣٩) محمد بن تقي الدين عمر : مضمار الحقائق ص ١٣٨ . ابن الاثير: الكامل ج١١ ص ٤٨٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٣٥ ابن خلدون : ج٥ ص ٥٧٨ . Cahen; p. 421

(٤٠) تل خالد : قلعة من نواحي حلب : ياقوت : ج١ ص ٤٠٥ .

(٤١) عين تاب : قلعة حصينة بين حلب وانطاكية، ياقوت : ج٤ ص١٧٦

انتصاراته في بلاد الشام بالاستيلاء على حلب ، فقد سار بعد استيلائه على عين تاب ونزل بالميدان الاخضر في المحرم من سنة ٥٧٩ هـ وارسل يستدعي العساكر من الاطراف فاجتمع لديه حشد كثيف زحف بهم نحو حلب ونزل بجبل جوشن (٤٢) واظهر انه يريد ان يبني المساكن له ولاصحابه وعساكره (٤٣) وأمر باحضار بنائين وصناع ومهندسين وشرع بحفر أساس قصر يبنيه وقال : « ان كان البلد منزلا لمن فيه فهذا منزلنا ، ونحن نتصرف في البلاد والاعمال ونقطعها لرجالنا ونترك حلب على ما بها » (٤٤).

ولم يكد صلاح الدين يحاصر حلب حتى ارتبك عماد الدين زنكي الثاني الذي كانت تعوزه شجاعة اخيه عزالدين مسعود ودهائه السياسي فقد خشي الاستنجاد باخيه عزالدين او بالصليبيين ، فاسقط في يده، وبدأ يفكر جديا في التخلي عن حلب (٤٥) على الرغم من حصانتها وقوة الدفاع عنها واستطاعة اهلها الصمود ولكنه آثر ان يتقرب الى صلاح الدين ويفاوضه في التنازل عن حلب في مقابل ان يعوضه عنها بمدن في الجزيرة مثل سروج والرقة والخابور ونصيبين وسنجار (٤٦) .

وكان بحلب عدد كبير من الامراء النورية يتولون الدفاع عنها ، فألحوا على عماد الدين زنكي صاحب حلب بطلب المزيد من الاموال للانفاق على الدفاع فاعتذر لهم بقلة ما لديه فقالوا له : « من يريد ان

---

(٤٢) جبل جوشن: جبل مطل على حلب في غربيها ياقوت: ج٦ ص ١٨٦

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٩٦ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٩ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٧٩ .

(٤٤) محمد بن تقي عمر : مضمار الحقائق ص ١٤١ . ١٤٢

(٤٥) عاشور : الناصر صلاح الدين ص ١٥٢ ط مصر ١٩٦٥ .

(٤٦) Grousset : t. II, p. 720

يحتفظ مثل حلب يخرج الاموال ، ولو باع حلى نسائه » (٤٧) . وتبين لعماد الدين ان جيشا على هذا النحو من الشراهة في طلب المال لا يمكنه ان يقوم بواجبه كاملا في الدفاع عن حلب . فمال عندئذ الى تسليم المدينة في مقابل تعويضه له عنها وعزم على الدخول في مفاوضات مع صلاح الدين في امر الصلح ، فانتدب لذلك احد امرائه وهو الامير حسام الدين طمان الياروقي ليكون واسطة الصلح بينه وبين صلاح الدين وطلب عماد الدين ان تكون سنجار له ، فوافق صلاح الدين على ذلك وزاد له عددا من المدن هي : الخابور ونصيبين والرقة وسروج ، ولكنه اشترط على عماد الدين ان يتعهد بارسال العساكر للمشاركة في الجهاد ضد الصليبيين (٤٨) .

وقد قوبل تنازل عماد الدين زنكي عن حلب لصلاح الدين من اهل حلب وأمرائها بموجة من السخط والازدراء والسخرية فنظموا في ذلك الاشعار وتغنوا بها في الاسواق من ذلك قول احد الشعراء :

وبعت سنجار خير القلاع ثكلتك من بائع مشتري (٤٩)

وباستيلاء صلاح الدين على حلب اتحدت الشام وغرب بلاد الجزيرة واستقر ملكه وزادت قوته وتدعم مركزه في البلاد (٥٠) ، وازادت الجبهة الاسلامية تماسكا واصبح قادرا على مواجهة الصليبيين بمن انضم اليه من

---

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٩٧ .

(٤٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤٩٧ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٤٠ . ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٧٩ : العيني : عقد الجمان ج٢١ القسم الرابع ص ٤ . Runciman : vol. II, p. 435.

(٤٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٧٦ ـ العيني : عقد الجمان ج٢١ قسم ٤ صفحة ٤ .

(٥٠) Cahen, : p. 421.

الحلبيين وجند الجزيرة وفرسان التركمان ، فضلا عن تأييد الخليفة العباسي له روحيا [٥١] ، وكان سرور صلاح الدين بالغا بأخذ حلب الى حد انه قال : « الآن قد تبينت انني املك البلاد ، وعلمت ان ملكي قد استقر وثبت » [٥٢] . ومدحه قاضي دمشق محي الدين بن الزكي بأبيات منها :

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجب [٥٣]

وقد اعتبر الصليبيين تسليم حلب لصلاح الدين اعظم نكبة حلت بهم لانها اكدت الروابط الاستراتيجية والعسكرية بين محور مصر ــ سوريا وغدت ممتلكاتهم بالشام محصورة داخل هذا المحور [٥٤] .

هـ ــ حصار الموصل (المرحلة الثانية) :

كانت اربل وجزيرة ابن عمر وشهرزور ودقوقا وقلعة عقر الحميدية بيد مجاهد الدين قايماز [٥٥] نائب عزالدين مسعود في الموصل ومدبر دولته ، وكان يحكم تلك البلاد والقلاع نواب من قبل قايماز يرجعون اليه في امورها ، وفي جمادي الاولى من سنة ٥٧٩ هـ امر عز الدين مسعود

---

(٥١) العريني : الايوبيون ص ٦٨ .

(٥٢) ماجد : صلاح الدين الايوبي ط القاهرة ١٩٥٨ م ص ٩٦ .

(٥٣) محمد بن تقي الدين عمر : مضمار الحقائق ص ١٤٣ .

(٥٤) Stevenson (W.B), the Crusader in the East Cambridge, 1907. p. 230.

Grousset, vol. II, p. 729.

(٥٥) مجاهد الدين قايماز : ابتدأت ولايته على قلعة الموصل في ذي الحجة سنة ٥٧١ في عهد سيف الدين غازي الثاني ، وأصل مجاهد الدين من الفرادي وهي من اعمال سبختان واخذ منها طفلا وتوفي في ربيع الاول سنة ٥٩٥ بقلعة الموصل (ابن الاثير : الباهر ص ١٩٣) .

بالقبض على مجاهد الدين وسجنه بتحريض من الأمير عزالدين محمود زلفندار ، وشرف الدين احمد بن ابي الخير من كبار الامراء في الموصل ومن خصوم قايماز الذين كانوا يسعون لنكبته (٥٦) .

فلما علم نواب مجاهد الدين باعتقاله شقوا عصا الطاعة على صاحب الموصل واعلنوا موالاتهم لصلاح الدين فأرسل زين الدين يوسف صاحب اربل ، ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر الى صلاح الدين يقدمان له فروض الطاعة والولاء، فأجابهما الى ذلك واصبحت اربل وجزيرة ابن عمر تابعتين له ، اما مقاطعة دقوقا (٥٧) فقد صارت من نصيب الخليفة الناصر الذي سير اليها عسكرا استولى عليها ، وهكذا لم يظفر صاحب الموصل من املاك مجاهد الدين الا بشهرزور والعقر (٥٨) .

وبهذا التصرف الاهوج (سجن مجاهد الدين قايماز) ساهم عزالدين مسعود في التعجيل بتدمير دولته ، فقد خسرت اتابكية الموصل بضياع تلك المواقع الثلاثة نفوذها في البلاد التي كانت تحت حكم قايماز ، في الوقت الذي كانت في اشد الحاجة الى تدعيم نفوذها وتقوية مركزها في الجزيرة والموصل .

---

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٤٩٩ – ٥٠٠ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٥٣ ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٥٨٠ ، العيني : عقد الجمان ٢١/٣ ص ٨ ، ١٥٤ .

(٥٧) دقوقا : مدينة بين اربل وبغداد (وتقع على نهر يعرف باسمها وهو الفرع الرئيسي لنهر العظيم (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة كوركيس عواد ويشير فرنسيس ص ٨٣ – ١١٠ (ط بغداد ١٣٧٧ هـ) .

(٥٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٠٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٥٤ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٨١ ، العيني : عقد الجمان ج٤ ص ٩٢٣ .

وكانت مفاوضات الصلح بين صاحب الموصل وصلاح الدين لا تزال دائرة بينهما ، وكان يتولى الوساطة في هذه المفاوضات ، صدر الدين شيخ الشيوخ ، وبشير الخادم رسولا الخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي استجاب لطلب عزالدين مسعود في التدخل بينه وبين صلاح الدين (٥٩) .

فلما وصل وفد الخليفة الى الموصل انضم اليهما القاضي محي الدين ابو حامد بن القاضي كمال الشهرزوري ممثلا عن عزالدين مسعود بالاضافة الى القاضي بهاء الدين بن شداد رسول صاحب الموصل الى الخليفة ، وسار الوفد الى دمشق لمقابلة صلاح الدين والتفاوض معه في امر الصلح (٦٠).

وفي دمشق وافق صلاح الدين على تقرير امور الصلح مع صاحب الموصل ولكنه اشترط عليه ان يترك الخيار لصاحب اربل ولصاحب جزيرة ابن عمر في الانضمام اليه او الى عزالدين مسعود فرفض القاضي محي الدين الشهرزوري ذلك الشرط وتمسك بتبعيتهما لصاحب الموصل ، واصر على ذكر اسميهما في نسخة الصلح (٦١) . وبهذا الاعتراض تعثرت المفاوضات ، ثم لم تلبث أن توقفت وعاد الوفد بدون ان يصل الى نتيجة واحس عزالدين مسعود بضعف موقفه وتأكد لديه طمع صلاح الدين في بلاده فأدرك خطأه في القبض على قايماز واراد ان يتدارك الامر بقدر ما وسعه ذلك فامر باخراج مجاهد الدين قايماز من السجن تكفيرا عن خطئه

---

(٥٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٠٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٥٥ العيني : عقد الجمان ٤/٢١ ب ٩

(٦٠) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٥٥ .

(٦١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٥ ، ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٠٠ — ٥٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٥٥ ، ١٥٦ ابن خلدون : ج٥ ص ٥٨١ .

Baldwin : op. cit. p. 579

في حقه ، وليكون بجانبه في هذه الظروف الصعبة التي تواجه حكومة الموصل • وتم اطلاق سراحه في المحرم من سنة ٥٨٠ هـ في الوقت الذي اصدر الامر بحبس زلفندار وابن ابي الخير عقابا لهما لتسببهما في كل هذه النكبات (٦٢) •

خرج مجاهد الدين من السجن ورآى ما آلت اليه الدولة الاتابكية من الضعف والانهيار ، فاتفق مع عزالدين مسعود على التوجه بطلب المعونة من القوى المجاورة ، مثل اقليم همذان والجبل واذربيجان ، فرأى ان يبادر باستنصار شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل ضد صلاح الدين ، وخرج مجاهد من الموصل قاصدا بلاد الجبل ومر بصاحب اذربيجان « قزل » ، فاقترح عليه ان يقدم له ما يلزمه من معونة حربية عوضا عن البهلوان وقال له « ليس هناك من حاجة لقصد البهلوان فانا اقوم مقامه بمساعدتكم » وتعهد لمجاهد الدين بنجدته وأمده بثلاثة آلاف فارس ، وقنع مجاهد الدين بما أيده به « قزل » ظانا انه يستطيع بهم استرجاع اربل (٦٣) •

وسار مجاهد الدين بمن معه من العسكر وزحف الى اربل لاستعادتها من زين الدين يوسف فلما وصل اليها تفرق عسكره وانشغلوا بالسلب والنهب وعندئذ فاجأهم زين الدين يوسف وهم على تلك الحال برجاله فهزمهم شر هزيمة وقتل معظمهم واستولى على اموالهم وخيلهم وسلاحهم

---

(٦٢) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٠١ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٨١ ، العيني : عقد الجما ٢١/٤ ص ٩ .

(٦٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٠٤ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٨١ ، العيني : عقد الجمان ٢١/٤ ص ١٥ .

وعاد من سلم من العجم الى بلادهم منهزمين [٦٤] .

ولم يكن صلاح الدين بغافل عما يجري من احداث ، فلما بلغه عن طريق حليفه زين الدين يوسف صاحب اربل ما كان من محاولة مجاهد الدين استرجاعها واخفاقه في ذلك ، عزم على التدخل من جديد ، وخرج بجيوشه الى حران فوصلها في صفر ٥٨١ هـ [٦٥]، وكانت حران حينئذ بيد مظفر الدين كوكبوري ، الذي كان يراسل صلاح الدين في كل وقت ويحثه على قصد الموصل وتعهد بان يقدم له خمسين الف دينار بالاضافة الى النفقات التي قد يحتاج اليها في هذه الحملة [٦٦] .

غير ان مظفر الدين لم يلبث ان نكث بوعده عندما وصلت طلائع صلاح الدين الى حران فانكر ذلك منه وخشي ان يكون مظفر الدين قد مال الى صاحب الموصل ، فامر بالقبض عليه وانتزع منه حران والرها [٦٧].

وظل مظفر الدين كوكبوري سجينا شهرا وبضع شهر حتى اصدر صلاح الدين امره باطلاق سراحه في مستهل ربيع الاول من سنة ٥٨١ هـ وخلع عليه واعاد اليه حران والبلاد التي كانت تابعة له باستثناء قلعة الرها

---

(٦٤) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٠٤ ، ابن خلدون : ج٥ س ٥٨١ ، العيني : عقد الجمان ٢١/٤ ص ١٥ .

(٦٥) ابن شداد سيرة صلاح الدين ص ٦٧ – ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٦٤ . Baldwin; op. cit. p. 580.

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ج١ ص ٥١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ س ١٦٥ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٨١ ، العيني : عقد الجمان ٢١/٤ ص ١٧ .

(٦٧) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٦٥ ، العيني : عقد الجمان ج ٢١/٤ س ١٧ .

التي وعده بردها اليه (٦٨) .

ولما تم لصلاح الدين ذلك رحل عن حران ، ونزل برأس عين وهناك قدم اليه رسول قلج أرسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم يحمل اليه رسالة تتضمن معاني التهديد يخبره فيها باجماع ملوك الشرق على قتاله ان لم يعد عن الموصل وماردين (٦٩) .

فلم يعبأ صلاح الدين بذلك ورحل الى دنيسر ، وهناك التحق عماد الدين بن قرا ارسلان بخدمته ومعه عسكر اخيه نور الدين صاحب آمد وحصن كيفا وساروا جميعا الى نصيبين حيث وافاه معز الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازي صاحب جزيرة ابن عمر (٧٠) ثم زحف صلاح الدين نحو الموصل ونزل بالاسماعيليات الواقعة بالقرب منها (٧١) . وكان صلاح الدين قبل نزوله في الاسماعيليات قد سير القاضي ضياء الدين ابو الفضائل الشهرزوري الى بغداد لابلاغ الخليفة بعزمه على قصد الموصل والاسباب التي دفعته الى ذلك ، وقال في رسالته الى الخليفة « ان اهل الموصل

---

(٦٨) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٨ ، عقد الجمان ج ٢١/٤ ص ١٧ (ذكر محمد بن تقي الدين عمر في مضمار الحقائق ں ٢١٣ ان مظفر الدين كوكبوري لم يمكث في السجن سوى يوما واحدا وأن صلاح الدين أعاد اليه قلعتي الرها وحران في آخر العام) .

(٦٩) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ں ٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ں ١٦٥ ، ١٦٦ . ، العيني : عقد الجمان ٢١/٤ ص ١٨ .
Grousset, t. II, p. 762.

(٧٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان : ج٨ ں ٣٨٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ں ١٦٦ ، العيني : عقد الجمان ٢١/٤ ص ١٨ .

(٧١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٤٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٦٦ ، العيني : عقد الجمان ٢١/٤ ص ١٨ .

يخطبون لطفرل السلجوقي وينقشون السكة باسمه وانهـم يراسلون الصليبيين ويحرضونهم على مهاجمة البلاد الاسلامية ، وانه لم يأت لاجل الازدياد في الملك ولا لقطع البيت القديم وقطع اصله ، وانما مقصوده ردهم الى طاعة الخليفة ، ونصرة الاسلام وردهم عما اعتادوا من الظلم واستحلال المحارم وقطعهم عن مواصلة العجم ، والزامهم بما يجب عليهم من حفظ الجار وصلة الرحم » (٧٢) .

اما عز الدين مسعود فقد اسقط في يده عندما بلغه مضي صلاح الدين في عزمه لمحاصرة الموصل ، فارسل اليه وفدا من والدته وابنة نور الدين وغيرها من النساء وجماعة من اعيان الدولة لطلب الصلح والكف عن محاصرة الموصل ، فمال صلاح الدين الى اجابتهن للصلح ، فاعترض الفقيه عيسى الهكاري وعلي بن احمد المشطوب ، وكلاهما من بلـد الهكارية من اعمال الموصل ، وحذرا صلاح الدين من الاجابة الى الصلح وقالا له :

« مثل الموصل لا يترك لامراءة ، فان عز الدين ما أرسلهن الا وقد عجز عن حفظ البلد » (٧٣) .

فاقتنع صلاح الدين برأيهما ، واعتذر لوفد الموصل عن الاجابة وردهن خائبات فاستقبح الناس ذلك من صلاح الدين ، وجاءته كتـب القاضي الفاضل وغيره ممن ليس له هوى في الموصـل يقبحـون فعلـه

---

(٧٢) ابن واصل : ج٢ ص ١٦٦ .
(٧٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٢ .

وينكرونه [٧٤] .

وبذل اهل الموصل نفوسهم في القتال عندما بلغهم رد صلاح الدين للنساء فاستبسلوا في الدفاع عن المدينة [٧٥] .

ثم توافد على صلاح الدين وهو معسكر بالاسماعيليات ، زين الدين يوسف ومظفر الدين كوكبوري بجيوشهما فانزلهما في الجانب الشرقي من الموصل [٧٦] .

وشرع صلاح الدين في اقطاع البلاد للامراء فسير الامير على بن احمد المشطوب ومعه الامراء من عشيرته الى بلد الهكارية ، وارسل جماعة من الامراء الحميدية الى العقر واعمالها لافتتاح قلاعها [٧٧] .

أما اهل الموصل فكانوا يخرجون من الجانب الشرقي (عبر دجلة) فيقاتلون صلاح الدين ويعودون الى البلد ، وكان مجاهد الدين قد حصن المدينة واصلح احوال الجند [٧٨] فطال حصار صلاح الدين للموصل دون ان ينال منها مأربا لحصانة اسوارها واستبسال عسكرها في الدفاع ، فتقدم الى صلاح الدين أحد المهندسين وهو الفقيه العالم فخر الدين ابو شجاع

---

(٧٤) نفس المصدر : الكامل : ج١١ ص ٥١٢ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٩٥ ، ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ٩٢ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ص ٩٤ .

(٧٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٩٥

(٧٦) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨١ ص ٣٨٣ .

(٧٧) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٦٧ .

(٧٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٦٨ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٨ .

البغدادي واشار عليه بقطع دجلة وتحويلها الى نينوى حتى يضطر اهل الموصل الى التسليم بدون قتال ولكن صلاح الدين اعرض عن هـــذا المشروع اذ رأى صعوبة تنفيذ بالاضافة الى ما يستلزمه ذلك من وقت طويل ومال كثير (٧٩) .

وللمرة الثانية يضطر صلاح الدين الى رفع الحصار عن الموصل في نهاية ربيع الآخر من سنة ٥٨١ هـ ويرحل عنها الى خلاط ، بعد ان بلغه وفاة صاحبها « شاه ارمن » سقمان الثاني واستيلاء مملوكه سيف الدين بكتمر على البلاد (٨٠) فاستنجد بكتمر هذا بصلاح الدين وعرض عليه تسليم خلاط والدخول في طاعته بعد ان بلغه مسير الاتابك شمس الدين البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب بلاد العجم نحو بلاده ، ولم يطل مقام صلاح الدين بخلاط فقد سار الى ميافارقين فتغلب عليها وقرر قواعدها بعد وفاة صاحبها نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب آمد والحصن ، وتسلم صلاح الدين ميافارقين من اسد الدين يرنقش في جمادي الاولى سنة ٥٨١ هـ ، واقطعها لمملوكه سنقر الخلاطي وعاد الى الموصل (٨١) .

---

(٧٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٣ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٦٧ .
(٨٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٨٣ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٥ ، ابن ابيك : كنز الدرر وجامـــع الغرر ج٧ ص ٦٩ (مخطوط) العيني : عقد الجمان ج ٢١/٤ ص ١٨ (مخطوط) .
(٨١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٥ ـ ٥١٦ .
Cahen, p. 422.

و ـ حصار الموصل (المرحلة الثالثة) ونهاية الصراع بين صلاح الدين وعز الدين مسعود .

عاد صلاح الدين لحصار الموصل من جديد بعد ان انتهى من تقرير الامور في ميافارقين وهذا هو الحصار الثالث في عهد عزالدين مسعود ، فنزلت قوات صلاح الدين على نهر دجلة بناحية كفر زمار بالقرب من الموصل وذلك في شعبان من سنة ٥٨١ هـ وعزم صلاح الدين هذه المرة على المقام بها واقطاع جميع بلاد الموصل (٨٢) .

فترددت الرسل بين عزالدين مسعود وصلاح الدين طلبا للصلح وحسما للامور بينهما ، فعرض في هذه الاثناء لصلاح الدين مرض شديد اضطره الى الرحيل عن كفر زمار الى حران في مستهل شوال من سنة ٥٨١ هـ فحضر عنده اخوه الملك العادل من حلب ومعه اطباؤها (٨٣) فلحقته رسل صاحب الموصل الى حران ، وكان وفد الموصل يضم بهاء الدين الربيب ، والقاضي بهاء الدين بن شداد الذي فوض اليه امر التوقيع على الصلح وتحليف صلاح الدين لعزالدين مسعود (٨٤) .

ويروي ابن شداد هذه الوساطة فيقول : « فندبوني لهذا الأمر وبهاء الدين الربيب وفوض الى امر النسخة التي يحلف بها ، وقالوا : امضيا ما يصل اليه جهدكما وطاقتكما فسرنا حتى أتينا العسكر ، والناس كلهم

(٨٢) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٦ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٨٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٥ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٥ ص ٩٣ ، ابن الووردي : تتمة المختصر ص ٩٤. العيني : عقد الجمان ج ٢١/٤ ص ١٨ .

(٨٣) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٧٠ ، العيني : عقد الجمان ج ٢١/٤ ص ١٩ .

(٨٤) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٧٠ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٥ .

آيسون من السلطان ، وكان وصولنا في اوائل ذي الحجة من السنة المذكورة فاحترمنا احتراما عظيما ، وجلس لنا ، وكان اول جلوسه من مرضه وحلف في يوم عرفه واخذنا منه « بين النهرين »(٨٥) وكان اخذها من سنجر شاه فاعطاها المواصلة ، وحلفته يمينا تامة ، وحلفت اخاه الملك العادل ومات ـ قدس الله روحه ـ وهو على ذلك العهد لم يتغير عنه»(٨٦)، وعادا الرسولان ومعهما الهدايا لعز الدين ووالدته وزوجته بما قيمتها عشرة آلاف دينار عدا الخيل والملبوس(٨٧) .

وتسلم صلاح الدين بموجب هذا الصلح ، بلاد شهرزور واعمالها وولاية القرابلى وجميع ما وراء الزاب من الاعمال ، وخطب له في جميع بلاد الموصل وانقطعت خطبة السلاطين السلاجقة وضربت السكة باسمه(٨٨).

وترتب على هذا الاتفاق الذي عقد بين عز الدين مسعود وصلاح الدين نتائج سياسية هامة فقد خسرت الموصل كيانها كدولة مستقلة ، واصبح اتابك الموصل واحدا من نوا ب صلاح الدين وتابعا من اتباعه وليس له من الحكم سوى الاسم واللقب .

---

(٨٥) المقصود بما بين النهرين هو جزيرة ابن عمر التي كانت بيد سنجر شاه .

(٨٦) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٧٠ .

(٨٧) ابو الفداء : المختصر ج٣ ص ٧٣ .

(٨٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٧٢ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٥ ص ٩٣ ، ابن الوردي تتمة المختصر ج٢ ، ابن ابيك : كنز الدرر وجامع الغرر ج٧ ص ٧١ (مخطوط) ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٨٣ ، العيني : عقد الجمان ج ٢١/٤ ص ١٩ .

Stevenson (W.B); op. cit. p. 236.

ومنذ ذلك الحين ضعفت الدولة الاتابكية وتقلص ظلها وأوشكت على الزوال فانحصرت في رقعة صغيرة من ارض الموصل ، بعد ان كانت تسيطر على مساحات كبيرة شملت حدودها شهرزور شرقا وسواحل سوريا غربا ومن آمد وديار بكر وجبال الاكراد الهكارية والحميدية شمالا الى الحديثة جنوبا .

(٤)

اشتراك الموصل في الجهاد ضد الصليبيين تحت راية صلاح الدين :

كان من شروط الصلح الذي عقد بين صلاح الدين وصاحب الموصل عزالدين مسعود ان تعهد الاخير في المشاركة بعساكره وامواله في الجهاد الذي يتزعمه صلاح الدين ضد القوى الصليبية في بلاد الشام (١) وقد اوفى عز الدين مسعود بهذا الشرط وساهم مساهمة فعالة في العمليات الحربية ضد الفرنج وحضرت عساكره معظم الحروب التي وقعت في الفترة ما بين (٥٨٣ هـ ــ ٥٨٨ هـ ١١٨٧ ، ١١٩٢ م) ، ولم يتأخر عز الدين مسعود عن اجابة صلاح الدين وامداده بالجند والسلاح .

وكان أول عمل ساهمت فيه عساكر الموصل بعد خضوعها لصلاح الدين هو اشتراكها في الهجوم على طبرية في ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ ومن ثم اشتركت في القتال بسعركة حطين وكان قائد جند الموصل هو الامير فخر الدين مسعود بن الزعفراني (٢) .

وحضرت عساكر الموصل جميع المعارك التي تلت موقعة حطين فكان

---

(١) R.C. Smail; Crusading Warfare p. 70 Cambridge 1956 Lane poole; History of Egypt in the Middle Ages p. 207 London 1955.

(٢) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٢٩ ــ ٥٣٨ ، ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٧٥ ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

لهذه القوات الشرف في الاشتراك بفتح بيت المقدس في رجب سنة ٥٧٣ هـ. وفي اثناء حصار صلاح الدين لعكا أرسل عز الدين مسعود كميات من النفط الابيض ومجموعة كبيرة من التراس والرماح . وكان النفط الابيض حينئذ يكاد يكون نادرا مما أوجب شكر صلاح الدين له بكتاب ارسله اليه من انشاء العماد الكاتب جاء فيه (وصل السلاح وتم للاسلام من قروح الكفر الاقتراح ، واستجيدت التراس والرماح ، وفارقت للقائها اجسام الاعداء الارواح ، واتصل بالنفط الابيض الواصل الى اهل النار الاحتراق) (٣) .

ولم تقتصر مشاركة عزالدين في حصار عكا على السلاح والنفط فقط ، فأنفذ ولده علاء الدين خرم شاه على رأس جيش الموصل في سنة ٥٨٦ هـ وكان ينوي الحضور بنفسه الا ان بعض الامور الداخلية اضطرته للبقاء في الموصل فعهد لولده بقيادة هذا الجيش ، وقد رحب صلاح الدين بعسكر الموصل وانزل علاء الدين بين ولديه الافضل والظاهر ولقبه بالملك السعيد . وظل علاء الدين على حصار عكا حتى ذي القعدة من سنة ٥٨٦هـ حيث أذن صلاح الدين بانصراف العساكر على امل العودة للقتال (٤) .

ولم تلبث قوات الموصل ان عادت الى الجهاد في سنة ٥٨٧ هـ فخرجت جيوش الموصل بقيادة علاء الدين خرم شاه الى الشام والتحقت بقوات صلاح الدين في جمادي الاولى سنة ٥٨٧ هـ وبقية هناك حتى رمضان سنة ٥٨٨ هـ (٥) .

---

(٣) العماد الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٢٣١-٢٣٢
(٤) نفس المصدر : الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ابن الاثير : الكامل ج١٣ ص ٤٧ .
(٥) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٢٢ .

وذكر ابن الاثير ان عساكر الموصل خرجت مع الملك الافضل من دمشق ليقطعوا الطريق امام الفرنج الذين عزموا على الخروج من عكا وقصد بيروت ، فلما بلغهم حركة الافضل عدلو عن خطتهم وآقاموا بعكا ولم يفارقوها (٦) .

وفي سنة ٥٨٧ هـ دخل صلاح الدين بيت المقدس فرأى ضرورة تحصين المدينة أمام الاعداء ، فاهتم ببناء السور وتعميق الخندق ، فلما بلغ ذلك صاحب الموصل أرسل الى صلاح الدين جماعة من الحجارين عددهم خمسون رجلا « اذا اجتمعوا قطعوا جبلا » (٧) وشاركوا في اعمال التحصين وقطع الصخور وعملوا برجا وبدنة (٨) وكان هؤلاء الحفارون يتسلمون رواتبهم من عزالدين مسعود طيلة الاشهر الستة التي استغرق فيها العمل ببيت المقدس (٩) .

ب ـ حصار صاحب الموصل لجزيرة ابن عمر :

كانت جزيرة ابن عمر بيد سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود وهو ابن أخي عزالدين مسعود صاحب الموصل .

وكان سنجر شاه هذا مواليا لصلاح الدين على عمه عزالدين مسعود. فقد كان يراسل صلاح الدين ويوغر صدره على عزالدين مسعود ، ولم يكن عز الدين يستطيع ان يقابل ذلك الا بالصبر والسكوت حفاظا على

---

(٦) ابن الاثير الكامل ج١٢ ص ٨٣ ـ ٨٤ .
(٧) العماد الاصفهاني الفتح القسي ص ٤٠٠ .
(٨) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٧٤ .
(٩) العماد الاصفهاني الفتح القسي ص ٤٠٠ .

علاقة الرحم . وخوفا من اثارة غضب صلاح الدين عليه الامر الذي قد ينتهي بضياع ملكه (١٠) .

وقد شارك سنجر شاه بعساكره سنة ٥٨٦ هـ مع قوات صلاح الدين اثناء محاصرته لمدينة ــ عكا ــ ورحب صلاح الدين بهذه المشاركة فاحسن استقباله وأمر ان تضرب له خيمة الى جانب عمهعماد الدين زنكي (١١) ثم استبد بـه الضجر والقلق ، فالتمس من صـلاح الدين أن يسمح له بالعودة الى بلاده فقال له صلاح الدين : « عندنا من اصحاب الأطراف جماعة منهم عماد الدين صاحب سنجار وغيرها ، وهو اكبر منك ، ومنهم ابن عمك عزالدين ، وهو اصغر منك وغيرهم . ومتى فتحت هذا الباب اقتدى بك غيرك » (١٢) .

ولم يقتنع سنجر شاه برأي صلاح الدين . والح في طلـب الاذن بالرحيل . وكان جماعة من اهل الجزيرة قد حضروا عندصلاح الديـن شاكين له من ظلم سنجر شاه لهم وأخذه اموالهم واملاكهم (١٣) .

ويبدو ان الحاح سنجر شاه المتواصلفي الرحيل بالاضافة الى هذه الشكايات قد اوغر عليه صدر صلاح الدين ولكنه لم يفصح عن ذلك الى ان كان يوم عيد الفطر من سنة ٥٨٦ هـ فاستأذن سنجر شاه في الدخول على صلاح الدين وسأله السماح له بالرحيل فاعتذر صلاح الدين وقال :

---

(١٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٦٠ ، ابن خلدون : العبـر ج٥ ص ٥٨٤ .
(١١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٢١ ــ ١٢٢ .
(١٢) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٦٠ .
(١٣) نفس المصدر : الكامل ج١٢ ص ٦٠ ــ ٦١ .

هذا وقت تقدم فيه العساكر وتجتمع لا وقت تفرقها » [١٤] .

فانكب سنجر شاه على يد صلاح الدين وقبلها مودعا له وسار باصحابه من المعسكر فلما علم صلاح الدين برحيله كتب الى ابن اخيه تقي الدين عمر يأمره باعادة سنجر شاه طوعا او كرها ، وكان تقي الدين قد اقبل من حماة في عسكر للانضمام الى صلاح الدين فالتقى بسنجر شاه في عقبة فيق واعاده الى معسكر صلاح الدين [١٥] .

واقام سنجر شاه عدة ايام في المعسكر فكتب صلاح الدين الى عز الدين مسعود يأمره بقصد الجزيرة ووضع يده عليها . الا ان عز الدين تردد في تنفيذ هذا الامر على الرغم من اغتباطه له ، فعمل على زيادة الحيطة خوفا من أن يكون في الامر مكيدة تهدف الى الاطاحة به ، فعمل على زيادة الحيطة واتخاذ وثيقة في يده تكفل له زيادة التأكيد والضمان فأرسل يطلب من صلاح الدين منشورا بالجزيرة [١٦] . وتم الاتفاق على هذا بعد مفاوضات جرت بينهما فتجهز عز الدين مسعود وخرج من الموصل في أول عام ٥٨٧ هـ فحاصر جزيرة ابن عمر مدة تزيد على اربعة اشهر دون ان ينال منها مأربا ثم اتفق عزالدين وسنجر شاه على أن تكون لصاحب الموصل نصف اعمال الجزيرة ولسنجر شاه نصفها ، وتكون الجزيرة بيد

---

(١٤) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٤٥ .

(١٥) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٦١ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٨٤ (ذكر ابن خلدون ان تقي الدين التقى بسنجر شاه في قلعة فنك) .

(١٦) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٦٢ . (ذكر ابن الاثير في الباهر صفحة ١٨٤ ان عزالدين مسعود سار الى محاصرة الجزيرة بسبب سوء سلوك صاحبها تجاهه ومساعدة الاعداء ضده ولم يذكر ان صلاح الدين اشار عليه بذلك ويؤيده في ذلك ابن الفرات ج٨ ص ٢٣ .

سنجر شاه من جبلة النصف ، وعاد عزالدين الى الموصل في شعبان سنة ٥٨٧ هـ (١٧) .

وفي شهر صفر من سنة ٥٨٩ هـ توفي صلاح الدين الايوبي بدمشق فدخلت العلاقات بين أتابكية الموصل وخلفاء صلاح الدين في الشام مرحلة جديدة استغل فيها الاتابكة الصراع الذي حدث بين الملك العادل وأولاد صلاح الدين في الشام فتحالفوا مع طرف ضد الآخر ، وتعرضت الموصل في صلاح الدين في الشام، فتحالفوا مع طرف ضد الآخر، وتعرضت الموصل في كوكبوري صاحب أربل .

---

(١٧) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٦٢ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٨٥ .

الفصل الرابع

العلاقات في عهد خلفاء صلاح الدين الايوبي

(١) الصراع بين نور الدين ارسلان والملك العادل ابي بكر بن ايوب حتى صلح سنة ٥٩٧ هـ ٠

(٢) تجدد الصراع بين نور الدين والعادل حتى سنة ٦٠٧ هـ ٠

(٣) تدخل الاشرف موسى في الصراع الداخلي في الموصل ٠

(١)

الصراع مع العادل أبي بكر بن ايوب حتى صلح سنة ٥٩٧ هـ

أ ـ محاولة عز الدين مسعود استرجاع الجزيرة ووفاته في ٥٨٩ هـ:

توفى الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بدمشق في صفر من سنة ٥٨٩ هـ [١] وكان قد قسم البلاد قبل وفاته بين اولاده ، فخص العزيز بملك مصر ، والافضل بدمشق والشام الجنوبية وفلسطين ، والظاهر بحلب وشمال الشام ، والظافر خضر بملك بصرى وحوران ، وخص أخاه العادل بملك الكرك والاردن والجزيرة وديار بكر ، والامجد بملك بعلبك ، والمجاهد شيركوه الثاني حفيد شيركوه بن ايوب بملك حمص ، والمظفر منصور الاول بن تقي الدين عمر بملك حماه ، اما اليمن وبلاد الحجاز فقد اختص بها سيف الاسلام طغتكين رابع أخوة صلاح الدين [٢] .

ولقد حركت وفاة صلاح الدين وتقسيم المملكة بين اولاده واقاربه مطامع عز الدين مسعود صاحب الموصل فاستغل تلك الفرصة وبادر

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٩٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ٤١٩ . ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ١١٣ .

Grousset, t. III, p. 140.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص ٦ ، الرعيني : الايوبيون ص ١١٤ ـ ١١٥

Grousset, t. III, p. 141

عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ١١٢ ـ ١١٣ .

بالاجتماع مع الامراء وأهل الرأي في دولته . واستشارهم فيما يجب عليه عمله . فاشار عليه مجد الدين ابو السعادات[٣] بضرورة الاسراع في الحركة الى البلاد الجزرية، غير ان مجاهد الدين قايماز نائب عز الدين في الموصل عارض هذه الفكرة ورأى ان يكاتبوا أصحاب الاطراف وأمراء المدن المجاورة للوقوف على رأيهم وضمان تأييدهم لصاحب الموصل[٤] .فاقتنع عز الدين مسعود برأي مجاهد الدين وأرسل الى مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل ، وسنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر ، والى عماد الدين زنكي صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة . يدعوهم الى الاتفاق معه وتأييده ضد الايوبيين وليمدوه بالعساكر لمحاربة خلفاء صلاح الدين أو ليضمن على الاقل وقوفهم موقفا حياديا أثناء صراعه المقبل مع الايوبيين[٥] .

الا ان ملوك الاطراف لم يستجيبوا لدعوة صاحب الموصل، واشاروا عليه بضرورة الانتظار وترقب الموقف لدراسة ما يقدم عليه اولاد صلاح الدين والملك العادل[٦] . ونعتقد ان ملوك الاطراف انما أشاروا عليه بذلك لانهم وجدوا انه ليس من مصلحتهم ان يستعيد صاحب الموصل نفوذه وقوته ، والافضل ان يظل ضعيفا حتى يبقى الوضع كما هو فلا يطمع

---

(٣) مجد الدين ابو السعادات مبارك محمد بن محمد بن عبد الكريم وهو اخو المؤرخ بن الاثير ، وكان من المقربين الى البيت الاتابكي في الموصل وتولى ديوان جزيرة ابن عمر في عهد سيف الدين غازي الثاني ، ثم اتصل بعز الدين مسعود ولازمة حتى وفاته في سنة ٥٨٩ هـ ، ثم اتصل بولده نور الدين ارسلان شاه الذي عرض عليه الوزارة ولكن مجد الدين آثر الابتعاد عن السياسة فبقي بداره (راجع ابن الساعي: الجامع المختصر ج٩ ص ٢٩٩).

(٤) ابن الاثير : الباهر ص ١٨٥ – سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٤٣٥ .

(٥) عبد القادر طليمات : مظفر الدين كوكبوري ص ٥٨ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٠٠ .

فيما بايديهم من البلاد التي كانت تابعة من قبل للنفوذ الاتابكي في الموصل .

وكان في مقدمة هؤلاء الذين رفضوا دعوة صاحب الموصل الامير مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل وشهرزور التي كانت من أملاك الموصل وتنازل عنها عز الدين مسعود لصلاح الدين في سنة ٥٨١ هـ [٧] فقد كان كوكبوري يخشى من ازدياد قوة صاحب الموصل حتى لا يعمل على استرداد أربل وشهرزور [٨] .

وأقام عز الدين مسعود بالموصل عدة اشهر يراسل ملوك وأمراء الاطراف ، فلم يتفق معه منهم سوى أخوه عماد الدين زنكي صاحب سنجار على قواعد استقرت بينهما [٩] .

ورأى عز الدين ان يجتمع مع أخيه لتنظيم خطة مشتركة يلتزمانها معا لاسترجاع ما كان صلاح الدين قد اقتطعه من أتابكية الموصل ، فتجهز بجيشه وخرج من الموصل متجها الى نصيبين حيث اجتمع بأخيه عماد الدين زنكي . وفي هذه الاثناء اصيب عز الدين مسعود بمرض الاسهال وهو بنصيبين ، فسار بالعساكر الى تل موزن قاصدا الرها لمحاربة العادل أخي صلاح الدين [١٠] فارسل اليه الملك العادل يطلب الصلح على ان تكون

---

(٧) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٠٧ ، ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ٩٣ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ص ٩٥ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٨٣ .

(٨) طليمات : مظفر الدين كوكبوري ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٩) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٨ .

(١٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٢٥ .

حران والرها والرقة بيده على سبيل الاقطاع من صاحب الموصل . الا ان عز الدين مسعود رفض الاجابة على ذلك (١١) .

واشتد به المرض وهو نازل في « تل موزن » فاضطر للعودة الى الموصل مع نائبه مجاهد الدين قايماز وطائفة من العسكر بعد ان ترك باقي الجند مع أخيه عماد الدين زنكي ليقرر قواعد الصلح مع العادل (١٢) .

ودخل عز الدين مسعود الموصل وقد زادت علته فتوفى في شعبان من سنة ٥٨٩ هـ وخلفه على أتابكية الموصل ابنه نور الدين ارسلان شاه وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايماز (١٣) .

ب ـ استيلاء نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل على نصيبين ورجوعه عنها :

توفى عماد الدين زنكي صاحب سنجار ونصيبين والخابور في المحرم من سنة ٥٩٤ هـ ، فملك بعده ولده قطب الدين محمد وقام بتدبير امور دولته مملوك أبيه مجاهد الدين يرنقش (١٤) فعزم صاحب الموصل نورالدين ارسلان شاه على التوجه نحو نصيبين واخذها من قطب الدين محمد ،

---

(١١) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٩ .
(١٢) ابن الاثير : الباهر ص ١٨٤ . العيني : عقد الجمان ج٤/٢١ ص ١٨٢ .
(١٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٤ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٢٠ ، ٢٢ ، ابو الفدا : المختصر ج٨ ص ١١٥ .
(١٤) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١٣٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٤٥٧ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٧٨ .

وذلك بسبب نزاعه معه حول بعض القرى من اعمال الموصل كان قد استولى عليها نواب عماد الدين زنكي في نصيبين [15] .

وما ان سمع قطب الدين بعزم صاحب الموصل على التوجه الى نصيبين حتى اسرع في الخروج من سنجار والنزول بعساكره في ظاهرها ليمنع نور الدين عنها .

فلما وصلت قوات نور الدين اشتبك الطرفان في قتال عنيف انتهى بهزيمة قطب الدين ومن معه واستولى نور الدين على نصيبين [16] .

لم يجد قطب الدين ونائبه مجاهد الدين يرنقش بعد هزيمتهما بدا من الاستنجاد بالملك العادل ليعينهما على استعادة نصيبين . فارسلا الى العادل وهو بدمشق يستنجدان به على صاحب الموصل نور الدين وبذلا اليه الاموال الكثيرة حتى يدفعانه الى مناصرتهما [17] .

ولم يطل احتفاظ نور الدين بنصيبين فقد انتشر المرض بين عساكره وبعض امرائه فعادوا الى الموصل وتوفى اكثرهم وبقي نور الدين في نصيبين في قلة من العسكر. فلما بلغه مسير الملك العادل نحو البلاد الجزرية بادر بالجلاء عن نصيبين عائدا الى الموصل ، وتمكنت قوات قطب الدين

---

(١٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٢ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٧٩ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٨٧ — ٥٨٨ .

(١٦) نفس المصدر : الباهر ص ١٩٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٧٩ .

(١٧) نفس المصدر : الباهر ص ١٩٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٧٩ .

من دخول نصيبين واستر جاعها (١٨) .

ج ـ هزيمة الملك الكامل أمام صاحب الموصل في ماردين :

وصل الملك العادل الى الجزيرة فسار الى ماردين وحاصرها مدة احد عشر شهرا فاستولى على ربضها ، واستعصت عليه المدينة وقلعتها ولكنه ظل محاصرا للقلعة حتى اشتد الامر على أهل ماردين ، وعدمت الاقوات عندهم وتفشت الامراض بين عساكرهم وأوشكوا على التسليم (١٩) .

وحدث في المحرم من سنة ٥٩٥ هـ ان توفى صاحب مصر الملك العزيز عثمان وكان عسكره بصحبة عمه الملك العادل في ماردين ، ثم استقر في حكم البلاد المصرية الملك الافضل (٢٠) وكانت بينه وبين عمه العادل نفرة فأرسل الافضل يستدعي الجيش المصري الذي كان يشترك مع جيش العادل في حصار ماردين (٢١) .

ولم يكتف الافضل بسحب الجيش المصري بل أراد ان يؤلب على العادل

---

(١٨) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٧٩ ، ابن خلدون : العبر ج٥ صض ٥٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ١٢٢ .

(١٩) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٨٠ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٨٩ ، المقريزي : السلوك ج١ ص ١٤٣ طبعة مصر ١٩٣٤ .

(٢٠) خلف الملك العزيز ابنه الملك المنصور محمد وكان صغيرا فاستدعى الامراء عمه الملك الافضل ليكون اتابكا له (ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٤١ ، ابو الفدا : المختصر : ج٥ ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

(٢١) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٤ .

أتابك الموصل وأمراء الاطراف ، فارسل الى نور الدين صاحب الموصل والى غيره من ملوك الاطراف يطلب اليهم محالفته على عمه العادل . فأجابوه الى ذلك خوفا من ان يغلبهم الملك العادل على امرهم ويتمكن من بلادهم ، فاتفقوا على مناصرة الافضل خدمة لمصلحتهم [٢٢] .

وظن الافضل ان بامكانه بعد ذلك انتزاع دمشق من يد العادل ، فعزم على السير الى الشام لتحقيق هذا الهدف ، ولم يتردد في تنفيذ ما عزم عليه فخرج بجيشه قاصدا دمشق . فلما بلغ العادل ذلك اسرع بمغادرة ماردين نحو دمشق مع نفر من العسكر تاركا على حصارها ابنه الكامل [٢٣] .

وتوالت الاحداث سريعة فقد انتهز نور الدين فرصة انشغال العادل بمشكلة دمشق وخرج بعساكره من الموصل في شعبان من سنة ٥٩٥ هـ قاصدا ماردين فنزل في دنيسر [٢٤] حيث وافته عساكر كل من ابن أخيه قطب الدين محمد صاحب سنجار، وابن عمه معز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر [٢٥] .

---

(٢٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٤٨ ؛ سليمان الصايغ : تاريخ الموصل ج١ ص ١٩٤ .

(٢٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٤ . سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٤٦٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٩٥ ؛ ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٨٩ ٥.

(٢٤) دنيسر : بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان (ياقوت : ج٢ ص ٤٧٨) .

(٢٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٠٢ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٥ ص ١٢٥ ، ابن خلدون : العبر جزء ٥ صفحة ٥٨٩ =

ولما اكتمل حشد قوات نور الدين في دنيسر زحف الى ماردين في السادس من شوال سنة ٥٩٥ هـ وعسكر بجيشه بأدنى جبلها استعدادا لبدء القتال مع جيش العادل وفك الحصار المضروب حول المدينة (٢٦) .

وكانت الاحوال قد ساءت بماردين بسبب حصار جيش العادل لها الى درجة كبيرة وعانى الاهالي من قلة الاقوات وانقطاع الوارد عنها حتى أوشكوا على التسليم ، فارسلوا الى الملك الكامل يعرضون عليه تسليم القلعة الى أجل معين بشرط أن يسمح لهم بادخال المؤن والاقوات الى المدينة فأجابهم الكامل الى ذلك (٢٧) .

وتأهب الطرفان لتنفيذ شروط التسليم ، وبينما هم كذلك اذ وردت الانباء بوصول جيش نور الدين صاحب الموصل، فقويت نفوسهم وامتنعوا عن الصلح ، أما جيش الكامل بن الملك العادل فقد تقدم ونزل من الربض واشتبك مع قوات نور الدين في معركة انتهت بهزيمة الكامل وأسر عدد كبير من عسكره وانسحب الكامل بمن معه الى ميافارقين ومنها الى حران (٢٨) .

= وقد ذكر ابن الاثير ان قطب الدين صاحب سنجار كان قد واطأ العسكر العادلي على أن ينهزم بين ايديهم وعند بدء القتال ألجأت الضرورة قطب الدين ان يكون في موضع ليس فيه طريقا للعسكر العادلي ولا يرى الحرب فينهزم ففشلت خطته (الكامل ج١٢ ص ١٤٦ ، الباهر ص ١٩٥) .

(٢٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٠٢ .

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٤٨ ، ابن خلدون ج ٥ ص ٥٨٩ .

(٢٨) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٥ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٤٦٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص١٠٢ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج٩ ص ٤ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٨٩ .

وما ان تأكد لحسام الدين بن ايلغاري ، صاحب ماردين ، رحيل عسكر الكامل حتى نزل الى نور الدين وعبر له عن شكره بما قدمه من نجدة وما أداه من جهد لفك الحصار ، ثم عاد الى الحصن (٢٩) .

وكان بعض الامراء قد أشاروا على صاحب الموصل بأن يدخل ماردين ويستولي على قلعتها « فليس دون ملك القلعة مانع لضعف من بها » لكن نور الدين رفض ذلك وقال : « حاشا لله ان يتحدث الناس عني ان اناسا اعتضدوا بي واستنصروني فأغدر بهم » (٣٠) .

وعاد نور الدين الى دنيسر ثم رحل عنها الى رأس العين وفي نيته قصد حران والاستيلاء عليها . ولكنه فوجئ برسل الملك الظاهر غازي صاحب حلب يطلب منه ان يخطب له بالموصل واعمالها وان يضرب السكة باسمه فيها ففت ذلك في عضد نور الدين وتوقف عن مواصلة السير الى حران وعدل عن هدفه ، وكان قد أصيب بمرض ، فقرر العودة الى الموصل في آخر ذي الحجة سنة ٥٩٦ هـ وارسل الى كل من الملكين الظاهر والافضل يعتذر اليهما عن عودته بمرضه (٣١) .

د ــ التحالف الثلاثي بين الموصل وحلب وماردين ضد العادل وفشله :

أثار استئثار العادل بمصر خوف الملك الظاهر صاحب حلب ، فارسل الى نور الدين صاحب الموصل والى حسام الدين صاحب ماردين واتفق معهما على ان يكونوا جميعا يدا واحدة لمواجهة مطامع العادل ومنعه عن

---

(٢٩) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٥٠ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٨٩ .
(٣٠) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٥ .
(٣١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٥٠ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٩٠ .

قصد أحدهم [٣٢] .

فلما توجه الملك الظاهر مع أخيه الافضل لحصار دمشق أرسلا الى نور الدين يحثانه على مهاجمة البلاد الجزرية التي كانت تابعة للملك العادل وهي حران والرها والرقة وسنجار، فخرج نور الدين من الموصل في شعبان سنة ٥٩٧ هـ وانضم اليه كل من قطب الدين محمد صاحب سنجار ونصيبين وحسام الدين ايلغازي صاحب ماردين فنزلوا في رأس العين قاصدين حران وكان الوقت صيفا فكثرت الامراض بين عساكرهم [٣٣] .

وكان القائم بحران وقتئذ هو الملك الفائز ابراهيم بن العادل ، فلما علم بوصول نور الدين وحليفيه الى رأس العين أدرك صعوبة مواجهة جيوشهم مجتمعة ، فارسل وفدا من كبار الامراء يطلبون الصلح مع صاحب الموصل فأجابهم الى ذلك بعد ان بلغه الاختلاف الذي وقع بين الملك الافضل والملك الظاهر واحتمال عقد الصلح مع الملك العادل . فأسرع باجابة الفائز على عقد الصلح لا سيما وان المرض كان قد تفشى بين جنوده المرابطين في رأس العين [٣٤] .

واستقرت الامور على هذا النحو بين الطرفين وصالحهم نور الدين على ما بأيديهم . وحلفوا له ثم ارسلوا الى العادل وحلفوه على هذه

---

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٦٨ .
(٣٣) نفس المصدر : ج١٢ ص ١٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٢٧ ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٠ .
(٣٤) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٢٨ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٩٠ .
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط ج٨ ص ٨٣ .

القواعد ، وعاد نور الدين الى الموصل في ذي القعدة من سنة ٥٩٧هـ[٣٥] .

هـ ـ مشاركة عسكر الموصل في حصار ماردين مع العادل :

في المحرم من سنة ٥٩٩ هـ أرسل الملك العادل جيشاً مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين ، وانضمت الى عساكر الاشرف قوات من الموصل وسنجار [٣٦] ، فسار الاشرف ونزل بحرزم قرب ماردين وضيق الحصار حول المدينة ، فنزل جماعة من عسكر قلعة البارعية التابعة لناصر الدين ارسلان الارتقي صاحب ماردين وحاولوا قطع الميرة عن عسكر الاشرف لكن المحاولة فشلت وانهزم العسكر البارعي [٣٧] .

وأقام الاشرف على حصار ماردين دون أن يصل الى نتيجة حاسمة فتدخل الظاهر صاحب حلب في أمر الصلح بين صاحب ماردين وعمه الملك العادل ، وتم الصلح على أن يدفع صاحب ماردين مبلغ ١٥٠ الف دينار سنويا الى الملك العادل ويضرب السكة باسمه ويخطب له ببلاده وأن يتعهد بانفاذ العسكر لخدمة العادل متى ما طلب منه ذلك ، ورحل الاشرف موسى عن ماردين الى حران وعادت عساكر الموصل وسنجار الى بلادهما[٣٨] .

---

(٣٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٦ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٢٧ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٩٠ . ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٨ ص ٨٣ .

(٣٦) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٧٩ . ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص ٣٤ .

(٣٧) نفس المصدر : الكامل ج١٢ ص ١٨٠ .

(٣٨) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٨٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص ٣٤ .
المقريزي : السلوك ج١ ص ١٦١ طبعة مصر ١٩٣٤ .

(٢)

تجدد الصراع بين نور الدين أرسلان شاه والملك العادل حتى سنة ٦٠٧ هـ

أ ـ هزيمة صاحب الموصل امام الملك الاشرف موسى :

أخذت اطماع العادل تدفعه الى اعادة تشييد المملكة العظيمة التي امتد اليها ملك صلاح الدين ، ولكي يحقق هذا الهدف كان عليه انيعزل الموصل عن الامارات المجاورة لها والوقوف أمام أي تحالف أو اتفاق ينشأ بينهما .

وقد أثار الاتفاق الذي تم بين نور الدين صاحب الموصل وبين ابن عمه قطب الدين محمد صاحب سنجار في الفترة الواقعة ما بين سنة ٥٩٥ ـ ٦٠٠ هـ غضب العادل فسعى الى فصم عرى هذا الاتفاق بكافة السبل وبدأ خطته باستمالة قطب الدين اليه . ونجح في ذلك اذ استطاع في سنة ٦٠٠ هـ ان يقنعه بان تكون الخطبة له في بلاده [1] .

وقد أثار خضوع قطب الدين للعادل مخاوف نور الدين واعتبر ذلك خطرا كبيرا على بلاده ، فقرر مهاجمة البلاد التابعة لقطب الدين ، وخرج من الموصل على رأس جيش كبير في شعبان من سنة ٦٠٠ هـ فاستولى على

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٩٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٥٦ ، ابو الفدا : المختصر ج٥ ص ١٣٦ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٩٠ .

نصيبين ، ولم يتمكن من التغلب على قلعتها فاقام يحاصرها عدة أيام [٢] وأخذ نور الدين يضيق الحصار على قلعتها حتى اوشكت على الاستسلام. وبينما كان يتأهب لدخول نصيبين اذ جاءته الانباء بقيام مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل بالهجوم على أعمال الموصل ونهب نينوى فاضطر نور الدين الى رفع الحصار والعودة الى الموصل وعزم على مهاجمة أربل انتقاما من صاحبها ، فلما وصل الى مدينة بلد علم ان مظفر الدين قد عاد الى أربل وأن ما بلغه من أخبار مبالغ فيها [٣] .

وسار نور الدين الى تليعفر التابعة لقطب الدين ، فاستولى عليها وأقام بها مدة ١٧ يوما [٤] فاضطر قطب الدين الى طلب المساعدة من الملك الاشرف موسى بحران وكان أبوه قد أقامه على شمال الجزيرة مع أخيه المظفر غازي ، فاسرع الى نجدته ، وسار الى نصيبين وهناك انضم اليه مظفر الدين كوكبوري وصاحب جزيرة ابن عمر، وصاحب جزيرة حصن كيفا وآمد ، وصاحب دارا ، وجاءه أخوه الملك الاوحد نجم الدين أيوب بن العادل صاحب ميافارقين ، ووصلته نجدة من ابن عمه الملك الظاهر غازي صاحب حلب بقيادة مجير الدين داود بن صلاح الدين وتحرك الجميع نحو البقعاء [٥] ونزلوا قريبا من بوشري . واستعدوا للقاء نور الدين

---

(٢) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٩٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٥٣ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٩٠ . ابن الفرات (مخطوط رقم ٢١٩٧ دار الكتب العربية) جزء ٩ صفحة ٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٩٣ .

ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٥٧ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٩ ص ٣ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٩٣ .

(٥) البقعاء : كورة كبيرة من ارض الموصل تقع بين الموصل ونصيبين ياقوت : ج ٤ ص ٤٧٢ .

صاحب الموصل [٦] .

وبلغت انباء وصول هذه الامدادات نور الدين ، فلم يعبأ لذلك .بل تقدم بقواته من تليعفر قاصدا كفر زمار ، ولجأ الى المطاولة على آمـل ان تتفرق عساكر الملك الاشرف . وكان نور الدين قد أرسل مملوكه جرديك الى معسكر الاشرف ليستطلع له الاخبار ويقف على عدة عساكره ، وبدلا من ان يطلعه جرديك على حقيقة أحوال معسكر الاشرف موسى كذب عليه الخبر ، وقلل من شأن عسكر الاشرف ، واطمعه فيهم وشجعه على المسير نحوهم وقال له : « ان أذنت لي لقيتهم بمفردي » [٧] وشجعت هـذه الاخبار نور الدين فسار نحو الاشرف ونزل في بوشرى ونشب القتال بين الفريقين فدارت الدائرة على نور الدين وهزمته جيوش الاشرف شر هزيمة فتراجع الى الموصل ودخلها بأربعة أنفس [٨] .

وتبعه الاشرف بعساكره ونزل في كفر زمار وتوزع الجند في البلاد فنهبوها واتلفوا ما لا يصلح لهم وخربوا مدينة بلد [٩] .

ثم ترددت الرسل بين نور الدين والأشرف وتم الاتفاق على عقـد الصلح بين الطرفين بشرط ان يعيد نور الدين مدينة تليعفر الى قطب الدين محمد ، فوافق نور الدين وتم الصلح في سنة ٦٠١ هـ [١٠] وتزوج الاشرف

---

(٦) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٩٣ ، ابن الفرات : تاريخ الـدول والملوك ج٩ ص ٣ Cahen, p. 596

(٧) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٩٣ .

(٨) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٩٣ . ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٢٢ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٩١ .

(٩) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٩٣ .

(١٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٩٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ص ١٥٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٩ ص ٤ .

اخت نور الدين صاحب الموصل [١١] .

ب ـ اشتراك الموصل في مقاتلة الصليبيين مع الملك العادل :

كان من نتائج الصلح الذي عقد بين صاحب الموصل نور الدين ارسلان شاه وبين الملك الاشرف في ٦٠١ هـ ان شارك نور الدين في الجهاد ضد الصليبيين في الشام . ففي سنة ٦٠٤ هـ [١٢] خرج العادل من مصر على رأس جيش كبير قاصدا عكا فحاصرها واضطر صاحبها الى عقد الصلح مع العادل ورد الاسرى المسلمين اليه ، ثم سار العادل الى حمص فنزل على بحيرة قدس في محاولة لارهاب الاسبتارية وابعاد خطرهم عن حمص [١٣] .

ثم ارسل العادل يستدعي اليه العساكر من الاطراف فحضر لديه الملك المنصور صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص والملك الامجدصاحب بعلبك واحتشدت لديه الجيوش من الموصل وسنجار والجزيرة وآمد [١٤] . وتقدم العادل الى حصن الاكراد فنازله وأسر خمسماية رجل واستولى على بعض الغنائم لكنه فشل في الاستيلاء على الحصن لمناعته واكتفى العادل بالاستيلاء على برج اعناز الى الجنوب الشرقي من الحصن وأسر حاميته وغنم اموالا وسلاحا [١٥] .

---

(١١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٥١٨ .

(١٢) ذكر ابن واصل والمقريزي ان هذه الموقعة كانت في سنة ٦٠٣ هـ في حين يتفق كل من ابن الاثير وابن كثير على ان هذه الموقعة في سنة ٦٠٤ .

(١٣) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٧٣ ، المقريزي : السلوك ج١ ص ١٦١ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١ ص ١٩٤ .

(١٤) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٢٧٣ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ١٦٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(١٥) المقريزي : السلوك ج١ ص ١٦٦ ، عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٩٤٩ .

ثم زحف الملك العادل نحو طرابلس فحاصرها ونصب عليها المنجانيق وضيق على اهلها وانتشرت جيوشه تعبث وتخرب في قرى وبساتين طرابلس مما اضطر صاحبها بوهيمند الرابع الى طلب الصلح على أن يطلق ٣٠٠ من أسرى المسلمين وارسل أموالا وهدايا الى الملك العادل فتم الصلح وعاد الملك العادل الى دمشق وتفرقت العساكر الاسلامية الى بلادها في آخر ذي الحجة من سنة ٦٠٣ هـ (١٦) .

ج ـ حصار العادل لسنجار سنة ٦٠٦ هـ :

كان للهزيمة النكراء التي مني بها نور الدين على يد الاشرف موسى وحلفائه أعظم الاثر في اضعافه ، فلم يسع من جديد في استئناف القتال بل آثر ان يواصل سياسة السلم منذ ان عقد الصلح مع الاشرف سنة ٦٠١ هـ .

وفي سنة ٦٠٥ هـ حدث تقارب بين العادل وبين نور الدين صاحب الموصل ، فقد زوج العادل أحد أبنائه من ابنة نور الدين (١٧) .

وظن نور الدين انه في ظل هذا التقارب يمكنه ان يستعيد قوته على حساب صاحبي سنجار وجزيرة ابن عمر ، فلم يكن قد نسي بعد موقفهما العدائي منه واتفق ان دعاه بعض امرائه في الموصل الى الاتفاق مع الملك العادل على مواجهة قطب الدين صاحب سنجار ، ومحمود سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر واقتسام بلديهما على ان تكون لنور الدين الجزيرة

---

(١٦) نفس المصدر : ج١ ص ١٦٦ ، عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ٩٤٩ ـ ٩٥٠ .

(١٧) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٨٤ ، ابن واصل مفرج الكروب ج٣ ص ١٩١ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٣ .

والعادل سنجار [١٨] فوافق نور الدين على هذا الاقتراح رغبة في الانتقام من قطب الدين ومحمود سنجر شاه، لما كان بينه وبينهما من عداء مستحكم وبسبب انحيازهما الى اعدائه .

فارسل نور الدين الى العادل يعرض عليه الاقتراح ، فرحب العادل بهذه الدعوة واستبشر بها فقد أدرك ان حصوله على سنجار سيمهد الطريق أمامه الى الموصل فاسرع بالتوجه الى الجزيرة وقصد بلاد قطب الدين فاستولى على الخابور ونصيبين ثم اتجه الى هدفه الرئيسي سنجار فضرب حولها الحصار في سنة ٦٠٦ هـ وشدد عليها [١٩] فأدرك صاحب الموصل فداحة الخطأ الذي وقع فيه ، وندم على استدعائه للعادل ودب الخوف في قلبه وخشي ان تكون الموصل الهدف الثاني العادل بعد ان ينجح في الاستيلاء على سنجار ، فجمع اصحابه واستشارهم فيما يفعل اما من اشار عليه باستدعاء العادل فقد سكتوا ، وما الذين لم يعلموا من اصحابه فقد انكروا ذلك عليه وقالوا : « باي رأي تجيء الى عدو لك هو أقوى منك ، واكثر جمعا ، وهو بعيدا منك ، متى تحرك لقصدك تعلم به ، فلا يصل الا وقد فرغت من جميع ما تريده ، تسعى حتى يصير قريبا منك ويزداد قوة الى قوته » [٢٠] .

وأراد نور الدين ان يصلح خطأه ، فعزم على نقض اتفاقه مع العادل

---

(١٨) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٨٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٩١ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٣ .

(١٩) ابن الاثير : الكامل ١٢ ص ٢٨٥ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٥٤١ . ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٩، الذهبي: العبر ج٥ ص ١٥ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ١٥ .

(٢٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٨٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٩ ص ٣٥ .

والعمل على انقاذ سنجار من الوقوع في يده ، فجهز جيشا مع ولده عز الدين مسعود لقتال العادل وفك الحصار عن سنجار ، وفي هذه الاثناء وصل اليهوزير مظفر الدين كوكبوري يعرض عليهالاتفاق معه ضد العادل ومساعدة قطب الدين صاحب سنجار (٢١) .

وادهش نور الدين التبدل الذي طرأعلى موقف مظفر الدين تجاه الملك العادل اذ لم يكن يتوقع ذلك من جانب صاحب اربل حليف العادل وصهره (٢٢) فاظهر نور الدين السرور والارتياح لانضمام مظفر الدين الى جانبه وعبر للوزير عن ترحيبه وموافقته على اقتراح مظفر الدين فعاد الوزير الى أربل (٢٣) .

وكان سبب تغير موقف مظفر الدين تجاه العادل أن قطب الدين صاحب سنجار كان قد أرسل ولده عماد الدين الى مظفر الدين يستجير به ويسأله الشفاعة لدى الملك العادل فأجابه مظفر الدين الى ذلك واعلن استعداده للتوسط لعلمه ان العادل لا يرد له طلبا نظرا لما كان بينهما من علاقات الود والتحالف ، ولكن النتيجة جاءت على غير ما توقع فقد رفض العادل شفاعته ظنا منه انه بعد تحالفه مع نور الدين صاحب الموصل لا يبالي بمظفر الدين ، الامر الذي أثار غضب وخوف مظفر الدين من ان يكون العادل قد طمع في بلاده فاسرع بالاتصال بصاحب الموصل واتفق معه

---

(٢١) نفس المصدر : ص ٢٨٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٩٤ ، ابن الفرات : ج٩ ص ٣٦ .

(٢٢) كان مظفر الدين كوكبوري قد تزوج من اخت الملك العادل (ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٩ ص ٣٦) .

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٨٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٩٤ .

على مناهضة الملك العادل ورده عن سنجار [٢٤] .

وسار مظفر الدين من اربل وما ان اقترب من الموصل حتى خرج نور الدين لاستقباله ودعاه للاقامة في قلعة الموصل تأكيدا لثقته به وازالة لاسباب الجفاء الذي كان قائما بينهما فدخل مظفر الدين قلعة الموصل بينما كان نور الدين يبيت في المعسكر بظاهرها [٢٥] .

اتفق نور لدين ومظفر الدين على انتهاج الطريق السلمي في معالجة الوضع الراهن والسعي لاقناع العادل بالصلح مع صاحب سنجار ، فاجريا سلسلة من الاتصالات مع ملوك وامراء المدن المجاورة في محاولة لكسب تأييدهم ضد الملك العادل .

فأجابهم الملك الظاهر غازي صاحب حلب واتفق معهم لما كان بينه وبين عمه العادل من عداء مستحكم آنذاك ، وانضم اليهم أيضا كيخسرو ابن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم وأخوه مغيث الدين طغرل شاه صاحب أرزن الروم [٢٦] .

واتفق الجميع على قصد العادل اذا امتنع عن الرحيل ع نسنجار ، ثم ارسل نور الدين ومظفر الدين رسولا من قبلهما الى الخليفة في بغداد

---

(٢٤) ابن الاثير الكامل ج١٢ ص ٢٨٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٩٤ .

(٢٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٧ .

(٢٦) ابن الاثير : الكامل ج٢١ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، ابو شامة : الروضتين ص ٧٥ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، المقريزي السلوك ج١ ص ١٧٠ . Cahen, p. 596

طالبين تدخله في الصلح حقنا لدماء المسلمين فوافق الخليفة وبعث استاذ الدار هبة الله بن المبارك بن الضحاك والامير آق باش [٢٧] وهما من المماليك المقربين للخليفة ؛ فوصلا الى الموصل ، وسارا منها الى معسكر العادل وهو يحاصر سنجار فأبلغاه رغبة الخليفة في عقد الصلح والكف عن بلاد قطب الدين ، فاجاب العادل الى الصلح خاصة بعد ما رآى من فتور أصحابه عن القتال وتواطؤ أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة مع قطب الدين وسماحه بدخول الاقوات الى سنجار [٢٨] .

وتقرر الصلح على أن تبقى البلاد التي فتحها العادل في يده وهي الخابور ونصيبين ويترك سنجار لصاحبها قطب الدين محمد، ورحل العادل الى حران وعاد مظفر الدين الى اربل في سنة ٦٠٦ [٢٩] .

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٨٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٥٤١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٩٧ .

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٢٨٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٥١ . ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٩٧ .

(٢٩) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٢٨٧ ، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ج٨ ص ٥٤١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٩٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جزء ١٣ صفحة ٥٢ .

(٣)

تدخل الاشرف موسى في الصراع الداخلي بالموصل

أ ـ استبداد بدر الدين لؤلؤ بحكم الموصل :

باستنقاذ سنجار اطمأن نور الدين على دار ملكه ، ولم يطل به العمر فتوفي في سنة ٦٠٧ هـ ، بعد ان حكم الموصل مدة ١٨ سنة في الفترة والواقعة ما بين (٥٨٩ ـ ٦٠٧ هـ) (١) وبوفاته تلاشى كل خطر تشكله أتابكية الموصل على أملاك العادل (٢) .

وكان قد عهد بالحكم قبل وفاته لابنه القاهر ، ولم يكن هذا قد تجاوز من العمر عند وفاة أبيه عشر سنوات ، أما ولده الاصغر عماد الدين زنكي فقد خصه بقلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وأمر بأن يتولى تدبير أمر دولة القاهر مملوكه الامير بدر الدين لؤلؤ (٣) فتسلم بدر الدين لؤلؤ مقاليد الحكم في الموصل ؛ وارسل العماد بن يونس رسولا من قبله الى

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٩١ ـ ابو شامة : ذيل الروضتين ص ٧٠ .

(٢) Cahen, p. 596

(٣) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٩٣ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٢٠٦ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٩٤ . وبدر الدين لؤلؤ كان مملوكا لنور الدين ارسلان شاه وقد ارتفعت منزلته بعد وفاة مجاهد الدين قايماز في ٥٩٥ هـ فاصبح بدر الدين لؤلؤ الحاكم والمدبر لشئون دولة الاتابكة في الموصل خصوصا بعد وفاة نور الدين ارسلان في سنة ٦٠٧ وتولى الحكم في الموصل ابنائه القصر .

دار الخلافة ببغداد طالبا الخلع والتقليد لصاحب الموصل القاهر بن نور الدين ارسلان [٤] .

ودام حكم القاهر عز الدين مسعود الثاني ثمان سنوات حتى وفاته في سنة ٦١٥ هـ [٥] ، وهي نفس السنة التي توفي فيها الملك العادل ، ولم تقع خلال فترة حكمه هذه من الحوادث ما يستحق الذكر بالنسبة لعلاقاته مع الايوبيين ، فقد بقيت الموصل محافظة على العهد الذي اتفق عليه في سنة ٦٠٦ هـ .

واوصى القاهر بالحكم من بعده لولده نور الدين ارسلان شاه الثاني وكان صبيا ، واوكل الى بدر الدين لؤلؤ القيام بامور الدولة جميعها . فارسل الاخير الى الخليفة في بغداد يطلب التقليد والتشريف ، وارسل الى ملوك وامراء المدن المجاورة يطلب منهم تجديد العهد لنور الدين كما كان الامر في عهد أبيه الملك القاهر [٦] .

وكان عماد الدين زنكي بن نور الدين ارسلان شاه يطمع بأن يكون له الحكم في الموصل بعد وفاة أخيه القاهر عز الدين مسعود باعتباره كبير البيت الاتابكي في الموصل وكان يرى انه أحق بالملك من ابن أخيه القاصر ، الا ان بدر الدين لؤلؤ كان يدرك انه ليس من مصلحته ان يتولى الحكم رجل حازم يتولى تدبير شئون الدولة بنفسه ، فوقف في وجه

---

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٥٤٦ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٣ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ص ٩٦ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣١ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣١ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٢٦٢ ، المقريزي : السلوك ج١ ص ٢٠١ .

عماد الدين زنكي وعمل على ابعاده عن الموصل لينفرد بالسلطة ويتحكم في شئون البلاد [٧] .

والحقيقة انه لم يعد هناك أي سلطة للبيت الاتابكي في الموصل منذ وفاة نور الدين ارسلان شاه الاول في سنة ٦٠٧ هـ فقد انتهى بوفاته ملك البيت الاتابكي في الموصل [٨] ولم يعد لخلفاء نور الدين في الحكم سوى الاسم الذي اتخذ منه بدر الدين لؤلؤ ستارا يختفي وراءه الى أن يحين الوقت المناسب ويعلن نفسه أميرا على الموصل واعمالها .

ب ـ اتفاق بدر الدين لؤلؤ مع الاشرف موسى :

كان بدر الدين لؤلؤ يخشى جانب عماد الدين زنكي الثالث وحليفه مظفر الدين كوكبوري بقصد ابعاده عن السلطة في الموصل ، فاستعان بالايوبيين ودخل في طاعتهم واعلن تبعيته للملك الاشرف ليحصل على مساندته في رد اطماع عماد الدين زنكي الثالث [٩] .

واستغل عماد الدين زنكي مرض نور الدين ارسلان الثاني بن القاهر وعدم ظهوره للناس في الموصل فارسل الى أهل قلعة العمادية يشيع اليهم بموته ويدعوهم بتسليم البلد اليه ويقول :

« ان ابن أخي توفى ويريد بدر الدين ان يملك البلاد ، وانا أحق

---

(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٦١ ، ابو شامة : الروضتين ص ١١٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٦ ص ٢٢٥ .

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٢٦١ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٦ ص ١٤ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٣٤ .

(٩) ابو الفدا : المختصر ج٤ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

بملك آبائي وأجدادي » [١٠] واقتنع الجند في قلعة العمادية بقوله وسلموا القلعة اليه في رمضان سنة ٦١٥ هـ وقبضوا على نائب بدر الدين هناك [١١] .

فلما بلغ ذلك بدر الدين لؤلؤ جرد جيشا واسرع متوجها الى العمادية لاسترجاعها واجلاء عماد الدين زنكي عنها ، فضرب حولها الحصار ، ولم يتمكن من التقدم الى القلعة والشروع في القتال لشدة البرد وكثرة الثلوج [١٢] .

وكان مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل قد انحاز الى جانب عماد الدين زنكي وقدم بجيشه لفك الحصار عن العمادية ، فلما علم بدر الدين بذلك أرسل الى مظفر الدين يذكره بالعهود والمواثيق التي كانت بينه وبين صاحب الموصل سنة ٦٠٦ هـ ، وطلب اليه التزام موقف حيادي في الصراع القائم بينه وبين عماد الدين زنكي فلم يجبه مظفر الدين الى ذلك وأصر على الوقوف بجانب عماد الدين ، لا سيما وان عماد الدين كان قد تزوج من ابنته [١٣] واصبح والحال كذلك ملزما بتأييده ضد بدر الدين لؤلؤ الذي استأثر بحكم الموصل وانفرد بالسلطة فيها .

---

(١٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٥ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٩٦ .
(١١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٥ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٦ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٢ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٦ ص ١٦ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٩٦ .
(١٢) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٦ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٧ .
(١٣) كان مظفر الدين كوكبوري قد زوج ابنتين له بولدين لنور الدين ارسلان شاه وهما عزالدين مسعود (القاهر) وعماد الدين زنكي الثالث ، وذلك اثناء وجوده في الموصل سنة ٦٠٦ هـ (الكامل ج١٢ ص ٢٨٧ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٦ ص ١٦ ـ ١٧) .

وخرج مظفر الدين بجيشه من اربل ونزل بالقرب من قلعة العمادية اذ لم يستطع الوصول الى القلعة بسبب حصار عسكر الموصل المضروب حول المدينة فانتظر الى ان ينشب القتال بينهم وبين عماد الدين زنكي فيطبق عليهم من الخلف [١٤] .

ولما طال الحصار على القلعة تقدم أحد امراء عسكر الموصل من لا خبرة لهم بفن القتال فسار ببعض الجند وتقدم نحو القلعة ليلا فاضطر باقي الجيش أن يتبعه خوفا عليه وعلى من معه . فانتشر جيش بدر الدين في الشعاب على غير انتظام او تعبئة فانتهز ذلك عماد الدين زنكي ونزل من القلعة واطبق عليهم بعساكره فهزمهم هزيمة منكرة ارتد على أثرها بدر الدين الى الموصل وكان ذلك في سنة ٦١٥ هـ [١٥] .

وكان من نتائج هزيمة بدر الدين استيلاء عماد الدين زنكي على باقي قلاع الهكارية والزوزان التي كانت تابعة للموصل وقبض على نواب بدر الدين فيها وعين نوابا من قبله في تلك القلاع [١٦]

ولما أحس بدر الدين بضعفه أمام تحالف عماد الدين ومظفر الدين كوكبوري الذي أصبح يشكل خطرا ماثلا على الموصل نفسها لجأ الى طلب العون والمساعدة من الملك الاشرف موسى بن الملك العادل الايوبي وعرض عليه الدخول في طاعته والانتماء اليه . فاجابه الاشرف بالقبول والارتياح

---

(١٤) عبد القادر طليمات : مظفر الدين كوكبوري ص ١١٣ .
(١٥) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٧ . ابن خلدون : ج٥ ص ١٩٧ .
(١٦) نفس المصدر : الكامل ج١٢ ص ٣٣٧ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٢ ٢. ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٦ ص ١٦ . ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٩ ص ٤٤ .

اذ لم يكن من مصلحته اتفاق امراء الاطراف مع صاحب الموصل مما يؤدي الى ظهور قوة كبيرة تهدد املاكه بالجزيرة وخلاط ثم ان دخول الموصل في طاعته يضيف الى قوته قوة جديدة [١٧] .

وأرسل الاشرف الى مظفر الدين كوكبوري ينكر عليه نقض العهود والمواثيق وتدخله لمساعدة عماد الدين زنكي ضد صاحب الموصل وأمره بالعمل على اعادة ما انتزع من الموصل ، ثم هدده بقصد بلاده اذا هو أصر على موقفه وواصل مساندته وتعضيده لعماد الدين زنكي [١٨] . الا ان مظفر الدين كوكبوري لم يتراجع عن موقفه وواصل مساعدته لعماد الدين وانضم اليه كل من ناصر الدين محمود الارتقي صاحب حصن كيفا وآمد الذي كان قد خرج عن طاعة الملك الاشرف وهاجم بلاده ونهبها . وصاحب ماردين [١٩] .

ولما رآى الاشرف ازدياد قوة مظفر الدين بمن انضم اليه من أمراء الاطراف الاراتقة واصرار مظفر الدين على مناصرة عماد الدين زنكي شعر الاشرف بضعف موقف بدر الدين لؤلؤ فأمده بفرقة من جيشه للسرابطة في نصيبين حتى تكون على مقربة من الموصل لنجدة صاحبها عند الضرورة [٢٠] .

---

(١٧) ضرب اسم الملك الاشرف على الدينار الاتابكي في عهد نور الدين ارسلان شاه الثاني سنة ٦١٥ هـ (باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ٥٣ ــ ٥٤) .

(١٨) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٨ . ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٧ . طليمات : مظفر الدين كوكبوري ص ١١٥ ــ ١١٦ .

(١٩) ابن الاثير : الكامل ج٢ ص ٣٧٨ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٧ . طليمات : مظفر الدين كوكبوري ص ١١٦ .

(٢٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٧٨ ، ابن خلدون ج٥ ص ٥٩٨ .

ولم تكن الظروف السياسية وقتئذ تساعد الملك الاشرف على الحضور بنفسه ومساعدة حليفه بدر الدين لؤلؤ لانشغاله بالحروب مع الصليبيين في بلاد الشام والاشتراك مع اخوته في دفع الصليبيين عن دمياط . ولم يكتف عماد الدين زنكي في الاستيلاء على العمادية وقلاع الهكارية والزوزان بل شجعه هذا الانتصار وانشغال الاشرف بدفع الصليبيين على مهاجمة بلاد الموصل والاغارة على اعمالها ، فنزل من العمادية بعد هزيمة جيش بدر الدين لؤلؤ وسار الى قلعة العقر القريبة من الموصل والتابعة له ونزل بجيشه هناك ليتمكن من السيطرة على بلاد الموصل واعمالها وتتاح له الفرصة لشن الهجمات عليها وقد شجعه ذلك تزايد قوته بانضمام طائفة من الجند امده بها مظفر الدين كوكبوري ليقوي بها مركزه امام صاحب الموصل . ولما بلغ بدر الدين أخبار هذه الهجمات التي يشنها عماد الدين زنكي على اطراف الموصل أرسل طائفة من العسكر للاقامة على حدودها ومنع عماد الدين زنكي من التعرض لها (٢١) .

اتخذت هذه الفرقة مركزها على بعد أربعة فراسخ من الموصل واتفق قادة هذه الفرقة فيما بينهم ودون استئذان بدر الدين لؤلؤ على مباغتة عماد الدين زنكي بالهجوم فقصدوا قلعة العقر ليلا فاصبحوا في اليوم التالي امامها واشتبكوا مع جيش عماد الدين في معركة ضارية انتهت بهزيمة عماد الدين هزيمة منكرة وذلك في المحرم من سنة ٦١٦ هـ عاد على أثرها الى اربل محتميا بمظفر الدين كوكبوري . أما جيش الموصل فقد عاد الى معسكره ورابط على حدود المدينة (٢٢) .

---

(٢١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٨ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٨ .

(٢٢) نفس المصدر : الكامل ج١٢ ص ٣٣٨ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٢ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٨ ، طليمات : كوكبوري ص ١١٦ – ١١٧ .

ووصلت في هذه الفترة رسل الخليفة الناصر لدين الله ورسل الملك الاشرف وقرروا قواعد الصلح بين عماد الدين زنكي وحليفه مظفر الدين كوكبوري وبين بدر الدين لؤلؤ فتم الصلح بينهما وحلفوا على ذلك بحضور رسل الخليفة والملك الاشرف في سنة ٦١٦ هـ (٢٣) .

ج ـ تحالف زنكي وكوكبوري ضد بدر الدين لؤلؤ :

لم يلبث نور الدين ارسلان شاه الثاني ان توفي بعد صلح سنة ٦١٦ هـ بقليل فنصب بدر الدين لؤلؤ على الموصل ناصر الدين محمود اخا نور الدين ارسلان . وكان له من العمر حينئذ نحو ثلاث سنوات (٢٤) فحلف له الجند وطاف به في الموصل لكسب تأييد أهلها وتهدئة نفوسهم (٢٥) فقد كان بدر الدين يشعر بأن أهل الموصل بدأوا يشكون في نواياه تجاه البيت الاتابكي . وانهم غير مطمئنين الى ما يفعله باولاد القاهر عز الدين مسعود . فاراد بدر الدين بهذا ان يخفف من نقمة اهل الموصل فأخرج ناصر الدين في موكب حافل وأركبه فرسا وسار في ركابه وأظهر للناس اخلاصه في ابقاء الملك بيد اولاد القاهر « فطابت نفوس الناس لان نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلما ركبوا هذا علموا ان لهم سلطانا من البيت الاتابكي فاستقروا واطمأنوا وسكن كثير من

---

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٨ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٢ . ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٨ .

(٢٤) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٣٩ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٢ . ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٣٦ . ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٨ . المقريزي : السلوك ج١ ص ٢٠٤ .

(٢٥) نفس المصدر : الكامل ج ١٢ ص ٣٣٩ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٢ . ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٨ .

الشعب بسببه » [٢٦] .

وبعد ان استقرت الامور لبدر الدين لؤلؤ تفرغ لمواجهة عماد الدين زنكي وحليفه مظفر الدين كوكبوري اللذين تجددت اطماعهما في الاستيلاء على الموصل بعد وفاة نور الدين ارسلان شاه لا سيما وان ناصر الدين الذي نصبه بدر الدين كان طفلا لا يصلح للملك [٢٧] .

كانت ظروف بدر الدين لؤلؤ في هذه الفترة لا تمكنه من الوقوف بمفرده أمام زنكي وحليفه ذلك ان معظم جيش الموصل ارسله بدر الدين مع ولده الى حلب تلبية لطلب الملك الاشرف بعد مسير قواته الى دمياط نجدة للملك الصالح صاحب مصر [٢٨] . فلما أحس بدر الدين لؤلؤ بتحرك عماد الدين زنكي ومظفر الدين كوكبوري نحو بلاده واستعدادهما للقتال ، اسرع باستدعاء جيش الملك الاشرف المرابط في نصيبين لنجدته فدخلوا الموصل في رجب من سنة ٦١٦ هـ [٢٩] فلما رآهم بدر الدين أدرك قلة عددهم بالنسبة لجيش الموصل الذي أرسل الى الملك الاشرف في الشام فشعر بتفوق خصومه عليه لقلة ما لديه من العساكر .

وتقدم عزالدين أيبك قائد جند الاشرف موسى الى بدر الدين بطلب الاذن له بعبور دجلة ومهاجمة أربل . الا ان بدر الدين منعه من ذلك واشار عليه بالبقاء في الموصل ليستريح جنده من مشقة الطريق . فأقام أيبك في الموصل بضعة أيام ألح عليه بعدها في عبور دجلة . فوافقه بدر الدين على

---

(٢٦) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٩ .
(٢٧) نفس المصدر : الكامل ج١٢ ص ٣٣٩ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٢ . ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٩ .
(٢٨) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٩ .
(٢٩) نفس المصدر : الكامل ج ١٢ ص ٣٣٩ .

ذلك كارها خوفا من التسبب في قيام خلاف بين العسكر فعبر الجميع ونزلوا على بعد فرسخ من الموصل (٣٠) . ولما علم مظفر الدين بسيرهم خرج بجيشه مع عماد الدين زنكي وعبر الزاب لملاقاتهم قبل ان يفاجئوه . ورتب مظفر الدين عسكره استعدادا للمعركة فجعل عماد الدين زنكي في الميسرة واحد كبار قواده في الميمنة بينما قاد هو القلب ، اما بدر الدين فقد تهيأ هو أيضا للقتال وعبأ جيشه فجعل معظمه مع عز الدين أيبك في القلب وأسند الميسرة لاحد كبار الامراء وبقي بدر الدين بمن معه في الميمنة .

وعند منتصف الليل أصر عزالدين أيبك على المسير الى معسكر مظفر الدين كوكبوري بالرغم من معارضة بدر الدين له (٣١) .

وكان بدر الدين يدرك ان في مسيرهم الى مظفر الدين مغامرة لا تخلو من المخاطر لوعورة المنطقة وصعوبة مسالكها ، ونلاحظ هنا ان بدر الدين لم يكن يستطيع ان يملي اوامره على أيبك وجنوده ، فقد كان أيبك يتصرف حسب مشيئته دون ان يعير اوامر بدر الدين اي اهتمام في الوقت الذي كان عليه ان يطيع صاحب الموصل ويتصرف حسب ما يراه مناسبا ، فالغرض من قدومهم ان يكونوا في خدمة بدر الدين ومساعدته وقت الحاجة .

وقد أدى سوء تصرف قائد جيش الاشرف وجهله الى هزيمة قاسية منى بها بدر الدين لؤلؤ على يد خصومه ، فعندما تقدم أيبك نحو معسكر مظفر الدين تبعه بدر الدين بجيش الموصل ، واشتبك الفريقان على بعد ثلاث

---

(٣٠) نفس المصدر : الكامل ج١٢ ص ٣٤٠ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٣ .

(٣١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٠ ؛ ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٩ ؛ طليمات : كوكبوري ص ١٢٠ .

فراسخ من الموصل حيث دارت المعركة في رجب من سنة ٦١٦ هـ [٣٢] وانتهت بما انتهت به من هزيمة بدر الدين وفر الى الموصل فاحتمى بقلعتها وتبعته عسكر مظفر الدين الذي نزل وراء تل حصن نينوى . فاقام هناك ثلاثة أيام اضطر بعدها الى الرحيل بعد أن بلغه عزم صاحب الموصل على العبور اليه ومقاتلته . فسار مظفر الدين وعبر الزاب ونزل على ضفته لينظر ما يكون من صاحب الموصل . فارسل بدر الدين رسلا يعرضون على مظفر الدين الصلح على أن يحتفظ كل منهم بما في حوزته من البلاد فوافق مظفر الدين على هذه الشروط وتم الصلح بين الفريقين وحلف كل منهم على تلك القاعدة في أواخر سنة ٦١٦ هـ [٣٣] .

ولم يطل امد هذا الصلح اذ سرعان ما نشب النزاع وتجدد القتال بين الطرفين ، وكان سبب هذا النزاع أن سكان قلعة كواشى [٣٤] حذوا حذو اهل العمادية فاخرجوا نواب بدر الدين عنهم وراسلوا عماد الدين زنكي يدعونه لتسلم القلعة ، فاسرع زنكى الى قلعة كواشى وتسلمها [٣٥] فارسل بدر الدين يحتج لدى مظفر الدين على تصرف عماد الدين زنكى العدائي واعتدائه على بلاده ، وطلب منه العمل على سحب قوات عماد الدين

---

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٠ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٥٩٩ .

(٣٣) نفس المصدر ج١٢ ص ٣٤١ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٣ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠٠ .

(٣٤) قلعة كواش : من احصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها تقع شمال الموصل بالقرب من زاخو (الكامل ج١٢ ص ٣٤١ ، الصايغ : تاريخ الموصل ج١ ص ٢٠٤) .

(٣٥) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤١ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٣ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠٠ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج١٠ ص ١ .

واعادة قلعة كواشى اليه وذكره بما عقد بينهما من العهود والمواثيق . فلم يلتفت مظفر الدين الى طلبه وعندئذ توجه بدر الدين بطلب النجدة من الملك الاشرف موسى وكان بحلب فعبر الفرات الى حران (٣٦) .

ولم يكن مظفر الدين غافلا عن استنجاد بدر الدين بالاشرف فعمل على اثارة القلاقل وعرقلة الامور امام الاشرف لتعطيله عن القدوم ومساعدة بدر الدين . فراسل الملوك واصحاب الاطراف يستميلهم ويخوفهم من اطماع الملك الاشرف في بلادهم ، فاستجاب له من هؤلاء الملوك عزالدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم . وناصر الدين ارتق بن ايلغازي صاحب ماردين . وكذلك صاحب آمد وحصن كيفا . واتفق الجميع على طاعة كيكاوس والخطبة له في بلادهم (٣٧) .

ولم تقف مساعي مظفر الدين الى هذا الحد بل تعدى ذلك الى مراسلة امراء الاشرف واستمالتهم اليه وتحريضهم على الملك الاشرف ، فانضم اليه من هؤلاء الامراء احمد بن علي المشطوب ، وعزالدين محمد ابن بدر الحميدي وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا بدنيسر للاجتماع بصاحب آمد والاتفاق معه على منع وصول الملك الاشرف الى الموصل ومساعدة صاحبها بدر الدين لؤلؤ (٣٧) .

ولم يكتب النجاح لهذا الحلف ، فسرعان ما انهار بوفاة كيكاوس

---

(٣٦) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ٣٤١ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠٠ .
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج١٠ ص ١٠ .
(٤٧) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٤٢ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠١ .
(٣٨) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٢ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٦١ .
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج١٠ ص ١٠ .

صاحب بلاد الروم ، وخروج صاحب آمد من الحلف واتفاقه مع الملك الاشرف (٣٩) .

وعاد بقية الامراء الذين كانوا قد انضموا الى الحلف المذور وخرجوا على طاعته الاشرف فالتحقوا بخدمته . ولم يبق من هؤلاء الامراء سوى ابن المشطوب الذي ظل محافظا على عهده فترك دنيسر وسار الى نصيبين لينضم الى مظفر الدين في اربل فخرج اليه صاحب نصيبين يريد القبض عليه فجرت بينهما معركة انهزم على اثرها ابن المشطوب وتفرق معظم جنده ، ومع ذلك فقد واصل السير الى اربل في عدد قليل من رجاله ، ولما اجتاز باطراف سنجار ارسل اليه صاحبها فروخ شاه بن عماد الدين زنكي ابن مودود بن زنكي عسكرا تسكنوا من اسره واقتياده الى سنجار (٤٠) . وكان فروخ شاه هذا مواليا للاشرف ومناصرا لبدر الدين لؤلؤ . فلما اجتمع به ابن المشطوب استطاع أن يثير مخاوفه من اطماع الملك الاشرف في الجزيرةويقنعه بالخروج عنطاعته والانضمام الى مظفر الدينكوكبوري، فوافق فروخ شاه واطلقه من السجن فجمع ابن المشطوب بعض الجند وقصد البقعا من اعمال الموصل فنهب فيها عدد من القرى وعاد الى سنجار (٤١) .

وتمادى ابن المشطوب في اعماله وانتقل من سنجار الى تليعفر وهي

---

(٣٩) فس المصدر : الكامل ج١٢ ص ٣٤٢ .

(٤٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٢ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٦ ص ٢١ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٣٩ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج١٠ ص ١٠ .

(٤١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٣، ابو الفدا: المختصر ج٦ ص٢١، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٣٩ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠١ .

لفروخ شاه فنزل فيها ليتمكن من شن الغارات على اطراف الموصـــل . فلما علم بدر الدين بذلك سير اليه عسكرا تمكن من ايقاع الهزيمة بـه فتراجع ابن المشطوب الى تليعفر . فحاصروه بها . وقدم بدر الدين بنفسه ليضيق الحصار في ربيع الاول من سنة ٦١٧ هـ وصحبه فارس الدين بن صبرة من نصيبين فضيقوا الحصار على تليعفر وتمكن بدر الدين اخيرا من الاستيلاء عليها وأسر ابن المشطوب وأرسله الى الملك الاشرف حيث سجنه بحران الى أن توفي في سنة ٦١٩ هـ (٤٢) .

اما الملك الاشرف موسى فبعد ان عقد الصلح مع صاحب ماردين اتجه الى الموصل عن طريق نصيبين ، فجاءه صاحب سنجار فروخ شاه ابن زنكي وعرض عليه رغبته في تسليم سنجار اليه على أن يعوضه عنها بالرقة (٤٣) .

وكان سبب تنازل فروخ شاه عن سنجار خوفه من الملك الاشرف بعد ان علم بتواطئه مع ابن المشطوب ومساعدته له في الاغارة على بلاد الموصل هذا بالاضافة الى سقوط تليعفر بيد بدر الدين لؤلؤ ، ورحـب الاشرف بهذ العرض فاخذ سنجار وكانت من اهم معاقل الجزيرة واعطى فروخ شاه مدينة الرقة فخرج باهله وامواله من سنجار وتوجه اليها فانتهى حكم آخر ملوك البيت الاتابكي في سنجار سنة ٦١٧ هـ بعد حكم دام

---

(٤٢) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٠٩ ابو شامة : ذيل الروضتين ص ١٢١ . ابو الفدا : المختصر ج٦ ص ٢١ . ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠١ .

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٦٠٩ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٦ ص ٢١ ، ابن الوردي : تتمة المختصر في اخبار البشر ج ٢ص ٣٩ .

مدة ٩٤ سنة [٤٤] .

د ـ انعقاد الصلح بين الاشرف موسى وبين كوكبوري وعماد الدين زنكي :

بعد ان انتهى الملك الاشرف من امر سنجار واصل سيره الى الموصل فدخلها في ١٩ جمادي الاولى من سنة ٦١٧ هـ فخرج بدر الدين لؤلؤ لاستقباله وقد وصف المؤرخ ابن الاثير دخول الاشرف الموصل « بانه يوما مشهودا » [٤٥] . وترجل بدر الدين له وحمل الغاشية بين يديه [٤٦] .

وتوافد رسل الخليفة ومظفر الدين على الموصل لحضور الصلح مع الاشرف فتعهد مظفر الدين كوكبوري باعادة جميع القلاع التي استولى عليها عماد الدين زنكي الى بدر الدين لؤلؤ ما عدا قلعة العمادية فقد اصر مظفر الدين على ابقائها في يد زنكي [٤٧] وقال : « ان المصالحة قبول هذا لتزول الفتنة ويقع الاشتغال بجهاد الفرنج » [٤٨] .

ثم استقر الصلح وتم الاتفاق على تسليم القلاع وحمل زنكي الى

---

(٤٤) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٤ . ابو الفدا : المختصر ج٦ ص ٢١ . ابن الوردي : تتمة المختصر ج ٢ ص ١٣٩ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جزء ٦ ص ٢٤٧ .

(٤٥) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٤ .

الغاشية : ستارة مرصعة بالجواهر النفيسة . وكانت تحمل على رؤوس الملوك كالمظلة تعظيما لهم (الصايغ : تاريخ الموصل ص ٢٠٥) .

(٤٦) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٣ .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٢ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول . ص ٢٣٣ . ابو الفدا : المختصر ج٦ ص ٢١ . ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٣٩ . ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج١٠ ص ١١ .

(٤٨) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٤ .

الملك الاشرف ليكون رهينة حتى ينفذ الاتفاق ويتسلم صاحب الموصل القلاع وارسل الاشرف نوابه الى قلعة العقر وشوش التابعتين لزنكي على ان تعاد اليه ويطلق سراحه بعد أن يتم تسليم القلاع الى بدر الدين [٤٩] .

ثم رحل الاشرف عن الموصل في رمضان من سنة ٦١٧ هـ فارسل بدر الدين لؤلؤ يطلب تسليمه القلاع حسب الاتفاق الذي تم بينه وبين مظفر الدين كوكبوري وزنكي فلم تسلم اليه سوى قلعة جل صور . وهي من اعمال الهكارية . وامتنع الجند في باقي القلاع عن تسليمها الى بدر الدين [٥٠] .

اما عماد الدين زنكي فقد استجار بشهاب الدين غازي اخ الملك الاشرف وطلب اليه التوسط لاقناع اخيه باطلاق سراحه فاستجاب الاشرف لاخيه واطلق زنكي من الاعتقال وسحب نوابه من قلعتي العقر وشوش واعادهما اليه [٥١] .

وكان بدر الدين قد بلغه ان الملك الاشرف يرغب في ضم قلعة تليعفر الى سنجار ، فوافق بدر الدين على هذا لطلب وتنازل له عنها [٥٢] .

وأدى تعسف عماد الدين زنكي وسوء سياسته تجاه اهل قلعتي

---

(٤٩) نفس المصدر : ج١٢ ص ٣٤٥ . ابن خلدون : ج٥ ٦٠٢ . ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج١٠ ص ١١ .

(٥٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٥ ؛ ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠٢

(٥١) نفس المصدر : ص ٣٤٥ . ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٦ . ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠٢ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج١٠ ص ١١ .

(٥٢) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٥ .

الهكارية والزوزان الى خروج اهل هاتين القلعتين عن طاعته ومكاتبتهم لبدر الدين في سنة ٦١٨ هـ يعرضون عليه الدخول في طاعته لما بلغهم من عدله واحسانه الى الجند . فاجابهم بدر الدين الى طلبهم وارسل يستـــأذن الاشرف في ذلك . فلم يأذن له (٥٣) .

وعاد زنكي بعد ان اطلق سراحه وجمع جيشا وحاصر قلعة العمادية فلم يتمكن منها وعاد اهلها الى مراسلة بدر الدين ليسلموها اليه فارسل بدر الدين الى الاشرف يستأذنه ويطالب موافقته على ضم تلك القـلاع المرة الثانية وعرض عليه قلعة جديدة نصيبين (٥٤) وولاية بين النهرين (٥٥) فوافق الاشرف واعطاه الاذن بتسلم تلك القلاع . فارسل بدر الدين اليها نوابه فتسلموها من الجند واحسن بدر الدين الى اهلها ؛ ورحل زنكي عنها فحذت باقي القلاع حذوهم وسلموا ما بايديهم الى صاحب الموصل طمعا في احسانه وحسن سياسته فيهم (٥٦) .

هـ ـ حصار صاحب اربل للموصل في سنتي ٦٢١ ، ٦٢٣ هـ :

كان الملك الاشرف قد اقطع اخاه شهاب الدين غازي مدينة خلاط وارمينيا وميافارقين وجعله وليا لعهده (٥٧) .

---

(٥٣) نفس المصدر : الكامل ج١٢ ص ٣٤٦ . ابن خلدون : ج٥ ص٦٠٣

(٥٤) جديدة نصيبين : اسم لقلعة وكورة بين النهرين التي بين نصيبين والموصل وهي قديمة وحصينة جدا واعمالها متصلة باعمال حصن كيفا . ياقوت : ج٥ ص ١١٥ .

(٥٥) ولاية بين النهرين : المقصود به جزيرة ابن عمر .

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٤٦ . ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠٣

(٥٧) ابن الاثير : الكامل : ج١٢ ص ٤٢١ . ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر . ص ٣١ ـ ٣٢ . ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٤٥ . ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠٤ .

فلما استقر غازي في ارمينيا طمع في هذه البلاد . وخرج عن طاعة اخيه واعلن استقلاله عنه وراسل اخاه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق واتفق معه ضد اخيهما الاشرف ، ثم ارسل المعظم عيسى ولده الناصر داود الى مظفر الدين كوكبوري يدعوه الى الانضمام اليهما ضد الملك الاشرف ، فوافق على ذلك [٥٨] فقد كان مظفر الدين يرحب بكل تحالف يكون من اهدافه اضعاف الملك الاشرف .

وما ان علم الملك الاشرف بانباء هذا التحالف ضده حتى ارسل الى اخيه الملك الكامل صاحب مصر يستنجد به فاجابه الكامل وجهز جيشه واستعد للخروج الى الشام وأرسل الى اخيه صاحب دمشق يهدده بقصده اذا تحرك الى بلاد الاشرف وكان الملك المعظم عيسى قد سار الى الجزيرة ووصل داريا [٥٩] ، فلما وصله تهديد اخيه الكامل بقصده خاف أن ينفذ تهديده فعاد الى دمشق [٦٠] .

وكان الاشرف قد سار بجيشه الى خلاط واستردها من اخيه شهاب الدين غازي وأقره على ميافارقين [٦١] .

---

(٥٨) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٢١ . ابو شامة الروضتين : ص ١٣٤ ، ابو الفدا : المختصر ج٦ ص ٣٢ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٤٦ .

(٥٩) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة ياقوت : ج٨ ص ٤٣١ .

(٦٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٢٢ ، ابن خلدون : ج٥ ص ٦٠٥ . ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج١٠ ص ٣٩ .

(٦١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٢٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ـ القسم الثاني ص ٢٢٤ (مخطوط رقم ٥٣١٩ دار الكتب المصرية) ، ابو الفدا : المختصر ج٦ ص ٣٢ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٤٦ .

اما مظفر الدين فقد بادر بالسير الى الموصل وحاصرها منتهزا فرصة وجود معظم جيش بدر الدين مع الملك الاشرف في خلاط . وكان مظفر الدين يظن انالاشرف حين يعلم بمحاصرته الموصل يرحل عن خلاط ويعود لنجدة بدر الدين لؤلؤ ، فيتسنى لصاحب خلاط الخروج في اثره فيقع الاشرف بين قوات مظفر الدين وشهاب الدين غازي فيهزمانه .

وكان بدر الدين قد حصن الموصل واكثر من الجند على الاسوار . واظهر آلات الحصار وفرق الاموال بين العساكر ، فبقي مظفر الدين محاصرا للموصل عشرة ايام . فوصله الخبر باستيلاء الاشرف على خلاط وعودة الملك المعظم الى دمشق فاسقط في يده واضطر الى رفع الحصار عن الموصل في جمادي الآخرة من سنة ٦٢١ هـ (٦٢) .

وفي سنة ٦٢٣ هـ اتفق كل من مظفر الدين كوكبوري وجلال الدين منكبرتي بن علاء الدين محمد خوارزم شاه والملك المعظم عيسى صاحب دمشق وصاحب آمد . وناصر الدين ارتق صاحب ماردين اتفقوا جميعا على مهاجمة بلاد الملك الاشرف موسى واقتسامها فيما بينهم (٦٣) .

فبادر مظفر الدين بالسير الى الموصل ونزل على جانب نهر الزاب فلم يتمكن من العبور الىالموصل. اما جلال الدين فقد سار منتفليس نحو خلاط فوصله الخبر بان نائبه في بلاد كرمان قد شق عليه عصا الطاعة

---

(٦٢) ابن الاثير : لكامل ج ١٢ ص٤٢٣ - ٤٢٤ . ابن واصل : ج٢ ص ٢٢٣ (مخطوط) . ابن الفرات : ج١٠ ص ٣٩ مخطوط . ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج٦ ص ٣٢ . ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ١٤٦ .

(٦٣) ابنالاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٥٣ . ابو الفدا : المختصر ج٦ ص ٣٤ .

واستقل بالاقليم فاضطر جلال الدين الى ترك خلاط والعودة الى بلاده . فضعف بسيره امر الحلفاء (٦٤) .

وكان بدر الدين لؤلؤ قد ارسل يستنجد بالملك الاشرف موسى بالرقة وطلب اليه الحضور بنفسه الى الموصل ليدفع مظفر الدين عنها . ولم يتردد الاشرف في تلبية نداء بدر الدين فاسرع بالسير الى حران ثم غادرها الى دنيسر فخرب ماردين ونهبها (٦٥) . فخاف المعظم عيسى صاحب دمشق أن يستولى الاشرف عليها وارسل يقترح عليه ان يترك ماردين على ان يرحل هو عن حمص وحماه وان يأمر مظفر الدين بالرحيل عن الموصل ، فوافق الاشرف على ذلك ورحل مظفر الدين عن الموصل وعاد الى اربل بعد ان خربت اعمال الموصل واعمال ماردين بهذه الغزوة (٦٦) .

و ـ اشتراك عساكر الموصل في القتال ضد خوارزم شاه سنة ٦٢٧ هـ :

كان جلال الدين خوارزم شاه قد هاجم خلاط وانتزعها من نواب الملك الاشرف وذلك في جمادي الاولى من سنة ٦٢٦ هـ (٦٧) وقد اثار استيلاء جلال الدين على خلاط مخاوف علاء الدين كيقباذ صاحب بلاد

---

(٦٤) بن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٥٣ . طليمات : كوكبوري ص١٣١ ، ١٣٢

(٦٥) نفس المصدر : الكامل ج١٢ ص ٤٥٤ . طليمات : كوكبوري ص ١٣٢ . ابن واصل : مفرج الكروب مخطوط ج٢ ص ٣٩ ٢.

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٥٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ١٦٠ . ابن واصل : مفرج الكروب ـ مخطوط ـ ج٢ ص ٢٣٩ .

(٦٧) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٨٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ١٣٩ .

الروم [٦٨] ، فبادر بالاتصال بالملك الكامل وكان حينئذ بحران يطلب اليه احضار اخاه الملك الاشرف موسى من دمشق ليقف بوجه اطماع جلال الدين خوارزم شاه ويصده عن بلاده [٦٩] .

والح علاء الدين هذا في طلب النجدة من الملك الاشرف واكثر من الرسل اليه ، فلم يسع الاشرف الا المسير الى حران حيث ارسل من هناك يستدعي اليه العساكر فحضرت اليه الامدادات من الموصل وحلب والجزيرة [٧٠] .

ولما اكتملت العساكر لدى الملك الاشرف سار بهم الى علاء الدين كيقباذ فاجتمعا بسيواس ، واتفقا على قصد خوارزم شاه وسارا الى خلاط . فلما علم جلال الدين بسيرهم نحوه جمع جيشه وتقدم لملاقاتهما فاشتبك معهم في معركة حاسمة انهزم على اثرها جلال الدين هزيمة منكرة في رمضان من سنة ٦٢٧ هـ وعاد الى اذربيجان واستعاد الاشرف خلاط بعد أن لحق بها الخراب [٧١] .

ثم ترددت الرسل بين الملك الاشرف وجلال الدين خوارزم شاه وتم الاتفاق على أن يحتفظ كل منهما بما في يده من البلاد وحلفا على هذه القواعد وعاد الاشرف الى سنجار ومنها الى دمشق . اما جلال الدين

---

(٦٨) كانت بلاد الروم الخاضعة لعلاء الدين كيقباذ تشتمل على ملطيه ، وسيواس ، وقونيه واصرا وغيرها (الكامل ج١٢ ص ٤٨٩) .

(٦٩) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٨٩ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ١٣٩ .

(٧٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٦٦٠ .

(٧١) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٩٠ ، سبط ابن الجوزي ج٨ ص ٦٦١ ، ابن خلكان : ج٢ ص ١٣٩ .

خوارزم شاه فقد استقر باذربيجان [٧٢] .

وبهذه الحادثة تنتهي العلاقات السياسية التي كانت قائمة بين اتابكة الموصل والايوبيين في بلاد الشام فقد انتقل الحكم في الموصل الى بدر الدين لؤلؤ وانتهى حكم خلفاء زنكي فيها .

---

(٧٢) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٤٩١ . سبط ابن الجوزي ج٨ ص ٦٦١ .

الفصل الخامس

العلاقات مع سلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين

(١) العلاقات مع سلاطين السلاجقة :

أ ـ ضعف الصلات السياسية بين الاتابكة وسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان مسعود ٠

ب ـ حركة ألب ارسلان بن السلطان محمود بعد مصرع زنكي ٠

جـ ـ دور اتابك الموصل (قطب الدين مودود) في القبض على السلطان سليمان شاه ومحاصرة بغداد ٠

د ـ دور اتابك الموصل (قطب الدين مودود) في عودة سليمان شاه الى السلطة ٠

(٢) العلاقات مع الخلفاء العباسيين ٠

أ ـ حرص اتابكة الموصل على الولاء الروحي للخليفة ٠

ب ـ تطور العلاقات بين اتابكة الموصل والخلفاء حتى نهاية حكم اسرة زنكي في الموصل سنة ٦٣١ هـ ٠

(١)

العلاقات مع سلاطين السلاجقة

(أ) ضعف الصلات السياسية بين الاتابكة وسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان مسعود :

كان نظام انشاء الاتابكيات في العصر السلجوقي يقضي بان تكون هناك التزامات ادارية وعسكرية يلتزم بها من يتولى شؤون الاتابكية تجاه السلطان السلجوقي ، على اعتبار أن الاتابكية في حد ذاتها لا تعدو أن تكون اقطاعا لاحد كبار قواده أو أمرائه المقربين وعلى هذا النحو كان هؤلاء الاتابكة يعتبرون أنفسهم أصحاب النفوذ الفعلي في البلاد التي يعهد اليهم بالحكم فيها [١] ، فقد خول اليهم من السلطات ما جعلهم في الغالب مستقلين عن الحكومة المركزية اذ لم يكن يربطهم بها سوى سلطتها في توليتهم أو عزلهم [٢] .

وكانت التزامات الاتابك تجاه السلطان تشمل الناحيتين الادارية والعسكرية ، فالاولى تتمثل في أن يتعهد الاتابك بذكر السلطان في الخطبة على المنابر في جميع بلاده وان يضرب اسمه على السكة أما في الناحية

---

(١) حافظ حمدي : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ص ٩٤ .
حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ٢٠٩ .

(٢) R.C. Smail; p. 65.

(٣) R. C. Smail; p. 65-66

العسكرية وهي الاهم فكان لزاما على الاتابك ان يجهز الجيوش ويعدها في خدمة السلطان عندما يطلب منه انفاذها [٣] أي ان الاتابك يتعهد بالدفاع عن السلطنة ومحاربة اعداء السلطان والوقوف بجانبه . وكان هؤلاء الاتابكة يتبعون في مسالكهم العادات السلجوقية بما في ذلك الالقاب [٤] .

وبوفاة السلطان مسعود في رجب في سنة ٥٤٧ فقدت الدولة السلجوقية ركنا هاما من أركانها ففقدت سيطرتها وضاعت هيبتها وضعف نفوذها « فماتت معه سعادة البيت السلجوقي ، فلم تقم له راية يعتد بها ولا يلتفت اليها » [٥] .

ولم يعد هناك نفوذ للسلطان عند الاتابكة . الذين ساروا على سياسة تتفق مع مصلحتهم الشخصية وحفظ حدود بلادهم فتدخلوا في المنازعات والحروب التي اندلعت بين سلاطين السلاجقة أنفسهم بعد وفاة مسعود فأيدوا فريقا ضد الاخر ، بل ان بعض هؤلاء الاتابكة أقدم على سجن أحد السلاطين الذين خطب لهم على منابر بغداد ووضعه في قلعة الموصل [٦] .

وكان هؤلاء الاتابكة يرمون من وراء تدخلهم في النزاع بين السلاجقة أن يحققوا أمرين : أولهما تحقيق مكاسب وأطماع شخصية من الطرف الذي ستكون له الغلبة في النزاع ، وثانيهما العمل على اضعاف سلاطين البيت السلجوقي وصرفهم عن التدخل في شؤون الاتابكية .

---

(٤) حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ط مصر ١٩٥٧ ص ٦٤ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١٦٠ – المقريزي : السلوك ج١ ص ٣٨ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الامم ج١ ص ١٦٥ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوقي ص ٢٢٢ . ابن الاثير : الباهر ص ١٠٩ .

وفي هذا الفصل سنتناول طبيعة تلك العلاقات التي كانت قائمة بين سلاطين السلاجقة والملوك الاتابكة في الموصل منذ وفاة عماد الدين زنكي ٥٤١ هـ وحتى خضوع الموصل لصلاح الدين الايوبي الذي وضع حدا للنفوذ السلجوقي فيها والذي كان يتمثل في الخطبة والسكة آنذاك .

ب ـ حركة ألب ارسلان بن السلطان محمود بعد مصرع زنكي :

كان الملك ألب أرسلان بن السلطان محمود يرافق عماد الدين زنكي عند مصرعه في قلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ بحكم أن زنكى كان أتابكا له [٧] .

وعمل ألب ارسلان على انتهاز الفرصة والاستيلاء على بلاد زنكي بعد وفاته ،فبادر بجمع العساكر والتوجه نحو الموصل . الا آن حركة ألب ارسلان لم يكتب لها النجاح اذ آحبطت بفضل الجهود التي بذلها كل من الوزير جمال الدين الاصفهاني وصلاح الدين الياغيسياني (آمير حاجب في عهد عماد الدين) اللذان تداركا الامر ومهدا لسيف الدين غازي الابن الاكبر لزنكي دخول الموصل واستقراره فيها ، وما أن تم الامر لسيف الدين حتى أرسل فرقة من جند الموصل ألقت القبض على آلب ارسلان واقتيد الى الموصل حيث ذكر بعض المؤرخين أنه قتل بعد ذلك [٨] الا أن المؤرخ ابن الاثير اكتفى بالقول « فأخذوه وادخلوه الموصل فكان آخر العهد بـه [٩] » ولم يأت بعد هذا التاريخ ذكر لالب أرسلان ، الا أن بعض

---

(٧) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٣ . ابن الاثير : الباهر ص ٧١ ، ابن الاثير الحلبي : عبرة اولي الابصار ج٢ ص ١١٠ (محطوط ـ دار الكتب لمصرية ٤٤٣) .

(٨) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٩١ . ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٠٩ .

(٩) ابن الاثير : الباهر ص ٨٦ .

الباحثين في دراسة العملة في العهد الاتابكي عثروا على اسم ألب ارسلان هذا مضروبا على الدينار الاتابكي في سنة ٥٥٠ هـ [١٠] وهذا يجعلنا نسيل الى الاخذ برواية ابن الاثير الذي لم يذكر خبر مقتله فمن الجائز أن يكون ألب ارسلان قد أطلق سراحه فيما بعد في عهد قطب الدين مودود الذي حكم الموصل بعد أخيه سيف الدين غازي الذي توفي في سنة ٥٤٤ هـ وظل في الموصل مجردا من كل نفوذ ودون أن يقوم بأي نشاط سياسي سوى ذكر اسمه على السكة الى جانب السلطان سنجر شاه [١١] ، وفي رأينا أن احتمال قتل ألب ارسلان ضعيف جدا ، خصوصا اذا أخذنا في الاعتبار أنه سبق لالب أرسلان أن أقدم على قتل نائب زنكي نصير الدين جقر في ٥٣٩ هـ في محاولة للاستيلاء على الموصل منتهزا فرصة وجود زنكي على حصار قلعة البيرة [١٢] ومع أقدام ألب أرسلان على ارتكاب هذه الجريمة فأن زنكى لم يقدم على قتله ، واكتفى بسجنه في قلعة الموصل ثم اطلقه فيما بعد واصطحبه معه الى قلعة جعبر وعلى هذا الاساس نستبعد أن يقدم سيف الدين غازي على قتل ألب أرسلان وهو في بداية حكمه للموصل .

(جـ) دور أتابك الموصل في القبض على السلطات سليمان شاه ومحاصرة بغداد :

آلت السلطنة بعد وفاة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه في ٥٤٧ هـ الى ملكشاه بن محمود فقام بتدبير أموره المملوك خاص بك

---

(١٠) محمد باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ٤٢ ـ ٤٣ ط بغداد ١٩٦٦ .
(١١) نفس المرجع : العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ٤٣ .
(١٢) ابن الاثير : الباهر ص ٧١ ـ ٧٢ .

ابن بلنكرى [١٣] ولم تطل أيام ملكشاه فقد قبض عليه خاص بك واعتقله، ثم أرسل الى أخيه محمد بن السلطان محمود يستدعيه من خوزستان سنة ٥٤٨ هـ ليوليه السلطنة ، وكان خاص بك ينوي القبض على السلطان محمد بسجرد وصوله ليتهيأ له بعد ذلك اعتلاء عرش السلطنة السلجوقية دون منافس ، الا ان السلطان محمد تنبه لمؤامرة خاص بك فأمر بقتله واستولى على أمواله [١٤] وقد اتخذ الخليفة المقتفي لأمر الله موقفا عدائيا من السلطان محمد ورفض أن يخطب له على مساجد بغداد فكان هذا سببا في قيام النزاع بين السلطان محمد والخليفة المقتفي [١٥] .

وفي سنة ٥٥١ هـ أرسل سليمان شاه بن السلطان محمد يستأذن الخليفة المقتفي في دخول بغداد ويطلب مساعدته على محاربة ابن اخيه السلطان محمد بن محمود ولم يتردد الخليفة في انتهاز هذه الفرصة التي من شأنها زيادة الفرقة والمنازعات بين السلاجقة أنفسهم ، فرحب بسليمان شاه وأذن له بدخول بغداد فوصلها في المحرم في سنة ٥٥١ هـ وأحضر بين يدي الخليفة فحلف له على الطاعة بحضور القضاة والشهود واعيان العباسيين [١٦] ، « وقرر أن يكون العراق للخليفة ولا يكون لسليمان

---

(١٣) خاص بك بن بلنكري : هو مملوك تركماني اتصل بخدمة السلطان مسعود وتقدم في بلاطه ، واسمه الاصلي ارسلان بن بلنكرى (ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١٦٣ أبو شامة الروضتين ج١ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

(١٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج١٠ ص ١٤٧ ـ ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١٦١ ـ ١٦٢ أبو شامة : الروضتين ج١ ص ١٤٧

(١٥) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢١٥ ـ ٢١٦ حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ١١٢ .

(١٦) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٠٦ .

شاه الا ما فتحه من بلاد خراسان » [١٧] وخطب لسليمان شاه في بغداد ومنح ألقاب أبيه غياث الدنيا والدين [١٨] ولم يقف تأييد الخليفة لسليمان شاه الى هذه الحد بل أرسل الى ملكشاه بن السلطان محمود وكان أخا للسلطان محمد ، فحضر في الفي فارس . وحلف كل منهما لصاحبه وجعل ملكشاه ولي عهد سليمان شاه . وأمدهما الخليفة بالاموال [١٩] . وخرج معهما من بغداد في شهر ربيع الاول سنة ٥٥١ هـ فوصلوا حلوان فسير الخليفة عسكرا قوامه ثلاثة الاف فارس مع سليمان شاه ثم عاد الى بغداد [٢٠] .

وبلغت أخبار هذا التحالف الى السلطان محمد فأرسل الى قطب الدين مودود صاحب الموصل يطلب منه العون والمساعدة على سليمان شاه ويبذل له الوعود الكثيرة اذا ظفر بخصومه . فأجابه قطب الدين الى ذلك وأمر بتجهيز فرقة من جيش الموصل بقيادة نائبه زين الدين على كوجك لمساعدة السلطان محمد [٢١] ، فوصلت الاخبار بهزيمة سليمان شاه وحلفائه أمام السلطان محمد هزيمة منكرة ، وعلم زين الدين أن سليمان شاه ينوي العودة الى بغداد عن طريق شهرزور وكانت من اقطاع زين الدين وهي بيد الامير بزان فأسرع زين الدين على رأس جماعة من عسكر الموصل وقطع الطريق على سليمان شاه وأخذه أسيرا الى الموصل حيث

---

(١٧) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص ١٦٤ .

(١٨) العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ج ٢/٢١) ص ٢٦٣

(١٩) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٢ ـ ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٢٠) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج١٠ ص ١٦٨ ـ العينى : عقد الجمان ج١٢ ص ٢٦٣ .

(٢١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٢ ـ ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٠٧ .

سجن في قلعتها [٢٢] وأرسل زين الدين الى السلطان محمد يخبره بالقبض على سليمان شاه ويقول (لقد قبضت عليه فتعال تسلمه ، وان أردت أن تقصد بغداد فأنا ألحق بك) [٢٣] .

وهكذا نجد أن اتابك الموصل يقدم على سجن السلطان سليمان شاه في قلعة الموصل في الوقت الذي كانت الخطبة لا تزال تلقي باسمه على منابر بغداد بتأييده من الخليفة المقتفى لامر الله ، فهو بهذا لم يخرج على أمر السلطان فحسب بل خرج على أمر الخليفة أيضا ، ويعبر هذا التصرف عن مدى ما وصل اليه اتابكة الموصل من قوة ونفوذ من جهة وعلى ما آل اليه سلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين من ضعف من جهة أخرى .

حصار بغداد :

كان انتصار السلطان محمد على سليمان شاه حافزا له على الزحف الى بغداد وارغام الخليفة على الاعتراف به والخطبة له ، فسار من همذان بجيوش كثيفة قاصدا العراق . وأرسل الى حليفه صاحب الموصل قطب الدين مودود يطلب اليه موافاته بالعساكر ، فلم يتردد قطب الدين في الموافقة على الاشتراك في هذا العمل الخطير ، وأنفذ اليه عسكرا كبيرا من الموصل بقيادة نائبه زين الدين على كوجك [٢٤] فلما اقترب السلطان محمد

---

(٢٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٢ - ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٠٧، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٣٣ - العيني: عقد الجمان ج٢١ ص ٢٦٤ .

(٢٣) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص ١٦٥ - الحسيني : الدولة السلجوقية ط لاهور ٩٣٣ . ص ١٤٢ .

(٢٤) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٧ - ابن الاثير الكامل ج١١ ص ٢١٢ ، الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص ١٣٥ .

بعساكره في بغداد أرسل الى الخليفة يطلب منه ان يخطب له . الا آن الخليفة رفض الاذعان لطلبه . وكان المقتفي قد بالغ في تحصين بغداد . ونصب المنجنيقات . وأمر ببناء المراكب المقاتلة والسفن [٢٥] وفرق السلاح على الجند والعامة [٢٦] « فاجتمعت العساكر عليه من كل مكان حتى صار عنده من العساكر ما لم يعهد مثلها » [٢٧] .

واشتد القتال بين السلطان وجند الخليفة وطال الحصار دون أن ينال السلطان محمد من بغداد مأربا . وذكر ابن الاثير آن زين الدين وعسكر الموصل لم يكونوا جادين في القتال « لاجل الخليفة والمسلمين وقيل لان نور الدين زنكي أرسل الى زين الدين يلومه على قتال الخليفة » [٢٨] وكان قطب الدين مودود يرسل السفن من الموصل محملة بالميرة والاقوات الى جند السلطان فاستولى عليها آهل بغداد في نهر دجلة [٢٩] .

ووصلت في هذه الاثناء الاخبار الى السلطان محمد بدخول ملكشاه همذان وقيامه بنهبها وسبي نساء الامراء وأبنائهم فعظم ذلك على الجند [٣٠] فبعث السلطان محمد الى زين الدين قائد جند لموصل وقال له : « أنت وعدتني بأخذ بغداد وما حصلت وخرجت من يدي همذان وأخذ مالي وخربت بيوت أصحابي ، وأنا معول على المضي » . فقال له

(٢٥) نفس المصدر : الجسيني ص ٢٢٦ .
(٢٦) ابن الاثير :الكامل ج١١ ص ٢١٣ .
(٢٧) الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص ١٣٤ .
(٢٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢١٥ .
(٢٩) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣١ .
(٣٠) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص ١٧١ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣١ .

زين الدين « متى رحلت بغير بلوغ غرض كنت سبب قلع بيت السلجوقية الى القيامة ، ثم لا يقصدونك بل يقصدونا أيضا ولكن أصبر حتى نمد الجسر ونعبر (٣١) » • وتوترت النفوس وزادت النفرة بين زين الدين والسلطان محمد وأخذ كل منهما يخاف على نفسه من الآخر وأخيرا تم الاتفاق على عبور دجلة والاشتباك مع جند الخليفة فأشار زين الديـن على السلطان محمد بالعبور اولا على أن يتبعه هو بعساكر الموصل الا أن زين الدين لم يف بوعده وظل مع عسكره في الجانب الغربي (٣٢) واشتد قتال السلطان محمدلاهل بغداد وضيق عليهم الحصار وأبلى جند الخليفة وعامةبغداد بلاء حسنا فلم يسكنوا عسكر السلطان مندخول بغداد، فاضطر الى رفع الحصار والرحيل نحو همذان في ٢٤ ربيع الاول في عام ٥٥٢ هـ وعاد زين الدين بعسكر الموصل (٣٣) •

د ـ دور أتابك الموصل في سلطنة سليمانشاه :

في ذي الحجة في سنة ٥٥٤ هـ توفى السلطان محمد بن محمود بباب همذان . فاختلف الامراء السلاجقة فيمن يولونه السلطنة . وانقسم القوم فيما بينهم . فطائفة أيدت تولية أخيه ملكشاه وطائفة عضدت أرسـلان شاه بن طغرل وطائفة مالت مع سليمان شاه وهؤلاء هم الاكثرية . فاتفق الجميع على توليته السلطنة (٣٤) •

---

(٣١) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص ١٧٣ .

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢١٣ ــ ٢١٤ . • الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص ١٤٠ : المقريزي : السلوك ج١ ص ٣٩ .

(٣٣) نفس المصدر : اخبار الدولة السلجوقية ص ١٥ ٢.
العيني : عقد الجمان ج ٢/٢١ ص ٢٦٤ .

(٣٤) البنداري : تاريخ دولة ال سلجوق ص ٢٦٤ • ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٥١ • ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢ ص ٢٤١ • المقريزي : السلوك ج١ ص ٣٩ .

وكان سليمان شاه هذا مسجونا في قلعة الموصل منذ سنة ٥٥١ هـ عندما وقع أسيرا في يد زين الدين على كوجك ، فاتفق كل من الامير ايناج وناصر الدين آقش ، وشرف الدين كردبازو على ارسال الامير مظفر الدين ألب أرغون صاحب قزوين مبعوثا من قبلهم الى قطب الدين مودود صاحب الموصل للتفاوض معه في سبيل اطلاق سراح سليمان شاه (٣٥) .

وعرض الرسول على قطب الدين مودود بان يكون اتابكا للسلطان سليمان شاه والمرجع اليه في جميع مملكته وأن تسند الوزارة الى جمال الدين الاصفهاني وأن يكون زين الدين على كوجك مقدما على عساكر السلطان (٣٦) .

ولم يتردد قطب الدين في قبول هذا العرض ، فقد وجد فيه ما يحقق له من المكاسب والنفوذ ما كان يصبو اليه ، فبادر الى اطلاق سراح سليمان شاه من السجن وأمر بتجهيزه بالاموال والثياب والخيل والآلات ما يصلح للسلاطين ، وأرسل معه زين الدين علي في فرقة من عسكر الموصل لمرافقة السلطان الجديد الى همذان (٣٧) .
وما ان اقترب موكب سليمان شاه من بلاد الجبل حتى أقبل اليه الامراء بعساكرهم فاجتمعت لديه حشود كبيرة الامر الذي اخاف زين الدين ، فقد رآى من كثرتهم وتسلطهم على السلطان ما اوجب خوفه على نفسه ، ففضل العودة بعساكره الى الموصل (٣٨) .

---

(٣٥) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٦٤ .
(٣٦) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٢٥١ .
(٣٧) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص ١٩٢ ، ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٥٤ ـ المقريزي : السلوك ج١ ص ٣٩ .
(٣٨) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٥٥ .

ولم تطل أيام سليمان شاه في السلطنة . فسرعان ما اتفق الامراء على القبض عليه بباب همذان في شوال من سنة ٥٥٥ هـ [٣٩] ولم يلبث ان قتل مسموما في ربيع الاول سنة ٥٥٦ هـ [٤٠] .

وفي سنة ٥٨١ هـ وضع صلاح الدين نهاية للنفوذ الاسمى الذي كان باقيا للسلطان طغرل السلجوقي في الموصل . ومنذ ذلك التاريخ قطعت الخطبة للسلاطين السلاجقة ورفع اسمهم من السكة فقد كان من شروط صلاح الدين مع صاحب الموصل ان يخطب له ويضرب اسمه على السكة ببلاده [٤١] ولم يقتصر زوال نفوذ السلاجقة بالموصل فحسب بل سرعان ما انهارت دولتهم وانتهت سلطتهم في العراق جميعه بمقتل طغرل الثالث على يد الخوارزمية في سنة ٥٩٠ هـ ١١٩٣ م [٤٢] .

---

(٣٩) ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ ص ١٩٦ .

(٤٠) البنداري : تاريخ دولة ال سلجوق ص ٢٧١ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٤٣ .

(٤١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥١٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٧٢ .

Stevenson (W.B) · p. 236.

(٤٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١١١ ـ ١١٣ ـ ؛ حسين امين : العراق في العصر السلجوقي ص ١٧١ .

(٢)

العلاقات مع الخلفاء العباسيين

أ ـ حرص اتابكة الموصل على الولاء الروحي للخليفة : ـ

كان الاتابكة يرتبطون بالخليفة العباسي برابطة الولاء الروحي ، فكانوا يعترفون بسلطانه ويلتجئون اليه للحصول على تفويض بالحكم باعتباره خليفة النبي (ص) ، ومصدر قوة المسلمين ، ليسبغوا بذلك حكمهم صفة شرعية في نظر شعوبهم ، فكان الاتابك عند تسلمه الحكم يحرص على ضرورة الحصول على تقليد من الخليفة يقره فيه على حكم البلاد ، واصبح هذا التقليد من مستلزمات الولاية ومن متممات الصفة الشرعية واهم اركانها ، وقد جرت العادة عند وفاة الاتابك وقيام خلفه في الملك ان يرسل كتابا الى دار الخلافة يلتمس من الخليفة تقليدا وتشريفا بالحكم [٤٣] .

وغالبا ما كان الوزير والنائب في الموصل يتوليان ارسال مثل هذه الكتب الى دار الخلافة يلتمسان فيها التقليد لملوكهم فيرسل الخليفة الخلع والتقليد لاتابك الموصل ونائبه [٤٤] .

---

(٤٣) ابن الاثير : رسائل ضاء الدين بن الاثير ط بيروت ١٩٥٩ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ (أورد ابن الاثير نصا لكتاب من انشائه مرسل الى الخليفة يطلب فيه التقليد والتشريف لصاحب الموصل عزالدين مسعود بن نور الدين ارسلان في سنة ٦٠٧ هـ وكان ابن الاثير يقوم بالعمل في ديوان الرسائل) .

(٤٤) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٤ ، ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٥٩٥ (كان بدر الد ن لؤلؤ يتولى ارسال الكتب الى دار الخلافة بطلب فيها التقليد لصاحب الموصل) .

وظل اسم الخليفة يذكر في المساجد ويضرب على السكة حتى في أشد الظروف التي كانت تسوء فيها العلاقة بين الخليفة وأتابك الموصل ففي عهد قطب الدين مودود (٥٤٤ ــ ٥٦٥ هـ) تدهورت العلاقات بينه وبين الخليفة المقتفي لامر الله وخرج قطب الدين عن طاعته عندما اتفق مع السلطان محمد ضد سليمان شاه الذي حظي بتأييد الخليفة له واعترافه به في سنة ٥٥١ هـ [٤٥] ، وكان الخليفة قد سبق له ان قصد اعمال الموصل فهاجم « دقوقا » [٤٦] وحاصرها الا انه اضطر الى رفع الحصار عندما بلغه سير عسكر الموصل نحوه لقتاله في سنة ٥٥٢ هـ [٤٧] ، ثم اتفق قطب الدين مودود مع السلطان محمد وشاركت عساكر الموصل في حصار بغداد وقتال المقتفي لارغامه على الاعتراف بالسلطان محمد سنة ٥٥٢ هـ [٤٨] ، ومع هذا التدهور في العلاقات بين الموصل وبغداد فقد ظل اسم الخليفة المقتفي يضرب على السكة في بلاد قطب الدين مودود [٤٩].

وفي سنة ٥٦٦ هـ وقف الخليفة المستضيء بالله موقفا عدائيا من سيف الدين غازي الثاني عندما اذن لنور الدين محمود في الاستيلاء على الموصل وارسل له الخلع مع العماد الكاتب الذي كان رسول نور الدين

---

(٤٥) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ٢٢٢ ، ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٢٠٧ الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص ١٤٢ .

(٤٦) دقوقا : مدينة بين اربل وبغداد تقع على نهر معروف باسمها وهو فرع من نهر العظيم : لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٨٣ ــ ١٢٠ .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٠١ ، العيني : عقد الجمان ج ٢/٢١ ص ٢٥٩ .

(٤٨) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٧ . ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٢١ .

(٤٩) وجد اسم المقتفى مضروبا على الدينار الاتابكي في الموصل سنة ٥٥٠ هـ (باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العصر الاتابكي ص ٤٢) .

الى الخليفة في هذا الامر (٥٠) .

وبعد ظهور صلاح الدين في الشام وبدء صراعه مع الموصل لتوحيد الجبهة الاسلامية وجدنا الخليفة يتدخل في التوسط بين صاحب الموصل وصلاح الدين لاقرار الصلح وحقن دماء المسلمين تلبية لنداء عز الدين مسعود .

ففي سنة ٥٧٨ هـ ارسل عز الدين مسعود القاضي بهاء الدين بن شداد الى الخليفة الناصر لدين الله يستنجد به ويطلب تدخله لمنع صلاح الدين عن بلاده فارسل الناصر الى صدر الدين شيخ الشيوخ وكان آنذاك بصحبة صلاح الدين وأمره بالتوسط في الصلح بين الطرفين(٥١).
الا ان الخليفة الناصر أقدم في السنة التالية ٥٧٩ هـ الى مهاجمة دقوقا التابعة للموصل واستولى عليها منتهزا سوء الاحوال في الدولة الاتابكية وانشغال عز الدين مسعود بمواجهة صلاح الدين ومدافعته عن الموصل (٥٢) ، على الرغم من علاقة العداء السائدة بين الموصل وبغداد فقد ظل اسم الخليفة الناصر منقوشا على العملة في عهد عز الدين مسعود (٥٣) .

---

(٥٠) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٤٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ١٩١ .
(٥١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٧ .
(٥٢) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٥٠٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٥٤ .
(٥٣) وجد اسم الخليفة الناصر منقوشا على العملة النحاسية المضروبة في سنة ٥٧٧ هجرية وذلك لعدم العثور على عملات ذهبية في عهد عزالدين مسعود .
(باقر الحسيني : العملات الاسلامية في العهد الاتابكي صفحة ٤٩ ـ ١٠٤) .

ب ـ تطور العلاقات بين اتابكة الموصل والخلفاء العباسيين :

في سنة ٦٠٦ هـ أرسل كل من نور الدين ارسلان ومظفر الدين كوكبوري صاحب أربل الى الخليفة الناصر لدين الله يلتمسان منه التدخل في الصلح بينهما وبين الملك العادل الذي كان يحاصر سنجار ، فارسل الخليفة وفدا يضم استاذ الدار هبة الله بن المبارك والامير آق باش . وكانا من المماليك المقربين للخليفة فأبلغا العادل رغبة الخليفة الناصر في اقرار الصلح حقنا لدماء المسلمين ، فاستجاب العادل لنداء الخليفة ورحل عن سنجار [٥٤] .

ولما توفي نور الدين ارسلان في العام التالي (٦٠٧ هـ) وعهد لولده القاهر في حكم الموصل ارسل بدر الدين لؤلؤ الى بغداد يطلب الخلع والتقليد لمولاه الملك القاهر باعتبار ان بدر الدين هو القيم عليه والحاكم بامور الدولة لصغر سن الملك القاهر فارسل الخليفة الخلع والتقليد لصاحب الموصل [٥٥] .

وبعد وفاة القاهرة سنة ٦١٥ هـ وصل التقليد من الخليفة لنور الدين ارسلان شاه الثاني بالولاية ولبدر الدين بالنظر في امور دولته والتشريفات لهما [٥٦] .

وكان بدر الدين لؤلؤ دائم الاتصال بالخليفة الناصر لدين الله ويحيطه بتحركات عماد الدين زنكي الثالث وحليفه مظفر الدين كوكبوري

---

(٥٤) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٢٨٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٤١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج٣ ص ١٩٧ .

(٥٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٥٤٦ .

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٣٣٤ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣١ .

صاحب أربل ، ففي المحرم من سنة ٦١٦ هـ ارسل بدر الدين لؤلؤ كتابا الى الخليفة ببغداد يخبره بهزيمة عسكر الموصل لعماد الدين زنكي وحليفه صاحب أربل وجاء في هذا الكتاب :

« ... واستضاف اليه عسكرا من أربل ذا وطأة ثقيلة ومنعه مهولة غير مهيلة ونزل تحت حصنه المعروف بالعقر .. وعند ذلك جهز العبد (بدر الدين) فرقة من الجند لم يحتفل باكثارها لكن عول على اختيارها وأمرها بالنزول على أطراف البلاد وترك التعرض للحرب التي يحتاج فيها الى الاحتشاد .. وتلاقى الجمعان في يوم كذا وكذا وهو اليوم الذي ذوب الغش ناره وضاقت بالنازل داره وحسن عنده الفرار » (٥٧) .

وفي سنة ٦١٧ هـ حاصر بدر الدين تليعفر ودق أسوارها بالمنجنيق واستولى عليها وأسر ابن المشطوب الذي كان يتخذها مركزا لشن الغارات على أطراف الموصل ، فارسل بدر الدين كتابا الى دار الخلافة ببغداد يشرح فيها اعتداء ابن المشطوب على اعمال الموصل وتحالفه مع فروخ شاه صاحب تليعفر وسنجار وما تبع ذلك من خروج بدر الدين والقاء القبض على ابن المشطوب هذا . ومما جاء في هذا الكتاب : « ... ولما اتصل (اي ابن المشطوب) بصاحبها (فروخ شاه صاحب سنجار) الصق به ذنبه وباعد بينه وبين سبل الرشاد بقربه ... ولم يزل يتزقفه (٥٨) تزقف الكرة بصولجانها ، ويستجره بمكايده حتى وقع في اشطانها ، واسفر اجتماعه به عن خروج الشرذمة السنجارية تحت لوائه والاقتداء في اغوائها باغوائه ، ولما خرج ركض في الارض يمينا

(٥٧) ابن الاثير : رسائل ضياء الدين بن الاثير ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .
(٥٨) يتزقفه : يتلقفه (رسائل ابن الاثير هامش ص ٦٤) .

وشمالا ... واخذ في سفك الدماء ونهب الاموال فلم يأل في الطلب .. وعندما جهز المملوك (بدر الدين) طائفة من العسكر لكف عزبه وتذليل صعبه وايقاع الحرب معه ان أحوج الى حربـــه ، فحين بصر بهم ولى منهزما ودخل حصن تليعفر معتصما .. وادركه المملوك في ثاني يومه فجد في حصاره .. ونصب المنجنيق وهو خصم الحصون الالد الذي لا قبل لها بلدده .. وتسلم الحصن في يوم كذا وكذا وهو اليوم الذي وسم ابن المشطوب على انفه وجرعه غصص ذله التي هي أمر من غصص حتفــه واصير الى كهف السجن الذي رآى فيه رقيم ذنوبه فلا أخلاهُ الله من رقيمه ولا من كهفه » (٥٩) .

وفي سنة ٦٣١ هـ وضع بدر الدين لؤلؤ حدا لحكم آخر ملوك الاسرة الزنكية في الموصل فاعلن وفاة ناصر الدين محمود بن القاهــر عز الدين مسعود (٦٠) ، وذكر بعض المؤرخين ان بدر الدين أمر بقتله (٦١) بعد ان خلا له الجو بوفاة مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل في سنة ٦٣٠ هـ وهو جد ناصر الدين لامه فلم يبق من يخشى منه بدر الدين « فمنع الطعـام والشراب عن ناصر الدين ثلاثة عشر يوما حتى مات كمـدا وجوعـا وعطشا » (٦٢) ، وارسل بدر الدين لؤلؤ الى الخليفة المستنصر يطالـب تقليده حكم الموصل واعمالها وقدم له الهدايا الوافرة ، فاقره الخليفـة على ذلك وارسل الامير بدر الدين سنقرجاه الظاهري الى الموصل ومعه

---

(٥٩) ابن الاثير : رسائل ضياء الدين ص ٦٤ ــ ٦٥ .

(٦٠) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٤٩ ، الذهبي : العبر جـ٥ ص ١٢٣ .

(٦١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٥ ص ٢٥٧ .

(٦٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص ١٣٦ .

خلعة السلطنة لبدر الدين لؤلؤ ولقبه « الملك المسعود » واذن له بذكر اسمه على المنابر ببلده ونقشه على سكة العين والورق [٦٣] .

---

(٦٣) ابن الغوطى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة طبعة بغداد سنة ١٣٥١ هـ ص ٥٢ .

الباب الثاني

القسم الحضاري

الفصل السادس

نظم الحكم والادارة في أتابكية الموصل

(١) نظام الحكم في دولة أتابكة الموصل .

أ ــ الاتابك .

ب ــ نائب الاتابك أو دزدار القلعة .

ج ــ الوزير .

د ــ الحاجب .

(٢) النظام القضائي : قاضي القضاة وقضاء الاقاليم .

(٣) النظام المالي .

أ ــ ديون المال .

ب ــ العملات .

(٤) النظام الحربي .

أ ــ الجيش وتقسيماته .

ب ــ البريد في خدمة الاغراض الحربية .

(١)

نظام الحكم في دولة أتابكة الموصل

تأثرت نظم الحكم عند أتابكة الموصل تأثرا كبيرا بما كان سائدا من هذه النظم عند السلاجقة ، ذلك ان عماد الدين زنكي مؤسس دولة الاتابكة في الموصل طبق التنظيمات الادارية والعسكرية التي كانت معروفة عند السلاجقة ، والتي كان زنكي متأثرا بها كل التأثير بحكم خدمته الطويلة لأمراء السلاجقة الذين تعاقبوا على حكم الموصل منذ ٤٨٩ ــ ٥٢٠ هـ وملازمته لهم ، وكان زنكي آنذاك يقوم ببعض الاعمال الرسمية لولاة الموصل ، كما كان قد اقطع تليعفر القريبة من الموصل[١].

ثم اسندت الى زنكي عدة مناصب ادارية كبيرة ، فتولى شحنكية واسط ثم البصرة ، واخيرا ولاه السلطان محمود شحنكية العراق جميعه[٢] ، ولما آلت اليه امارة الموصل في ٥٢١ هـ نقل النظم الادارية التي كانت سائدة في تلك المدن وطبقها على النظم الادارية والعسكرية في دولته الفتية ، وعلى هذا النحو جاءت نظم الحكم عند الاتابكة مشابهة تشابها واضحا لنظائرها السلجوقية ، فاتخذ الاتابكة الوزراء والحجاب والنواب ، وعينوا أمراء للجيش ، وولاة في المدن التابعة للاتابكية ، بل

---

(١) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي . رسالة ماجستير (جامعة بغداد ١٩٦٥) ص ٢٤ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج١٠ ص ٥ ، ابن الاثير : الباهر ص ٢٤ ، ٢٨ ، ٣١ .

واقتبسوا الالقاب أيضا [٣] .

وسنتناول فيما يلي أهم المناصب المهمة في الدولة الاتابكية والادارات التابعة لها :

(١) الأتابك :

كان الحاكم الاعلى في الاتابكيـة هو (الاتابك) الذي كان يلقب « بالملك » أيضا [٤] وله الاشراف على جميع شئون المملكة أو الاتابكية، ويتمتع بصلاحيات واسعة فهو المسئول الاول عن السياسة الخارجيـة ومن حقه ان يعلن الحرب ويقود الجيوش ، ويعين الولاة والقواد ، فهو لذلك أشبه بالسلطان السلجوقي ، كذلك كان له الحق في نقش اسمه على السكة والدعاء له في الخطبـة الى جانب اسم الخليفـة والسلطان [٥] .

وكان أتابكة الموصل يتولون بانفسهم قيادة جيوشهم الا فيما ندر من الحالات فيعهدون بقيادتها الى النائب الذي كان يقوم بوظيفـة أمير الجيش في الوقت نفسه وكانـوا يستعرضون جيوشهـم ويشرفون على تدريباتها ويهتمون بشئونها [٦] .

وكانوا يقدمون على عزل ولاتهم ونوابهم ، عندما يثبت لهم عـدم كفايتهم ، أو ظلمهم للرعية [٧] .

---

(٣) حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ط مصر ١٩٥٧ ص ٦٤ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٣٠ ، الباهر ص ١٨٠ .
(٥) باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ٤٢،٤٣ .
(٦) ابن الاثير : الباهر ص ٩٣ .
(٧) نفس المصدر : ص ١٤٩ ــ ١٩٩ .

ويعاون الاتابك في ادارة شئون دولته موظفون كان لهم دور كبير في توجيه سياسة البلاد وادارتها ، وفي مقدمة هؤلاء الموظفين نائب الملك أودزدار القلعة والوزير ، وامير الجيش ، والحاجب ، وقاضي القضاة ، وغيرهم من الولاة الذين يتولون الحكم في الاقاليم التابعة للمملكة ،ثم موظفي الدواوين المختلفة .

(٢) نائب الملك اودزدار القلعة :

تعتبر وظيفة نائب الملك او الاتابك في قلعة الموصل أعلى وظيفة في الاتابكية واخطرها ، فكان للقائم بها سلطات واسعة يخولها له أتابك الموصل ، ولذلك كان هذا النائب في كثير من الاحوال الحاكم الفعلي للموصل ، والمرجع الاول في كل الامور ، ونلاحظ ان النائب كثيرا ما كان يجمع بين نيابة المملكة وقيادة الجيش، وفي هذه الحالة يلقب بأمير الجيش كما حدث عند ولاية زين الدين علي بن بكتكين ، الذي كان نائبا وأميرا للجيش في نفس الوقت (٨) ، وبالاضافة الى ما كان يتمتع به من نفوذ في الموصل ، كان بحوزته عدد من القلاع الهامة والمدن، مثل أربل، وسنجار، وحران ، وقلعة الحميدية ، والهكارية ، وشهرزور ، يتولاها نواب من قبله ، وقد سلمها زين الدين علي الى الاتابك قطب الدين مودود عندما غادر الموصل سنة ٥٦٣ هـ (٩) .

وقد استبد بعض هؤلاء النواب بامور الدولة ، واصبح الحكم اليهم في البلاد ولم يبق للاتابك في هذه الحالة سوى الاسم ، وجاء فخر الدين عبد المسيح نائب سيف الدين غازي خلفا لزين الدين على في منصبه ،

---

(٨) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ١٣٩ .

(٩) ابن الاثير : الباهر ص ١٣٥ Setton (ed) vol, I, p. 525

فساءت الامور في عهده (١٠) « فهو الذي يدبر امور سيف الدين غـازي ويحكم في مملكته وليس لسيف الدين من الامر الا اسمه » (١١) ، وعندما استولى نور الدين على الموصل في ٥٦٦ هـ ، اقصى فخر الدين عن قلعة الموصل ، وعين مملوكه سعد الدين كمشتكين نائبا عنه فيها (١٢) .

ومنهم مجاهد الدين قايماز الذي استبد بامور الدولة في عهد نور الدين ارسلان الاول ، وكان الحاكم في دولة نور الدين ارسلان والمرجوع اليه في الامور (١٣) .

على ان اقوى هؤلاء النواب قاطبة واكثرهم استبدادا بامور البلاد هو بدر الدين لؤلؤ ، نائب نور الدين ارسلان الاول الذي تولى هـذا المنصب بعد وفاة مجاهد الدين قايماز في سنة ٥٩٥ هـ (١٤) ، فقد اتيحت له الظروف بعد وفاة صاحب الموصل نور الدين ارسلان في ٦٠٧ هـ ، وعين نائبا لاولاد نور الدين القصر فاصبح الحاكم الفعلي في البلاد ، فقـاد الجيوش ، وعقد المعاهدات ، وعمل على التخلص من ملوك وامراء البيت الاتابكي واحدا بعد الآخر ، الى ان اعلن وفاة آخرهـم ناصر الديـن محمود بن الملك القاهر في سنة ٦٣١ هـ ، فانفرد بحكم الاتابكية ، واستبد بشئونها ، وضرب السكة باسمه (١٥) .

---

(١٠) Seston, (ed), vol. I, p. 525

(١١) ابن الاثير : الباهر ص ١٤٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج ٧ ص ٥٣ .

(١٢) ابن الاثير : الباهر ص ١٥٤ .

(١٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ ص ٤ .

(١٤) ابن الاثير : الباهر ص ١١٣ .

(١٥) ابن الغوطي : الحوادث الجامعة ص ٥٢ .

(٣) الوزيــر :

الوزارة كنظام اداري عرف في العراق منذ عصر الخلافة العباسية التي نقلت الى أداة الحكم كثيرا من النظم الفارسية ، وكان أول من شغل هذا المنصب هو أبا سلمة الخلال وزير ابى العباس السفاح . وقد ظـل نظام الوزارة متبعا في الدولة العباسية حتى سقوطها في ٦٥٦ هـ [١٦] .

وكانت الوزارة اعلى منصب في الدولة السلجوقية ، اذ ان الوزير كان له حق الاشراف على جميع مرافق الدولة وشئونها الادارية ، فضلا عن تقديم المشورة والنصيحة للسلطان ، وعندما يستقر رأي السلطان على شخص يصلح لمنصب الوزارة يستصدر منشورا بذلك يماثل المرسوم في الوقت الحاضر [١٧] .

وكان الوزير يختار من بين الشخصيات المعروفة بالعلم والاخلاق ، والالمام بالقوانين والمعرفة بقواعد الدول ، واوضاع الدواوين [١٨] .

وكان من الطبيعي ان يتخذ الاتابكة الوزراء جريا على عادتهم فـي تطبيق النظم السلجوقية ، ومن ابرز الشخصيات التي شغلت هذا المنصب في الدولة الاتابكية هو الوزير جمال الدين الاصفهاني ، الذي كان لحسن سياسته وتصرفه ، الفضل في احباط مؤامرة ألب ارسلان بعد مصرع عماد الدين زنكي في قلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ ، وقد كافأه سيف الدين غازي الاول على جهوده فاتخذه وزيرا له ، وخوله صلاحيات واسعة ، وقرر له

---

(١٦) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ط مصر ١٩٣٩ ص ١٤٤، عبد المنعم ماجد : الحضارة الاسلامية ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(١٧) حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ١٩٣ .

(١٨) نفس المرجع : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ١٩٣ .

عشر دخل بلاده (١٩) .

ولما تولى قطب الدين مودود اتابكية الموصل بعد وفاة اخيه سيف الدين غازي في ٥٤٤ هـ ، أقر جمال الدين الاصفهاني في الوزارة ، وقد لعب جمال الدين دورا هاما اثناء الازمة الخطيرة التي نشأت بين قطب الدين واخيه نور الدين محمود حول سنجار ، فاليه يرجع الفضل الاعظم في اقرار الصلح بين الاخوين ، وحل الازمة حلا سياسيا ، تقديرا منه للظروف التي تحيط بالدولة الاتابكية حينذاك (٢٠) .

ثم اقدم قطب الدين مودود على سجن وزيره جمال الدين في ٥٥٨ هـ ـ ١١٦٣ م (٢١) ، وقد سببت تنحيةهذا الوزير المحنك عن الوزارة توترا عاما واضطرابا في الموصل ، ولم يستطع القائد زين الدين على كوجك السيطرة على الموقف (٢٢) .

ولم يلبث جمال الدين الاصفهاني أن توفي في ٥٥٩ هـ (٢٣) فخسرت الموصل بفقده ركنا هاما ، فهو الى جانب مآثره العديدة في الموصل وخارجها كان مصلحا ، ومحبا للعمران ، ومشجعا للعلم ، وهو الذي بنى الربط بالموصل وسنجار ونصيبين ، وبنى جسرا عند جزيرة ابن عمر ، وشيد سورا على مدينة الرسول (ص) ، وزخرف الكعبة بالذهب

---

(١٩) ابن الاثير : الباهر ص ٨٢ .

(٢٠) نفس المصدر : ص ٩٦،٩٧، ابو شامة : الروضتين ج ١ ص١٧٣ .
Setten (ed) , vol. I, p. 524.

(٢١) ابن الاثير : الباهر ص ١١٨ ـ ١١٩ .

(٢٢) Setton, (ed). vol I p 524.

(٢٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٢٧ .

والنقرة [٢٤] . وبنى مسجدا بعرفات [٢٥] .

ثم تولى منصب الوزارة في عهد سيف الدين غازي الثاني (٥٦٥ ــ ٥٧٦ هـ) الوزير جلال الدين ابو الحسن على بن جمال الدين الاصفهاني ، وكان على جانب كبير من « المعرفة بقواعد الدول . واوضاع الدواوين ، وتقرير الامور ، واطلاع على دقائق الحسابات . وعلم بصناعة الكتابة الحسابية حيرت العقول » [٢٦] ، الا ان عهد جلال الدين في الوزارة كان قصيرا ، فقد قبض عليه سيف الدين غازي في شعبان من سنة ٥٧٣ هـ. ثم اطلقه من السجن بعد عشرة اشهر بشفاعة كمال الدين بن نيسان وزير صاحب آمد . وتوفي جلال الدين هذا في دنيسر سنة ٥٩٤ هـ [٢٣] .

ولم نجد لاي وزير آخر بعد جلال الدين ذكرا في المصادر العربية [٢٨]. ونعتقد ان ذلك يعود الى ضعف الوزراء من جهة واستبداد نواب الاتابكة وتحكمهم في البلاد من جهة ثانية . لا سيما وان نائب الاتابك لم يكن من مصلحته ان يشاركه وزير في الحكم . ولذلك كان النائب يعمل على الوشاية به ، وتحريض الاتابك على اقصائه عن الحكم . كما حدث ذلك للوزير جمال الدين الاصفهاني وولده من بعده .

---

(٢٤) النقرة : اي الفضة (المعجم في اللغة الفارسية ط مصر ١٩٥٢ ص ٣٢٧) .

(٢٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .

(٢٦) نفس المصدر : ص ١٧٧ .

(٢٧) نفس المصدر : ص ١٧٧ .

(٢٨) ذكر المؤرخ ابن الساعي ان نور الدين ارسلان (٥٨٩ ــ ٦٠٧) عرض على مجد الدين ابن الاثير منصب الوزارة الا ان الاخير آثر الابتعاد عن السياسة وأعتكف بداره مما يؤيد زهد الناس في هذا المنصب بعد استبداد النائب بامور الدولة (ابن الساعي ج ٩ ص ٢٩٩) .

(٤) **الحاجب :**

الحجابة نظام عرف منذ فجر الاسلام وأول من اتخذه من الخلفاء معاوية بن ابي سفيان بعد تآمر الخوارج على قتله وقتل كل من الخليفة علي ابن ابي طالب وعمرو بن العاص . فاتخذوا الحجاب خوفا على حياتهم ومنعا لازدحام العامة على ابوابهم ، وحتى لا ينشغلوا عن مهام الدولة (٢٩).

وقد حذا العباسيون حذو الامويين فاتخذوا الحجاب واسرفوا في منع الناس من لقاء الخليفة الافي الامور الهامة (٣٠) .

ولم تقتصر وظيفة الحاجب على القيام بدور الحارس للخليفة ومنع الناس من الاتصال به ، بل ان بعض هؤلاء الحجاب لهم السيطرة على امور الدولة . والتدخل في شئون الحكم . وزاحموا الوزراء في عملهم . وكان على اصحاب الدواوين ان يرجعوا الى هؤلاء الحجاب في المسائل المتعلقة بدواوينهم . ولا يفصلوا فيها الا بعد الرجوع اليهم (٣١) .

وفي العصر السلجوقي ، كانت الحجابة من الوظائف المهمة والذي يتولى هذه الوظيفة يطلق عليه (الامير الحاجب الكبير) (٣٢) .

---

(٢٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٣٣٠ ط مصر ١٩٦٣. ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥ . حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ١٨٦. ماجد : الحضارة الاسلامية ص ٣٣ .

(٣٠) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٣٦٦ – ٣٦٧ ط مصر ١٩٦٠ .

(٣١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج٣ ص ٣٦٧ . حسين امين : تاريخ العصر السلجوقي ص ١٨٣ .

(٣٢) حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ١٨٣ .

وكانت مهمـــة الحاجب الرئيســـة في العصر السلجوقي ان يكون همزة الوصل بين السلطان والوزير ، فهو وحده الذي يتلقى أوامـــر السلطان الشفهية ويبلغها الى الوزير لتنفيذها (٣٣) .

ويبدو ان من اختصاصات الحاجب أيضا الاتصال بالسلاطين والملوك وعرض وجهات نظر السلطان الذي يقوم الحاجب بخدمته (٣٤) .

وكان من هؤلاء الحجاب في العصر العباسي من تولى قيادة الجيوش ومحاربة أعداء السلطان فعندما خرج حسام الدين صاحب الري على طاعة السلطان ارسلان بن طغرل بن محمد ارسل السلطان حاجبه نصرة الدين بهلوان لقتاله فدارت معركة عنيفة انتصر فيها الحاجب . فاقطعه السلطان ولاية الري تقديرا له (٣٥) .

الا ان منصب الحجابة لم يعد صالحا في خضم المنازعات والمؤامرات التي تعرضت لها الدولة السلجوقية في عصورها المتأخرة . فقد اصبح هذا المنصب مصدر خطر على السلطان نظرا للتنافس الشديد بين الامراء على تلك الوظيفة (٣٦) .

واول من تولى الحجابة في الموصل . هو صلاح الدين الياغيسياني الذي اتخذه زنكي (أميرا حاجبا) في سنـــة ٥٢١ هـ تقديرا للجهود التي بذلها لدى السلطان محمود لتولية زنكي على الموصل (٣٧) . وقد وصفه

---

(٣٣) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٠٧ .
(٣٤) حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ١٨٣ .
(٣٥) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ص ٤٢٣ – ٤٢٥ .
(٣٦) حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ١٨٤ –١٨٥
(٣٧) الفارقي : تاريخ الفارقي المنشور بحاشية ذيل تاريخ دمشق ص ١٧ ، ابن الاثير : الباهر ص ٣٥ .

ابن الاثير بأنه اكبر موظف في دولة زنكي . وكان يرأس ديوان الجند ويشرف على شؤونه . وينظر في الخلافات والمشاكل التي غالبا ما تنشأ بين الجند من جهة ، وبينهم وبين موظفي الديوان من جهة اخرى . وكان أمير الحاجب هذا عرضة للمحاسبة من قبل زنكي . اذا ثبت اهماله لشؤون الجند وخصوصا تأخير رواتبهم [٣٨] . ولعب صلاح الدين دورا هاما في حفظ بلاد زنكي بعد مصرعه ، وقد سار صلاح الدين الى الشام والتحق بخدمة نور الدين محمود في حلب بعد ان استتب الامر لسيف الدين غازي في الموصل [٣٩] .

واتخذ خلفاء زنكي في الموصل الحجاب جريا على عادة السلاطين السلاجقة . لكننا لا نجد لهؤلاء الحجاب أي دور أو نشاط سياسي يذكر واقتصرت مهمتهم على تلقي أوامر الاتابك وتبليغهـا الى المسئولين في الدولة وبالعكس . فقد ذكر ابن الاثير ان والده كلف بالقيام ببعض الاعمال في جزيرة ابن عمر من قبل قطب الدين مودود . وقدر له راتبا مقابل ذلك. فقال ابن الاثير انوالده استكثر الراتب. وظن ان قطبالدين لا يعلم مقداره . فارسل يوضح الامر له مع حاجبه [٤٠] .

والواضح مما ذكره ابن الاثير ان الحجابة استمرت عند الاتابكة الا انها كانت مقصورة على تأدية الاعمال التي تتصل بالوظيفة مباشرة . ولم يكلف الحاجب باي عمل حربي . كقيادة الجيوش . أو عقد الاتفاقات مع الملوك وامراء المدن المجاورة . فقد كان النائب في الموصل هو المهيمن على هذه الامور ، والحاكم الفعلي في البلاد .

---

(٣٨) ابن الاثير : الباهر ص ٨٣ .
(٣٩) ابن الاثير : الباهر ص ٨٤ ـ ٨٥ .
(٤٠) نفس المرجع : الباهر ص ١٤٩ .

(٢)

النظام القضائي

القضاء في الموصل :

كان القضاء في الموصل . يقوم على المذهب الشافعي . وقد أولى الاتابكة اهتمامهم بشؤون القضاء . فجعلوا على رأس هذا الديوان مرجعا أعلى . عرف بقاضي القضاة . ولم يكن هذا المنصب مستحدثا في العصر الاتابكي . بل عرف منذ آوائل العصر العباسي . وأول من تلقب بلقب قاضي القضاة في بغداد هو ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب كتاب الخراج . الذي ولى القضاء في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. وفوض اليه تعيين القضاء في سائر الامصار [١] . ومنصب قاضي القضاة منصب ديني رفيع . لا يتولاه الا من تتوفر فيه الشروط التي تؤهله للقيام بهذه الوظيفة ، وهو ان يكون رجلا بالغا . مسلما ، صحيح التمييز . جيد الفطنة ، بعيدا من السهو والغفلة . وان يكون حرا . عادلا . سليم السمع والبصر ، عالما بالاحكام الشرعية [٢] .

وكان على من تقلد القضاء الا يتقبل هدية من خصم او من أحد من

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج٢ ط مصر ١٩٠٤ ص ٣١٢ ، النكدي : القضاء في الاسلام ط دمشق ١٩٢٢ ص ٢٠ ، حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ٣٣٦ .

(٢) الماوردي: الاحكام السلطانية طبعة مصر ١٩٠٩م ص ٥٣-٥٤ .

أهل عمله اذ ان الهدية تعتبر نوعا من الرشوة • ولم يكن لـه الحق في الحكم لاحد من والديه ولا من اولاده لاجل التهمة . ولا يشهد لهم او عليهم حتى لا ينحاز اليهم بحكم قرابته . كما لم يكن له الحق في ان يشهد لخصم له او عليه [٣] •

ومن أهم الواجبات التي كان يمارسها القاضي الفصل في الخصومات وفرض العقوبات على الذين يخرجون عن الشريعة الاسلامية . ثم الوصاية على اليتامى . والمجانين . والقاصرين . وادارة المؤسسات الدينية . وامامه الناس في صلاة الجمعـة . وتعيين القضـاة في الولايات والمدن التابعـة للدولة [٤] •

وأول من تقلد هذا المنصب في اتابكية الموصل بهاء الدين أبا الحسن علي بن الشهرزوري . فقد جعله زنكي قاضي قضـاة بلاده جميعهـا . وما يفتحه من البلاد ، واصبحت له منزلة رفيعة . ومكانة سامية عنـد عماد الدين زنكي [٥] •

وكان يتولى القضاء في المدن التابعة للموصل نواب لقاضي القضاة يتولى تقلدهم القضـاء في الاقاليـم ، ويكون هو مرجعهم الأعلى في المسائل الدينية •[٦] •

وفي عهد سيف الدين غازي الاول تولى كمـال الدين محمـد

---

(٣) نفس المصدر : الاحكام السلطانية طبعة مصر ١٩٠٩م ص ٦٣ .

(٤) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٥٣ وما بعدها . ماجد : الحضارة الاسلامية ص ٤٧ .

(٥) ابن الاثير : الباهر ص ٣٥ .

(٦) ماجد : الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ص ٤٧ .

الشهرزوري منصب قاضي القضاة في الموصل . الا ان سيف الدين اقدم على اعتقاله هو وأخوه تاج الدين ابو طاهر ووضعهما في قلعة الموصل سنة ٥٤٢ هـ ؛ ثم اطلق سراحهما بعد ذلك . فانتقل كمال الدين الى الشام حيث قام بخدمة نور الدين محمود . وفوض سيف الدين أمر القضاء في الموصل واعمالها بعده الى القاضي نجم الدين ابي علي الحسن بن بهاء الدين الشهرزوري [٧] .

ثم تولى القضاء في عهد عز الدين مسعود القاضي أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري الذي ارتفعت منزلته لدى عز الدين مسعود . واختاره رسولا الى بغداد مرارا وتوفي في سنة ٥٨٦ هـ [٨] .

وكان مجلس الحكم يعقد علنا في أيام محددة . ويتكون عادة من القاضي والشهود العدول والموقعين الذين يكتبون ما يدور في الجلسة . والحجاب الذين يدخلون المتخاصمين ؛ واحيانا من موظف خاص يقوم بتنفيذ ما يصدره القاضي من الاحكام يعرف « بصاحب الشرطة » [٩] .

ويبدو انه كانت في الموصل دار للعدل يجتمع فيها مجلس الحكم الذي يرأسه قاضي القضاة . فقد ذكر المؤرخ ابن الاثير ان نور الدين ارسلان شاه الاول جلس في « دار العدل » للانصاف والاخذ للضعفاء من الاقوياء والاشراف . فحضرت امرأة عمياء ادعت ان بعض المماليك من عمومته ضربها ببندقة كانت سبب عماها . « فأمر نور الدين باحضاره الى

(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٣ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .
(٨) نفس المصدر : وفيات الاعيان ج٣ ص ٣٧٩ .
(٩) ماجد : الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ص ٤٨ .

الحاكم وهو عنده فحضر وساوى خصمه وقيل له الديه أو القصاص. فقام فزعا قد أيس من الحياة . وهو لا يصدق بالنجاة . فأرضى خصمه بسال بذله . وعن القصاص استنزله . فعادت الامرأة وذكرت أنها قد رضيت وعفت عن حقها » (١٠) .

(١٠) ابن الاثير : الباهر ص ٢٠٣ .

(٣)

النظـــام المالــــي

أ ـ ديــوان المــال :

كان للاتابكة عمال في الولايات لجباية الضرائب وارسالها الى بيت المال في الموصل ، وكانت ضريبة الخراج التي تؤخذ على الارض الزراعية من أهم تلك الضرائب وهي تدفع مالا يحـدد كل سنـة على الاراضي المزروعة ، وتتوقف هذه الضريبة على حالة الاراضي وخصوبتها ، وحسب مقدار مساحتها [١] . وكانت الارض تقاس بوحدة قياسية اطلق عليهـا « الجريب » [٢] ، فقد ذكر ابن الاثير ان أباه كان قد فوض اليـه أمر تحصيل هذه الضريبة من جزيرة ابن عمر من اعمال الموصل « فجـاءه كتاب من فخر الدين عبد المسيـح يأمره بمساحـــة جميـع بساتـين العقيمة [٣] . وكانت تؤخذ على كل جريب من الارض التي زرعت شيء معلوم ، وبعضها عليه خراج ولا مساحة عليه ، وبعضها مطلق منهمـا ، فالمسموح منها لا يحصل لاصحابه الا القدر القريب » [٤] .

---

(١) الصايغ: تاريخ الموصل ص٢١٣ ، حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ٢٨٩ .

(٢) الجريب : مقياس للارض يساوي ٣٦٠٠ ذراع مربع (الصايغ : تاريخ الموصل ج١ ص ١٤٧).

(٣) العقيمة : قرية من قرى جزيرة ابن عمر على نهر دجلة كثـيرة البساتين (الباهر ص ١٤٧)

(٤) ابن الاثير : الباهر ص ١٤٧ .

ويبدو ان ضريبة الارض هذه كانت كبيرة في عهد زنكي. مما اضطر بعض الفلاحين الى مغادرة الموصل الى ماردين . فارسل زنكي يطلب اعادة هؤلاء الفلاحين فقيل له : « اننا نحسن الى الفلاحين ونخفف عنهم ونأخذ منهم في القسمة من الغلال العشر » (٥) .

والى جانب ضريبة الخراج التي كانت تؤخـذ على الارض . هناك ضريبة المكوس وتفرض على الصادر والوارد وتشمل المراعي . والمياه . والمصائد ، والبضائـع التي تمر في البـلاد . وعلى جميـع أنواع الصناعات (٦) .

وكانت هذه الاموال تجمع في بيت المال ، وينفق منهـا على شئون الجيش واعمال التحصين ، والمنشآت الدينية كالمساجـد والربط ودور الحديث والمدارس ، وعلى المنشآت المدنية كبناء الجسور والقناطـر والبيمارستانات (أي المستشفيات) (٧) .

ب ـ العملات في العصر الاتابكي :

عرفت العملة الاسلامية منذ عهد الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان الذي أمر بتعريب العملة كجزء من سياسة عامة لتعريب كل اجهزة الدولة

(٥) ابن الاثير : الباهر ص ٧٩ .
(٦) الصايغ : تاريخ الموصل ج١ ص ٢١٣ ، ماجـد : الحضـارة الاسلامية ص ٤١ .
(٧) ماجد : الحضارة الاسلامية ص ٤٢ .
* عولج هذا الموضوع (العملة الاسلامية في العهد الاتابكي) برسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي قدمها السيد محمد باقر الحسيني الى جامعة القاهرة . وقد طبعت الرسالة في بغداد سنة ١٩٦٥ .

الاسلامية [8] .

وظهر أول دينار اسلامي يحمل كتابات عربية خالصة في سنة ٧٧ هـ ٦٩٦م [9] وقد اطلق المسلمون على هذه العملات المتداولة اسم السكة [10] .

واهتم أتابكة الموصل بضرب العملات الخاصة بأقاليمهم منذ عهد عماد الدين زنكي . وسار على هذا النهج خلفاؤه في الموصل . فضربوا العملات الذهبية التي تحمل أسمائهم . ونقشوا على هذه العملات كتابات أما بالخط الكوفي او النسخي . ومنهم من نقش على الدينار استخدمت فيه الكتابة الكوفية . وقد ظهر في نصوص الدينار الكتابة الكوفية التي تزدان حروفها بزخارف هندسية بسيطة ذا نهايات مطورة. كما استخدم الخط الكوفي المورق أي الذي تبدأ حروفه او تنتهي بتوريقات نباتية . والخط الكوفي المزهر الذي تزدان رؤوس الحروف في نقوشه ونهاياتها بزخارف زهرية [11] .

وبالاضافة الى الدنانير الذهبية استعمل الاتابكة عملة أخرى هي الفلوس [12] النحاسية . على أساس انها نقود مساعدة تيسر في مرونة

---

(٨) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢٢١ . ماجد : الحضارة الاسلامية ص ٤٢ .

(٩) باقر الحسيني: العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ١٦ — ١٨ .

(١٠) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٢٨ — ابن خلدون . المقدمة ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(١١) باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ٣٤ — ٤٥ — ٤٦ .

(١٢) اصل هذه التسمية لاتيني من Follis وتدل على عملة نحاسية خفيفة (ماجد : الحضارة الاسلامية ص ٤٣) .

العمليات التجارية وشراء الحاجيات البسيطة . وقد ظهر هـذا النوع من النقود في عهد قطب الدين مودود (٥٤٤ هـ ــ ٥٦٥ هـ) [١٣] .

وينبغي ان نشير الى ان بعض العملات التي عثر عليها في الموصل . كانت تزدان بنقوش تشمل رسوما آدمية . تشبه الى حد كبير الصور التي نشهدها في التحف الخزفية والمعدنية التي وصلت الينا . وهي صور متأثرة الى حد كبير بالطراز الفارسي .

---

(١٣) باقر الحسيني العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص ٩٦ .
كانت هذه العملات تخلو من اسم الخليفة العباسي على عكس العملات الذهبية الذي كان يتمسك بحقه في ضرب اسمه عليها ، بينما تركت حرية التصرف في النقود النحاسية فلم يتقيد حكام الاقاليم بذكر اسم الخليفة او بذكر آية قرآنية عليها (انظر : الحسيني العملة الاسلامية ص ٩٧ ــ ٩٨) .

(٤)

النظـام الحربي

اهتم الاتابكة بالتنظيمات العسكريـة في بلادهم فكونوا الجيوش النظامية القادرة على الدفاع عن حدود دولتهم من جهة ، وللايفاء بالتزام الاتابك عسكريا امام السلطان السلجوقي من جهة أخرى .

وكان عماد الدين زنكي اول مـن اهتم بتأسيس جيش قوي في الموصل . استطاع بواسطته ان يحقق أهدافه في اخضاع الاقاليم المجاورة وأن يحارب الصليبيين في الشام ويسترد الرها . فأنشأ ديوانا للجند .

وكان زنكي يشرف بنفسه على تنظيم هذا الديوان ليقف على امور الجند وتنظيمهم وتوزيع الرواتب والمخصصات عليهم . وجعل زنكي على رأس هذا الديوان رجلا يعرف « بأمير حاجب » [١] . وكان من واجباته « الانصاف بين الامراء والجند تارة بنفسه . وتارة بمشاورة السلطان . وتارة بمراجعة النائب » [٢] كذلك كان من واجب أمير الحاجب « النظر في مخاصمة الاجناد واختلافهم في امور الاقطاعات ونحو ذلك » [٣] .

والى جانب « امير الحاجب » هناك عدد من الموظفين الذين يعملون

---

(١) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ـ رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي ـ بغداد ١٩٦٥ . ص ١٩٢ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج٤ ص ١٩ .

(٣) المقريزي : الخطط ج٢ ص ٢١٩ .

في ادارة ديوان الجند . وكان ارتباطهم بأمير الحاجب مباشرة حيث يكونوا عرضة للمحاسبة فيما اذا قصر تقصير في القيام بواجبهم . وقد ذكر المؤرخ ابن الاثير أنه حدث في بعض السنين أن تأخر صرف رواتب جماعة من جند زنكي — وهم الخراسانية — فاجتمع هؤلاء ووقفوا بحيث يراهم زنكي مجتمعين ، فعلم أنهم يشكون شيئا . فأرسل اليهم وسألهم عن حالهم فذكروه له . فقال لهم : أشكوتم الى الديوان ؟ قالوا : لا . قال : فهل ذكرتم حالكم لصلاح الدين أمير حاجب . قالوا : لا . قال : فلأي شيء أعطى الديوان مائة ألف دينار . واعطى الامير حاجب اكثر من ذلك. اذا كنت أنا أتولى الامور صغيرها وكبيرها . كنتم شكوتم حالكم الى الديوان ، فان أهملوا أمركم كنتم قلتم لصلاح الدين ، فان أهمل أمركم كنتم شكوتم الجميع الي حتى كنت أعاقبهم على اهمالكم (٤) .

ويتضح لنا من النص السابق الذي أورده ابن الاثير ، ان زنكي كان يهتم اهتماما كبيرا بشؤون عسكره ، وانه خصص الأموال الطائلة للديوان ليقوم بتوزيعها على الجند كل ثلاثة أشهر .

أما الاقطاعات فكانت توزع على الامراء والجند ، وكان يؤثر عن زنكي انه كان يقوم بنفسه — في أغلب الاحيان — بتوزيع تلك الاقطاعات التي كانت تترك للفلاحين والاهالي ، مقابل دفع ضريبة سنوية معينة للحكومة والمقطعين . فقد نهى زنكي عن اقتناء الارض (٥) . وكان على الجند الاشراف على شؤون تلك الاقطاعات ، وقد اورد ابن العديم ان

---

(٤) ابن الاثير : الباهر ص ٨٣ .
(٥) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

زنكي لم يكن يسمح للجند بأخذ شيء من منتجات الفلاحين [٦] .

وقد سار خلفاء زنكي على هـذا النهـج فأولوا الجيش اهتمامهم ورعايتهم ، فبلغ من قوة هذا الجش في عهـد سيف الدين غازي الاول . ما أرهب جحافل الصليبيين وارغمهم على رفع الحصار عن دمشق في الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٣ هـ . لما شاهدوه من « كثرة عساكر الموصـل وتتابع الامدادات اليها » [٧] ، وهدد صاحب دمشق الصليبيين بقوله : « قد حضر ملك الشرق ومعه من العساكر ما لا طاقة لكم به » [٨] .

ثم اتيحت لقوات الموصل فرصة أداء واجبها في الجهاد ضد الصليبيين تحت راية نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي من بعده فأظهرت هذه القوات مقدرة فائقة في مختلف المواقع .

وخصص للجيش ميدانا خاصا . يؤدي فيه تمارينه وألعابه . ويشتمل الميدان على مقصورة (جوسق) . يشرف منها الاتابك على العساكـر ويستعرضهم [٩] .

أما عن النظم التي كانت متبعة في تكوين هذا الجيش وتشكيله . فقد اقتبس أتابكة الموصل النظم التي كانت سائدة عند السلاجقـة من تقسيم وتسليح وتكتيك . وكانت هذه النظم السلجوقية على درجة من كبيرة من الكفـاءة والقـــوة « فقد كان الاتراك من بين كل الشعوب الاسيوية هم الذين يخشاهم الفرنج أعظم خشية ، ويكنون لهم أشـد

---

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
(٧) ابن الاثير : الباهر ص ٨٩ .
(٨) نفس المصدر : الباهر ص ٨٩ .
(٩) نفس المصدر : الباهر ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

الاعجاب . وذلك بسبب صفاتهم العسكرية وأساليبهم التكتيكية »[١٠] وفي ذلك يذكر فوللر : « ان الصليبيين رأوا في فرسان الاتراك رماة القوس عدوا رهيبا لان سهامهم التي كانت ضعيفة المفعول ضد الدروع كانت تفتك بخيولهم فتكا ذريعا » [١١] .والى جانب الاترا لكان هناك المقاتلة « الخراسانيون » الذين كانوا يشكلون « قوات الحرس » « ويخدمون في الركاب على حد قول المؤرخ ابن الاثير » . وكانت تصرف على هؤلاء الجامكيات الوافرة[١٢] وكان عليهم مرافقة زنكي حيثما ذهب واشترك هؤلاء الخراسانية في الحروب وتخصصوا في عمليات الحصار . ولعبوا دورا كبيرا في فتح الرها سنة ٥٣٩ ه [١٣] . وكذلك كان الحلبيون يشكلون قوة عسكرية ضمن قوات زنكي ، وقد اشترك هؤلاء في عدة معارك ضد الصليبيين في شمال الشام بقيادة الامير سوار ، وأبلوا بلاءا حسنا في الدفاع عن حلب وبعض المدن الاخرى عند تعرضها لهجوم الامبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كالو جوهانيز (١١١٨ — ١١٤٣ م = ٥١٢ — ٥٣٨ ه) [١٤] .

وبالاضافة الى فرق التركمان والخراسانيين والحلبيين هناك عناصر أخرى اعتمد عليها الاتابكة في الخدمة في الجيش كالبدو والاكراد ، وعلى

R.C. Smail ; Crusading Warfar p. 75. Cambridge 1956 (١٠)

(١١) فوللر : اثر التسلح في التاريخ من حروب القرون الوسطى لنهاية الحرب العالمية الثانية . دار اليقظة القومية دمشق ١٩٥٤ ص ٦٩ .

(١٢) ابن الاثير : الباهر ص ٨٣ (الجامكيات : مفردها جامكية ، وهي رواتب الجند السلوك ، ج١ ص ٥٣ حاشية ٢) .

(١٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩ . عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص ١٩٦— ١٩٧ .

(١٤) ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ ص ٢٦٨/٢٦٤ — عماد الدين خليل : زنكي ص ١٩٩ .

ذلك فان الجيش الاتابكي لم يكن ثابتا من حيث العدد فقد كان عرضة للزيادة والنقصان بما ينضم اليه من العناصر من حين لآخر . وكان عماد الدين زنكي قد فرض التجنيد الاجباري على بعض أهل المدن القريبة من مراكز الصليبيين ومراكزهم (١٥) .

وكانت غالبية الجيش تتكون من الخيالة الرماة الذين يستعملون القوس وهم على ظهور الخيل ، وكانت لهذه الفرقة أهمية كبيرة في القتال وذلك لسرعة حركتها ومرونتها التي تعود لرشاقة الخيل وخفة السلاح الذي يحمله هؤلاء الفرسان والى جانب الخيالة هناك الرجالة الذين يمارسون الحرب على الارض ووجود هؤلاء ضروري في حالات الحصار واقامة المعسكرات والاعمال الحربية الاخرى (١٦) .

وهناك فرق أخرى كان يتألف منها أيضا الجيش الاتابكي . من بينها : الحجارون ، وهم الذين يتولون أعمال التحصين ، وبناء الاسوار. وقطع الصخور ، وحفر الخنادق . وقد شاركت هذه الفرقة في اعمال التحصين التي قام بها صلاح الدين في بيت المقدس (١٧) .

والى جانب الحجارين هناك فصائل من رماة النفط ، وهم الذين شاركوا في حصار عكا مع صلاح الدين (١٨) ، وكانوا يعرفون بالنفاطين، ويلبسون ملابس غير قابلة للاحتراق ، ويقذفون موادا حارقة على

---

(١٥) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص ١٩٩ .

(١٦) Smail : p. 76.

(١٧) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ٧٤ .

(١٨) العماد الكاتب : الفتح القسي ج الفتح القدسي ص ٢٣١ ــ ٢٣٢ .

الاعـداء [١٩] .

اما فيما يتعلق بالاسلحة التي كانت تستخدم لدى الجيش فتتكون من القوس والترس والرمح المصنوع من قناة الغاب ، ذات النصل المغطى بالحديد ، ثم السيف والهراوة [٢٠] . هذا بالاضافة الى آلات الحصار التي كان يستخدمها الجيش في ضرب الاسوار وفتح الثغرات ، وهي المنجنيقات التي تقوم بهدم الحصون بالحجارة الضخمة ، ورمي قدور النفط أو الكرات المشتعلة من النار اليونانية ، ولرمي السهام الى مسافات بعيدة وبقوة خارقة [٢١] .

وكان الجند يلبسون الاقبية التترية [٢٢] وفوقها التكلاوات[٢٣] ، ثم القباء الاسلامي فوق ذلك . وقد أمر سيف الدين غازي الاول جنده ان يشدوا السيف من جهة اليسار والصولق [٢٤] والكزلك [٢٦] من جهة اليمين [٢٦] .

---

(١٩) الاصفهاني : الاغاني ج١٧ ص٢٥ ، ابن خلدون : العبر ج٣ ص ٣٦٠ .

(٢٠) R.C. Smail : p. 77. 78.

(٢١) عبد الرحمن زكي : السلاح في الاسلام ط مصر ١٩٥١ ص ٥٩ .

(٢٢) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب وقيل يلبس فقو الثياب ويتمنطق به والجمع اقبية (الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٧٢).

(٢٣) التكلاوات : غطاء يوضع فوق الرأس (نفس المرجع ص ٧٢)

(٢٤) الصولق : جراب اوكيس يوضع على الجانب الايمن من الحياصة توضع به حاجات السفر من الزاد . (نفس المرجع : ص ٧٢) .

(٢٥) الكزلك : الخنجر أو السكين (نفس المرجع : ص ٧٢) .

(٢٦) الديوه جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٧٢ .

ب ـ البريد في خدمة الاغراض الحربية :

أولى الملوك الاتابكة في الموصل عنايتهم واهتمامهم بشئون البريد، فأعدوا لذلك كل ما يتطلبه هذا النظام والنهوض به كالخيول والرجال والعدائين والحمام الزاجل . وذكر القلقشندي اهتمام الاتابكة بالبريد فقال : « فلما جاءت الدولة الزنكية أقامت لذلك النجابة وأعدت لهـا النجب المنتخبة ودام ذلك مدة زمانها ، ثم زمان بني أيوب الى انقراض دولتهم [٢٧] » .

وأول من اهتم بشئون البريد هو عماد الدين زنكي مؤسس دولة الاتابكة في الموصل ، الذي رآى ضرورة اتصاله الدائم والمامه السريـع باخبار أمراء المدن المجاورة . الذين دخل معهم زنكي في صراع طيلة مدة حكمه ، فاهتم بالوقوف على حركاتهم وسكناتهم . ووجه اهتماما خاصا لكشف اخبار السلطان وأحواله ، وما يدور في بلاطه . خشية القيـام بمؤامرة تهدف عزله عن الاتابكية . فكان زنكي ينفق الاموال بسخاءعلى شئون البريد والقائمين عليه . وفي ذلك يقول ابن الاثير : « فمن ارائـه الصائبة انه كان شديد العناية باخبار الاطراف وما يجري لاصحابها حتى في خلواتهم ، ولا سيما دركاه [٢٨] السلطان . وكان يخسر على ذلكالمال الجزيل ، وكان يطالع ويكتب اليه بكل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم وهزل وجد وغير ذلك ، فكان يصل اليـــه كل يوم من عيونه عدة قاصدين [٢٩] » .

(٢٧) القلقشندي : صبح الاعشى ج١٤ ص ٣٧ .

(٢٨) دركاه : لفظ فارسي يعني سراي الملك . (محمد موسى هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية ص ١٥١) .

(٢٩) ابن الاثير : الباهر ص ٨٧ .

واهتم خلفاء زنكي بشئون البريد وأولوه عنايتهم ، فاشتهرت الموصل بتربية الحمام الزاجل الذي يستخدم في نقل البريد المستعجل . وبذلوا عناية خاصة في تربيته وتدريبه ، وقد نقل نور الدين محمود هذا النوع من الحمام واستخدمه في نقل الاخبار ليقف على حركات الصليبيين في الشام ، فذكر القلقشندي : « ان اول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل الشهيد نور الدين زنكي صاحب الشام » [٣٠].

---

(٣٠) القلقشندي : صبح الاعشى ج١٢ ص ٣٩٠ .

الفصل السابع

(١) تخطيط المدينـــة

أ ــ الارباض

ب ــ المحـــلات

ج ــ الاحيـــاء

د ــ الميـــدان

هـ ــ دور المملكـــة

و ــ الشوارع

(٢) المنشـــآت

أ ــ المساجـــد

ب ــ الربط ودور الحديـــث

ج ــ القلاع والاســـوار

(٣) الحياة الاجتماعية في الموصل

أ ــ طبقات السكـــان

ب ــ الطوائف الدينيـــة

ج ــ مظاهر الاحتفالات

(١)

تخطيط المدينـة

الموصل قبل العهد الاتابكي :

كانت الموصل قبيل العهد الاتابكي تكاد تكون خالية من العمران. فقد أصاب الخراب جسيع معالمها ، وساد الخمول معاهدها ، وتدهـور اقتصادها ، وكان سبب هذا الانحطاط والتدهور الذي أصاب الموصل يعود الى ادارة الامراء السلاجقة الذين تولوا حكم هذه المدينة . فقـد كان هؤلاء الامراء في تنازع وتناحر مستمرين، فلم تنعم الموصل بالاستقرار بسبب ذلك ، بالاضافة الى مجاورتهم للفرنج • وفي ذلك يقول ابن الاثير: « كانت البلاد ، قبل ان يملكها (عماد الدين زنكي) خرابا من الظلـم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج » [(١)] ، ولم تحظ الموصـل من الامـراء السلاجقة ومن سبقهم باي اهتمام ، سواء فيما يختص بالناحية العمرانية او العلمية او الاقتصادية ، فتقلصت رقعتها بعد ان هجرها سكانها الى البلاد الاخرى . وشملها الخراب وقد وصف المؤرخ ابن الاثير حالـة الموصل في ابتداء حكم الاتابكة نقلا عن والده فقـال : (رأيت الموصل التي هي ام البلاد في أول أيام الشهيد * واكثرها خراب ، فكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة والى دور السلطنة ، وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركماني وهو قريب من الطبالين ، وكان الجامع العتيـق

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١١١ .

* المقصود بالشهيد هنا هو عماد الد ن زنكي مؤسس الاتابكية .

أيضا بلا عمارة البتة . وكانت جميع المحال المجاورة للسور من سائر جهاته غير معمورة . وكان أدنى العمارة من السور ما يكون رمية حجر. وكان الناس لا يقدرون على المشي الى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة) [٢] .

ثم بدأت الموصل تنهض من عثرتها تدريجيا وتأخذ مكانها بين المدن الاسلامية . منذ ان وطد الاتابكة حكمهم بها ، فتألقت تألقا كبيرا أبان الحكم الاتابكي . في الربع الثاني من القرن السادس الهجري ، فقد أولاها هؤلاء الاتابكة اهتمامهم ورعايتهم في مختلف النواحي العمرانية والعلمية والاقتصادية . فازدهرت وأصبحت من أمهات المدن الاسلامية في العصر الوسيط . وقصدها الناس وانتجعوها من مختلف الجهات ، واتخذوها مسكنا لهم للامان والاستقرار اللذان توفرا في ظل الحكم الاتابكي ، وفي ذلك يقول ابن الاثير : « لما ملكها عماد الدين حمى البلاد ومنع المفسدين وكف أيدي الاقوياء ، سارت سيرته في البلاد ، فقصده الناس واتخذوا بلاده دارا ، فانه من اكرم ارتبط . فلم تزل العمارة تكثر في الموصل وغيرها ، حتى لقد ذهب كثيرا من المقابر وبنيت دورا [٣] » .

وهكذا نمت الموصل وازدهرت في العهد الاتابكي بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه المدينة، وشمل ذلك النمو جميع مناحي الحياة ادبية ومادية ، واصبحت مدينة عامرة بالسكان رائجة التجارة كثيرة المرافق ، ونشطت بها في هذا العصر حركة البناء والتعمير ، فشيدت

---

(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٧٧ ،
(٣) ابن الاثير : الباهر ص ٧٧ .

المدارس والمساجد ودور الحديث والرباطات ، ونشطت التجارة ، ونمت الزراعة ، وتقدمت الصناعة .

تخطيط المدينـــة :

أ ـ الاربـــاض : أدى ازدياد عدد السكان في مدينة الموصل الى خروج الناس الى الارباض بعد ان ضاق بهم البلد فعمروها ، وصار بعض ارباضها يضاهي المدنية الكبيرة نفسها في العمران [٤] .

وأشهر تلك الارباض المحيطة بالموصـــل ربضان : الربض الاعلى ، والربض الاسفل .

الربض الاعلى : يقع هذا الربض شمالي الموصل خارج السور الذي بنـــاه الاتابكيون ، ويمتـــد من بـــاب سنجار غربا الى ساحـــل دجلة شرقا ، ويمتاز برقة هوائه وجمال موقعـــه الذي يشرف على دجلة وما يحيط بها من الغابات والبساتين ، وكان في هـــذا الربض قصور الامراء والولاة وأرباب الحكم [٥] وقد أمر عماد الدين زنكي بفتـــح الباب العمادي الذي كان يصل المدينة بالربض الاعلى [٦] .

الربض الاسفل : وهو اكبر الارباض وأحسنها عمارة ، فقد شيدت فيه المدارس والمساجد والاسواق والحمامات والخانات ، وقد أنشـــأ مجاهد الدين قايماز بهذا الربض مدرسة ومسجـــدا وبيمارستانا ، وبني

---

(٤) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٠ .
(٥) نفس المصدر : الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٠ ـ ١١١ .
(٦) ابن الاثير : الباهر ص ٧٨ .

مسجدا يصل بينه وبين ساحل دجلة الايسر [٧] .

وقد وصف الرحالة ابن بطوطة هذا الربض فقال :

« وللموصل ربض كبير فيه الجوامع والحمامات والفنادق والاسواق. وبه مسجد جامع على شط دجلة » [٨] .

ب ـ المحلات : امتازت الموصل بفخامة أبنيتها وجمال هندستها وزخرفتها وتنسيق شوارعها وحدائقها ، فاشتهرت محلاتها واحيائها . وأصبحت مضرب الامثال ، ومن أشهر تلك المحال : محلة سوق التركمان. ومحلة درب دراج ، ومحلة المربعة (جهار سوك) [٩] ، ثم محلة سوق الاربعاء التي كان بداخلها فضاء واسع وعلى كل ركن فندق [١٠] .

ج ـ الاحياء : كانت أهم تلك الاحياء : حي الحديثين ، وحي التغالبة ، وحي خزرج ، وحي الجصاصة الذي كان يشتمل على شارعين: هما درب الجصاصة ودرب الجصاصين ، ثم حي التكارتة [١١] وحي

---

(٧) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ص ٤٥٨ ج٨ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج٩ ص٨ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٦ ص ١٤٤ . (E. HONIGMANN)
The Encyclopaedia of Islam, vol. III. Mousil, p. 609 - 611.

(٨) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ١٤٨ ط مصر ١٩٥٨ .

(٩) سوك : لفظ فارسي يعني اربع جهات وهي في الاصل شهارسوج ياقوت الحموي .

(١٠) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٣٨ .

(١١) التكارتة : هم المسيحيون الذين هاجروا من تكريت الى الموصل في القرن ، الرابع والسادس الهجريين : الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٤ ــ ١١٥ .

الطبالين [١٢] .

د ـ **الميدان** : يقع الميدان في المنطقة المحصورة ما بين السور العقيلي، والسور الاتابكي ، والميدان عبارة عن أرض واسعة خالية من العمارة ، وقد اتخذه الاتابكة ميدانا للجيش يعرض فيه ألعابه وتدريباته. وكان يوسط هذا الميدان كشك (جوسق) ، ويشتمل على غرف يشرف منها الاتابك على اعداد العساكر وتهيئتها للقتال ، فقد ذكر ابن الاثير ان عز الدين مسعود لما عاد بعساكره من حصار جزيرة ابن عمر سنة ٥٨٧ هـ ، دخل الموصل ونزل بالغرفة في الكشك الذي بالميدان [١٣] .

وكان في الميدان شارع واسع يمتد بموازاة السور العقيلي من أعلى البلد الى أسفله ، ويفصل دور المملكة والقلعة عن البلد ، وفي شرقي الميدان تقع دور المملكة والقلعة الاتابكية ، وفيه بعض المدارس والترب التي بناها الاتابكة [١٤] .

هـ ـ دور المملكة : وهي الدور التي اتخذها أمراء الموصل ورجال دولتهم المقربين سكنا لهم ، وكانت تقع على نهر دجلة بالقرب من القلعة وفي مواجهة الميدان . ولا تزال آثار هذه الدور قائمة حتى الآن وتعرف باسم (قرة سراى) [١٥] .

---

(١٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٣٨ ، الدوجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٤ ـ ١١٥ .
(١٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .
(١٤) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٤ ـ ١١٧ .
(١٥) الصائغ : تاريخ الموصل ج١ ص ٢١٨ ، الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٧ .

وكان أول من أنشأ دارا للامارة في هذا الموقع على دجلة هم الحمدانيون ، ثم تبعهم بنو عقيل الذين شيدوا دورهم في نفس الموقع . ثم جاء بعدهم السلاجقة وساروا على هذا النهج وشيدوا دارا للسلطنة ، وهي الدار التي نزلها عماد الدين زنكي مؤسس دولة الاتابكة . ثم اذن زنكي للامير ناصر الدين كوري بن جكرمش ان يبني دارا له بالقرب من دور المملكة ليكون قريبا من خدمته . وفي ذلك يقول ابن الاثير : « فبنى ناصر الدين داره الاولى وهي اليوم مدرسة وقفتها ام الملك الصالح ، ثم بني بعد ذلك داره الاخرى أقرب الى دار المملكة »[١٦] .

ثم أمر عماد الدين ببناء دور المملكة اذ لم يكن في الموصل غير دار الملك التي تقابل الميدان[١٧] ، واعتنى زنكي بزخرفة هذه الدور ونقوشها الجصية ، وزين سقوفها بالذهب[١٨] .

ولم تكن دور زنكي تقل في مظاهر الفخامة والابهـــة عن دور الخلفاء ، والسلاطين ، وقد سار خلفاء زنكي في الموصل على هذا النهج ، فشيدوا لهم دورا تجاور هذه الدور ، فاتسعت دور الموصل وامتدت من القلعة الى باب المشرعة ، وقد تبقت من هــذه الدور في الموصــل آثار قاعتين متجاورتين تقابلان الغرب ، تتألف كل منهما من طبقتين تنفتح فيها النوافذ التي تطل على نهر دجلة[١٩] ، وكانت تؤلف في الاصل أيوانـــا مكشوفا ، وتزدان القاعة فيما خلا النقوش الكتابية والزخارف الجصية

---

(١٦) ابن الاثير : الباهر ص ٧٧ .
(١٧) نفس المصدر : الباهر ص ٧٧ .
(١٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٦ . الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٧ .
(١٩) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١١٧ .

بصفوف من التماثيل النصفية [٢٠] .

و ـ الشوارع (الدروب) :

كانت تخترق مدينة الموصل شبكة من الدروب والشوارع التي تربط بين احياء الموصل وارباضها ، ومن أهم الطرق التي كانت معروفة آنذاك كما أوردها المقدسي في أحسن التقاسيم هي : درب دير الاعلى . ودرب باصلوت، ودرب الجصاصين، ودرب بني ميدة، ودرب الجصاصة، ودرب أمير المؤمنين ، ثم درب الدباغين . ودرب جميل [٢١] . والى جانب هذه الشبكة من الشوارع او الدروب كما كان يطلق عليها ذكر بعض المؤرخين طرقا أخرى منها : سكة أبي نجيح . وهي من دروب الموصل القديمة ، وكان يسكنها الطبيب : مهذب الدين بن هبل المتوفي في سنة ٦١٠ هـ [٢٢] ، وكانت دار الحديث المهاجرية تقع في السكة المذكورة . ثم درب ايليا الطبيب . وقد ورد ذكر هذا الشارع عند مقتل آق سنقر البرسقي في ذي القعدة من سنة ٥٢٠ هـ [٢٣] ، ثم درب رمي أمير المؤمنين « وهو من الشوارع التي تؤدي الى الدير الاعلى ، ويمر بالميدان أمام دور المملكة ، ولم يزل هذا الشارع من شوارع المدينة الرئيسية [٢٤] .

---

(٢٠) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص ٦٨ .

(٢١) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٣٨ .

(٢٢) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ج١ ص ٣٠٤ ط مصر ١٨٨٢ .

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ج٨ ص ٣٢٠ مطبعة الاستقامة في القاهرة .

(٢٤) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٢٧ .

(٢)

المنشـآت الدينيـة

ـ المساجد :

الجامع الاموي : هو أول جامع أسس في الموصل في صدر الاسلام، فقد كانت خطة المسلمين في اول عهدهم بالفتوحات ان يؤسسوا جامعا في كل مدينة يتم لهم فتحها [٢٥] ، وعلى هذا الاساس فان هذا الجامع الذي عرف فيما بعد بالجامع الاموي هو اول مسجد جامع بني في الموصل في خلافة عمر بن الخطاب (رض) ، « وكان قد ولى على الموصل هرثمة بن عرفجة البارقي ، فانزل العرب منازلهـم واختط لهم ، ثم بنى المسجـد الجامع » [٢٦] .

ولما تولى مروان بن محمد الموصل ، هدم الجامع وامر باعادة بنائه ووسعه ، وبنى فيه مقصورة ومئذنة ، فعرف بالجامع الاموي [٢٧] .

وكان الجامع الاموي في عهد السلاجقة قد ساءت حالتـه . اذ اصابه الخراب وتداعى بنيانه ، فترك الناس الصلاة فيه الا يوم الجمعة ،

---

(٢٥) عبد العزيز سالم : التخطيط ومظاهـر العمران في العصور الاسلامية الوسطى المجلة ، عدد ٩ ، ١٩٥٧ ص ٥٤ ـ ٦٣ .
(٢٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٣١ ط ليدن .
(٢٧) محمد فريد وجدي : دائرة المعارف الاسلامية ج ٩ ص ٥١٦ . الديوهجي : جوامع الموصل ص ٦ .

وقد وصف ابن الاثير حالة الجامع قبل العهد الاتابكي فقال : « وكان الجامع العتيق ايضا بلا عمارة البتة »[٢٨] . وقد اهتم الاتابكة بعمارة المسجد الجامع ، ففي عهد سيف الدين غازي الاول (٥٤١ ـ ٥٤٤ هـ) جدد بنائه وتزيينه وزخرفته سنة ٥٤٣ هـ ، فجاء محرابه مزينا بالزخارف النباتية والكتابات العربية المتشابكة[٢٩] .

وأقيم للجامع الاموي في العصر الاتابكي نافورة في وسط الصحن. وصفها ابن جبير عند زيارته للموصل في سنة ٥٨٠ فقال : « وفي صحن هذا الجامع قبة بداخلها سارية رخام قائمة قد خلخل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها . وفي أعلاها خصة[٣٠] رخام مثمنة ، يخرج عليها آنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة فيرتفع في الهواء أزيد من القامة ، كأنه قضيب من البلور معتدل ، ثم ينعكس الى أسفل القبة »[٣١] . وقد ظل الجامع الاموي بالموصل في طليعة القرن السابع للهجرة من الجوامع الكبرى . فقد وصفه الهروي بقوله : (وجامعها العتيق لا يخلو من الابدال ومن ولى لله يقيم به . وذكر جماعة من المسافرين انه ليس في بلاد الاسلام جامع اكبر منه)[٣٢] .

والجامع في الوقت الحاضر صغير تقام فيه الجمعة ، وقد اتخذ قسم

---

(٢٨) ابن الاثير : الباهر ص ٧٧ (عرف الجامع الاموي بالجامع العتيق تميزا له عن الجامع الذي بناه نور الدين محمود سنة ٥٦٦ هـ) .
(٢٩) ديماند : الفنون الاسلامية ص ١٠٠ .
(٣٠) خصة رخام : حوض من الرخام .
(٣١) ابن جبير : الرحلة ص ٢١١ .
(٣٢) الهروى : كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات ط دمشق ١٩٥٣، ص ١٠٧.

كبير من فنائه مقابر عامة تسمى مقبرة الصحراء . وكانت تعرف بمقبرة الجامع العتيق [٣٣] . ومن أجمل ما وصلنا من آثار هذا الجامع المحراب الذي تعود صناعته الى سنة ٥٤٣ هـ ـ ١١٤٨ م ، وهو من صنع مصطفى البغدادي [٣٤] .

٢ ـ الجامع النوري :

ينسب الجامع النوري الى مؤسسه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي الذي أمر ببنائه عند دخوله الموصل في جمادي الاولى سنة ٥٦٦ هـ ، وقد اختار نور الدين موضع الجامع بنفسه ، وعهد الى أحد شيوخه بالاشراف على بنائه والانفاق عليه، وركب نور الدين الى موضعه فرآه ، وصعد منارة مسجد ابي حاضر [٣٥] فاشرف عليه منها على موضع الجامع ، فأمر ان يضاف الى الارض التي شاهدها ما يجاورها من الدور والحوانيت ، وان لا يؤخذ منها شيء بغير اختيار اصحابه . وولى الشيخ عمر الملا عمارته ، وكان من الصالحين الاخيار ، فاشترى الاملاك من أصحابها بأوفر الاثمان ، وعمره فاخرج عليه أموالا كثيرة ، وفرغ من عمارته سنة ثمان وستين وخمسمائة [٣٦] ، وكان مقدار ما أنفقه نور الدين

---

(٣٣) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٢٩ .

(٣٤) ديماند : الفنون الاسلامية ص ١٠٠ .

(ذكر الاستاذ الديوهجي ان صانع المحراب هو صنقر البغدادي ، انظر : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٢٩) .

(٣٥) مسجد ابي حاضر أو مسجد الشالجي من المساجد الصغيرة في الموصل انشيء في العصر العباسي ، ويقع شرقي الجامع النوري ، ويبعد عنه بما يقرب من ٢٠٠ متر (سعيد الدوهجي : جوامع الموصل ص ٥٠) .

(٣٦) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٣٦٤ ، ابن الاثير الحلبي : عبرة اولى الابصار ج٢ ص ١١٣ مخطوط رقم ٤٤٣ (ذكر ابو شامة انه فرغ من بناء

على بناء مسجده في الموصل مبلغ ستين الف دينار أعطاها الشيخ عمر الملا الذي أشرف على عمارته [٣٧] .

واوقف نور الدين اوقافا كثيرة لصيانته والانفاق على من يقوم بخدمته ، واوقف عليه ضيعة من ضياع الموصل ، وولى التدريس فيه للفقيه أبي بكر البرقاني ، وكتب له منشورا بذلك [٣٨] .

ولما زار نور الدين الموصل في سنة ٥٦٨ هـ صلى في الجامع النوري ، « وتصدق بمال عظيم ورتب فيه الخطيب والمؤذنين والحصر والبسط وغيرها » [٣٩] .

وقد جاء هذا الجامع آية في الفن الاسلامي . فقد زين بالزخارف والكتابات ، كان بعضها في الرخام المطعم وبعضها في الجص ، ولم يزل بعضها باقيا الى اليوم [٤٠] . وقد وصف ابو شامة الجامع فقال : « اليه النهاية في الحسن والابداع » [٤١] . ووصفه الرحالة ابن بطوطة فذكر قبة في داخلها خصة رخام مثمنة مرتفعة على سارية رخام يخرج منها الماء

هذا الجامع سنة ٥٧٣ هـ وهذا خطأ من ابي شامة اذ أن نور الدين زار الموصل في ٥٦٨ هـ وصلى في الجامع المذكور وعين له المدرسين والمؤذنين . كما ذكر ذلك سبط ابن الجوزي ج٨ ص ٢٨٢ وابي المحاسن في النجوم الزاهرة في ج٦ ص ٦٧ والذهبي في العبر ج٤ ص ٢٠٢ حوادث ٥٦٨ هـ) .

(٣٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٨٢ .

(٣٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج٢ ص ١٢٩ ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٦٣ .

(٣٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٨٢ ، الذهبي : العبر ج٤ ص ٢٠٢ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٦ ص ٦٧ .

(٤٠) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٤١) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٩٣ — ٦٩٤ .

بقوة وانزعـــاج فيرتفع مقـــدار القامة ثم ينعكس فيكون لــه مرآى حسن [٤٢] .

ولا يزال هذا الجامع باقيا حتى اليوم ، ويمتاز بمئذنته المائلة الــى الشرق وهي من اطول المآذن في العراق ، اذ يبلغ طولها نحو ٦٠ مترا . وهي مزينة بزخارف آجرية جميلة ولها طريقان يؤديان الى اعلاها احدهما من الارض ، والثاني من القسم المنشوري ، والطريقان لا يلتقيان داخــل المإذنة وكلاهما يؤدي الى اعلاها [٤٣] . والمإذنة مشيدة بالآجر وتتألف من قاعدة مكعبة وبدن اسطواني ينتهي بقمة تشبه الخوذة [٤٤] .

٣ ـ الجامـــع المجاهدي :

ينسب الجامع المجاهدي الى ابي منصور قايماز بن عبدالله الزيني الملقب بمجاهد الدين ، الذي تولى دزدارية قلعة الموصل في ذي الحجة من

---

(٤٢) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٤٨ ج١ .

يلاحظ ان هذا الوصف الذي اورده ابن بطوطة ينطبق على ما اورده الرحالة ابن جبير في وصفهللجامع العتيق . ونحن نرجح ان الوصف الذي اورده بن بطوطة في الجامع النوري هو الاصح فالنص فيه واضح . فيقول ابن بطوطة : (وبداخل المدينة جامعان احدهما قديم والآخــر حديث وفي صحن الحديث منهما قبة في داخلها خص رخام ...) اما ابن جبير فالنص الذي اورده مشكوك فيه لعدم وضوحه فذكر : وللمدينة جامعان احدهما جديد والاخر من عهد بني امية وفي صحن هذا الجامع قبة بداخلها سارية رخام ..) ص ٢١١ ونعتقد ان الوصف هنا يعود الى الجامع النوري حسب ما ورد في رحلة ابن بطوطة .

(٤٣) الديوهجي : جوامع الموصل ص ٤٢ ومايليها .

(٤٤) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص ٦٤ .

سنة ٥٧١ هـ [٤٥] .

وقد عرف عن مجاهد الدين حبه للعلم والعمران ، فكانت له آثار حسنة في الموصل واربل . ومن تلك الاثار الجامع المجاهدي الذي شرع في عمارته سنة ٥٧٢ هـ في ظاهر الموصل بباب الجسر ، فكان من احسن الجوامع [٤٦] ، واوقف عليه مجاهد الدين قايماز وقوفا حسنة متوفرة الحاصل للايفاق على خدمة مسجده [٤٧] .

ويقع الجامع جنوبي الموصل على شط دجلة ، وكان يعرف باسم جامع الربض لانه كان يقع في الربض الاسفل [٤٨] .

وقد استمر العمل في بناء الجامع مدة خمسة سنوات . واستخدم في بنائه امهر البنائين والفنانين وانفق عليه مبالغ كبيرة . ويستدل من التاريخ المنقوش عليه ان الانتهاء من بناءه كان في سنة ٥٧٦ هـ [٤٩] .

وذكره ابن جبير عند كلامه عن الربض الكبير (الاسفل) فقال : « واحدث فيه بعض امراء البلدة وكان يعرف بمجاهد الدين جامعا على شط دجلة ، ما ارى وضع جامع احفل منه . بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه ، وكل ذلك نقش في الآجر ، واما مقصورته فتذكر بمقاصير

---

(٤٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٧٧ .

(٤٦) نفس المصدر : الكامل ج١١ ص ٤٦١ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٣٨ ، ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٩٣ – ٦٩٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٠٣ .

(٤٧) ابن الساعي : الجامع المختصر ج٩ ص ٨ ط بغداد ١٩٣٤ م

(٤٨) الديوهجي : جوامع الموصل ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤٩) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٣٢ .

الجنة . ويطيف به شبابيك حديد تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد اشرف منها ولا أحسن » (٥٠) .

وقبة الجامع مبنية بالآجر ، اما باطنها فكان مزينا بكتابات وزخارف مختلفة ، وكلها بالجبس ومكتوبا حولها ايات من القرآن الكريم بعضها بالخط الكوفي وبعضها بالخط النسخي ، الا ان الترميسات التي اجريت على القبة طمست معالم ما كان منقوشا من كتابات وزخارف ، والقبة لا تزال باقية حتى يومنا هذا في حالة جيدة ، وكذلك المحراب الذي تبدو في أعلاه زخارف محفورة في الجص فريدة في بابها ، وتتألف من توريقات نباتية قوامها كيزان الصنوبر ومراوح النخيل ، تلتف حولها الغصون . وتتخللها صور حيوانات كالاسد والغزال . وطيور اليفة كالبط والحمام متداخلة تداخلا كليا مع غيرها من الزخارف بصورة متناظرة ، بحيث تكون الصور متسقة للزخارف النباتية . والجامع في الوقت الحاضر اقـــل في المساحة مما كان عليه في العهد الاتابكي ، ويسمى جامع الخضر او الجامع الاحمر ، وتقام به صلاة الجمعة (٥١) .

ب ـ الرباطات ودور الحديث :

الرباط من المرابطة اي ملازمة الثغور للجهاد حيث ترابط خيـــل المجاهدين من قوله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٥٢) فالرباط في الاصل هو المكان

---

(٥٠) ابن جبير : الرحلة ص ٢١٠ .
(٥١) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٢١٢ ـ ١٣٣ . ديماند : القنون الاسلامية ص ١٠١ .
(٥٢) سورة الانفال آية ٦٠ .

الذي تجتمع فيه الخيل استعدادا لقتال العدو ، وترتبط الكلمة بواجبات الجهاد وحينئذ يقصد بالرباط ارتباط الخيل بازاء العدو في الثغور ؛ ومنها جاء تعريف مرابط اي ملازم لثغر العدو وآخذا بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اصبروا . وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون [٥٣] » والرباط هو بناء يجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين استعدادا للجهاد في سبيل الله ضد اعداء الدين . فهو يجمع بين الصفتين الدينية والحربية [٥٤] .

وعلى ذلك فالرباطات بالنسبة للزهاد هي زوايا لاداء الشعائر الدينية دون الجمعة ، حيث لا يوجد في الرباطات منبر ولا منارة . وقد الحقت بهذه الربط مساكن للفقراء المنقطعين . ومنها ما خصص للنساء [٥٥] .

ويتألف بناء هذه الرباطات عادة من سور حصين يضم في داخله غرف لايواء الفقراء والنساك ، وفي بعض الاحيان مخازن للاسلحة والمؤن . وبرج للمراقبة والانذار باقتراب العدو وقت الخطر [٥٦] .

الرباطات في العهد الاتابكي : كان سيف الدين غازي الاول (٥٤١ ـ ٥٤٤ هـ) أول من انشأ رباطا للصوفية في الموصل واوقف عليه الاوقات الكثيرة لتفي باحتياجاته [٥٧] . ولم يقتصر بناء الربط على الملوك الاتابكة

---

(٥٣) سورة آل عمران آية ٢٠٠ .

(٥٤) سالم : المغرب الكبير ج٢ ص ٦٩٣ ـ ٦٩٤ ط مصر ١٩٦٦ .

(٥٥) حسن عبد الوهاب : بيوت الله مساجد ومعاهد ص ٦ (كتاب الشعب ٧٥) .

(٥٦) The Encyclopaedia of Islam. Art. Ribat.

(٥٧) ابن الاثير : الباهر ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٢٧ ، العيني : عقد الجمان ج٢١/١ ص ١٩٢ .

فحسب . بل سار على هذا النهج امراؤهم . ووزراؤهم . فاسسوا الربط في الموصل وغيرها . من هذه الرباطات الرباط الزيني الذي بناه زين الدين على بن بكتكين المتوفي سنة ٥٦٣ هـ (٥٨) . ثم بنى الوزير جمال الدين الشهرزوري الربط في الموصل وسنجار ونصيبين . وعرف رباطه الذي بناه في الموصل بالرباط الشهرزوري (٥٩) . واسس مجاهد الدين قايماز رباطا في الربض الاسفل الى جانب المدرسة والمارستان اللذان اسسهما هناك . واوقف عليها الوقوف الكثيرة (٦٠) .

وبالموصل رباطان آخران ينسبان الى ابناء الاثير، احدهما الرباط المعروف برباط دراج ومؤسسه مجد الدين بن الاثير ، وكان هذا الرباط دارا له فاتخذه رباطا ودفن فيه في سنة ٦٠٦ هـ (٦١) ، اما الرباط الآخر فينسب الى المؤرخ عزالدين بن الاثير . ويعرف « برباط قصر حرب » (٦٢) واسس ابو عبدالله الحسيني قضيب البان بن ابي ربيعة المتوفي في سنة ٥٧٣ الرباط المعروف باسمه في الموصل خارج باب سنجار (٦٣) .

والى جانب المساجد والرباطات ، هناك منشآت دينية اخرى في الموصل عرفت بدور الحديث ، وهي مراكز لدراسة اقوال الرسول (ص) وافعاله ، وكل ما يتصل بالحديث من حيث الرواية والاسناد ، وأهم هذه

---

(٥٨) نفس المصدر : الباهر ص ١٣٦ .

(٥٩) نفس المصدر : الباهر ص ١٢٩ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٤٨ — ٤٩ العيني : عقد الجمان ج٢/٢١ ص ٣٧٢ .

(٦٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٣٨ ، ابو شامة الروضتين ج٢ ص ٦٩٤ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ ص ٨ .

(٦١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٤٤١ .

(٦٢) ابن الاثير : الكامل ج٥ ص ٢٣١ ط مصر ١٢٥٠ هـ .

(٦٣) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٥٨ .

الدور في الموصل داران . دار الحديث المهاجرية التي انشأها ابو القاسم ابن مهاجر بسكة ابي نجيح في الموصل (٦٤) . ومن تولى التدريس والمشيخة في هذه الدار ابو اسحاق البرني المتوفي سنة ٥٥٢ هـ (٦٥) ، وثانيهما دار الحديث المظفرية . وتنسب الى مؤسسها مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل . ومن اشهر المحدثين في هذه الدار الحافظ ابو محمد عبد القادر الرهاوي ، الذي صنف الاربعون المتباينة الاسناد والبلاد (٦٦) . ثم ابو عبدالله الحسين بن عمر بن باز المحدث الموصلي المتوفي سنة ٦٢٢هـ. الذي تولى مشيخة الدار في الموصل (٦٧) .

ج ـ المنشآت الحربيـة :

أ ـ اسوار الموصل وابراجها :

كان للموصل سور يحيط بها بناه شرف الدولة مسلم العقيلي . وكان هذا السور قليل الارتفاع لا فصيل له ولا خندق (٦٨) ، ولما تولى الامير جكرمش حكم الموصل من قبل السلاجقة في سنة ٤٩٤ هـ امر ببناء فصيلها، وحفر خندقا ليس بالعميق (٦٩). وعمر السور العقيلي ورمسه (٧٠).

وبقي السور على هذا الحال الى ان تولى عماد الدين زنكي حكم

---

(٦٤) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٥٤ .
(٦٥) العماد الحنبلي : الشذرات ج٥ ص ١٠٠ .
(٦٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص ٦٩ ؛ الشذرات : ج٥ ص ٥٠ .
(٦٧) العماد الحنبلي : الشذرات ج٥ ص ١٠٠ .
(٦٨) ابن الاثير : الباهر ص ٧٨ .
(٦٩) نفس المصدر : الباهر ص ٧٨ .
(٧٠) العمري : منهل الاولياء ص ٣٢ .

الموصل ، فراى ان من الضروري الاهتمام بتحصين عاصمة ملكه امام الاعداء والطامعين . وكانت حملة الخليفة المسترشد بالله على الموصل وحصاره لها في سنة ٥٢٧ هـ ، قد دفعت زنكى الى العناية بتحصين البلد . فامر نائبه نصير الدين جقر بالاشراف على بناء السور ، والزيادة في ارتفاعه ثم توسيعه من الجهة الشمالية ، بحيث يضم الميدان بما فيه من قصور الامراء ، ثم امره بتعميق الخندق ، زيادة على ما كان عليه (٧١) .

وعلى هذا الاساس اصبح للموصل سورين ، احدهما من بناء الامراء السلاجقة ، والثاني من بناء زنكي . وقد وصف ابن جبير حصانة الموصل ومناعة اسوارها وابراجها فقال : « هذه المدينة عتيقة ضخمة حصينة فخمة، قد طالت صحبتها للزمن ، فاخذت اهبة استعدادها لحولات الفتن ، قد كادت ابراجها تلتقي انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض ، وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض ، مستديرة بجدارة المطيف بالبلد كله ، كانه قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه ، وللمقاتلة في هذه البيوت حرز وقاية ، وهي من المرافق الحربية » (٧٢) .

كما وصف ابن بطوطة اسوار الموصل هذه فقال : « وعلى البلد سوران اثنان وثيقان ابراجهما كثيرة متقاربة ، وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض ، مستديرة بجدارة قد تمكن فتحها فيه لسعته ، ولم ار من اسوار البلاد مثله » (٧٣) .

وكانت تنفتح بسور الموصل تسعة ابواب تؤدي الى مختلف الجهات،

---

(٧١) ابن الاثير : الباهر ص ٧٨ ، الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٢١ .

(٧٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢١٠ ط بيروت ١٩٥٩ .

(٧٣) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ج١ ص ١٤٨ .

من هذه الابواب : الباب العمادي الذي امر بفتحه عماد الدين زنكي في ٥٢٧ هـ [٧٤] ، ثم باب سنجار وهو من اوسع ابواب المدينة ، ثم باب كندة وهو الباب الذي نزل عنده صلاح الدين اثناء حصاره للموصل في المرحلة الاولى في شهر رجب سنة ٥٧٨ هـ ، ثم باب الجسر الذي نزل فيه عسكر صاحب حصن كيفا . الذي كان يشارك صلاح الدين في حملته على الموصل [٧٥] ، ثم باب الجصاصة ، والباب الغربي ، وهذا الاخير فتحه عزالدين مسعود بين باب كنده وباب العراق [٧٦] ، ثم باب القصابين ، وباب المشرعة ، الذي بنى سيف الدين الاول بجواره رباطا للصوفية [٧٧] .

٢ ـ **قلعة الموصل** : كان موضع هذه القلعة بالقرب من دور المملكة الى الشمال من مدينة الموصل بحيث تطل على نهر دجلة [٧٨] ، وقد اهتم اتابكة الموصل بهذه القلعة فوسعوها واكملوا عماراتها ، حتى اصبحت تتسع لعدة الاف من الجند، بالاضافة الى ذخيرة الحرب ولوازم القتال[٧٩] .

وكان فخر الدين عبد المسيح وزير سيف الدين غازي الثاني قد اولى هذه القلعة اهتمامه ، فامر ببنائها وتحصينها « فقد كانت خرابا لان زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة » [٨٠] .

وقد وصف الرحالة ابن جبير القلعة عند زيارته للموصل فقال : « في

---

(٧٤) ابن الاثير : الباهر ص ٧٨ .

(٧٥) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٤١٦ ، ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٥٧ . العيني : عقد الجمان ج٣/٢١ ص ٦٤٦ .

(٧٦)ابن الاثير : الباهر ص ١٨٩ .

(٧٧) ابن الاثير : الباهر ص ٩٣ .

(٧٨) ابن الاثير : الباهر ص ٧٧ ، ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢١٠.

(٧٩) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١٣٤ .

(٨٠) نفس المصدر : الكامل ج١١ ص ٣٣٢ .

اعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناءها رصا . ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج . وتتصل بها دور السلطان . وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع يمتد من اعلى البلد الى اسفله . ودجله شرقي البلد ، وهي متصلة بالسور وابراجه في مائها » [٨١] . ووصف ابن بطوطة القلعة بانها «عظيمة الشأن شهيرة الامتناع عليها سور محكم البناء مشيد البروج» [٨٢] .

والقلعة من اهم المرافق الحربية في المدينة ، وتشكل مركز الدفاع عن البلد بما تضم في داخلها من الجند والسلاح . وكثيرا ما كانت القلاع تصمد وتمتنع امام المهاجمين بفضل حاميتها التي تستبسل في الدفاع عنها ، وكان يتولى امر هذه القلعة امير من كبار الامراء المعروفين بالشجاعة والحنكة والدراية في شئون الحرب يطلق عليه اسم « الدزدار » ، وله الاشراف على باقي القلاع في الدولة الاتابكية ، وقد تولى قلعة الموصل عدد من الشخصيات التي كان لها دور هام في تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل، نخص بالذكر منهم علي بن بكتكين نائب سيف الدين وقطب الدين من بعده في القلعة ، ثم فخر الدين عبد المسيح ، ثم سعد الدين كمشتكين ، ثم مجاهد الدين قايماز ، واخيرا بدر الدين لؤلؤ ، وهو الذي خلف الاتابكة في حكم الموصل في سنة ٦٣١ هـ [٨٣] .

وكان للقلعة ابواب منها : الباب المعروف بباب القلعة وهو المؤدي الى الميدان الذي ياوسط البلد ، ثم باب السر وهو امنع ابوابها واحصنها ، وهو يؤدي الى نهر دجلة ، وكان نور الدين قد اقسم عند محاصرته للموصل سنة ٥٦٦ هـ ان يدخلها من احصن موضع فيها فدخل من باب

---

(٨١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢١٠ .
(٨٢) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ج١ ص ١٤٨ .
(٨٣) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٥٢ .

السر (٨٤) .

وكان بالموصل عدد من القلاع بنيت في ادوار مختلفة اقدمها الحصن الآشورى ، الذي كان يعلو تل قليعات أعلى تلال مدينة الموصل ، ثم القلعة التي بنيت في القرن الرابع الهجري ، (٨٥) ثم الحصن الذي كان وسط المدينة وقد وصفة المقدسي فقال : « في الموصل شبه حصن يسمى المربعة على نهر زبيدة . ويعرف بسوق الاربعاء داخله فضاء واسع » (٨٦) .

ولما كانت هذه القلعة تتمتع بالقوة والحصانة باعتبارها مركزا للجيش فقد اتخذها الاتابكة معتقلا للذين يخشى بأسهم ، والذين يخرجون عن طاعتهم ، وأول من اعتقل في هذه القلعة من اولاد السلاطين هو الملك ألب ارسلان بن السلطان محمود في سنة ٥٤١ هـ (٨٧) . ثم سليمان شاه بن السلطان محمد الذي اعتقله زين الدين على بعد هزيمته امام السلطان محمد في همذان سنة ٥٥١ هـ (٨٨) ، كما اعتقل بقلعة الموصل كبار رجال الدولة الاتابكية كالوزير جمال الدين الاصفهاني ، ومجاهد الدين قايماز (٨٩) .

---

(٨٤) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٣٦٤ .

(٨٥) الدوهجي : مجلة سومر ـ المجلد العاشر ـ ص ٩٤ .

(٨٦) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٣٨ .

The Encyclopaedia of Islam, Art Mosul.

(٨٧) ابن الاثير : الباهر ص ٨٦ .

(٨٨) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٢ ، ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٢٠٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢ ص ٢٣٣ .

(٨٩) ابن الاثير : الباهر ص ١٨٣ .

(٣)

الحيـــاة الاجتماعيـــة

أ ـ طبقات السكان في الموصل :

١ ـ العـــرب :

كانت اولى القبائل العربية التي دخلت الموصل ابان حركة الفتح الاسلامي لبلاد الجزيرة هي تغلب واياد والنسر ، وكانت ترافق ربعي بن الافكل عندما سار بجيوش المسلمين الى الموصل وبلاد الجزيـرة [١] . وقبيلة تغلب هي من وائل من ربيعة من العدنانية ، وكانت بلادهم بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين ، وتعرف ديارهم بديار ربيعة ، وكانت النصرانية غالبة عليهم لمجاورتهم الروم [٢] .

ثم توافت القبائل العربية الى الموصل من بلاد الجزيرة ، واشهر تلك القبائل الخزرج الذين اقاموا لهم في الموصل مسجدا عرف باسمهم ، وما زال اسم الخزرج يطلق على المحلة التي سكنتها تلك القبيلة [٣] . والى جانب الخزرج كانت هناك قبائل عربية اخرى كالازد وتميم وهمذان ، وهم من شرقي الحجاز وسكنوا مع بني قيس خارج الموصل ، ثم انتقلوا اليها فيما بعد، ثم قبائل ربيعة ، وقبائل الشهوان، وهي فرع من تغلب،ولا

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٣٦ .

(٢) القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص ١٨٦ ـ ١٨٧

(٣) الصايغ : تاريخ الموصل ج١ ص٥١ ـ كوركيس عواد : الموصل طبعة بغداد ١٩٥٩ ص ٤ .

يزال اسم الشهوان معروفا في الموصل ، حيث يطلق على احد المحلات في المدينة (٤) .

ثم سكن بنو شيبان الموصل « وهم بطن متسع كثير الشعوب . كانت لهم كثرة في صدر الاسلام شرقي دجلة في جهات الموصل » (٥) .

وذكر ابن حوقل « انه كان يشتى في مشاتى الموصل من احياء العرب وقبائل ربيعة واليمن ، وسكن سنجار قوم من العرب من بني قشير وعقيل ونمير وكلاب » (٦) .

٢ ـ الاكراد والتركمان :

كان يسكن بالموصل وما يليها في العصر الاتابكي اقوام من الاكراد ، فقد ذكر ابن حوقل ان معظم سكان الموصل في زمنه (القرن الرابع الهجري) ينتمون الى الاكراد الهذبانية والحميدية واللارية (٧) ، وكان اكثر الاكراد يسكنون في قلاع الزوزان المحيطة بالموصل (٨) . كما سكن بعضهم في قلاع الاكراد الهكارية والحميدية وفي قلعة العمادية التي كان قد افتتحها زنكي في عام ٥٣٧ هـ (٩) .

---

(٤) كوركيس عواد : كوركيس عواد : الموصل ص ٤ .
(٥) صفي الدين البغدادي : مراصد الاطلاع ج١ ص ٣٠٩ .
(٦) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٩٥ طبعة بيروت .
(٧) نفس المصدر : ص ١٩٥ .
(٨) ابن الاثير : الكامل ، ج١١ ص ٥١٩ .
(٩) نفس المصدر : الباهر ص ٦٤ (ذكر ابن الاثير في الكامل أن استيلاء زنكي على قلاع الاكراد ومنها قلعة العمادية أو الشعباني ، كان في سنة ٥٢٨ هـ . انظر الكامل ج٨ ص ٢٤٣) .

اما التركمان فكانوا يسكنون الموصل وبعض مناطق ملاصقة لها . وقد اصطدم الاكراد بهؤلاء التركمان ، وتفصيل ذلك انه كانت للاكراد تقاليد وعادات اتبعوها في منازلهم بالموصل ، وقد روى ابن الاثير في ذلك انه جرت بين الاكراد والتركمان فتنة في ديار الزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام ، بسبب خروج جماعة التركمان على تلك التقاليد الكردية وعدم احترامهم لها ، وقد قتل بسبب هذه الفتنة من الفريقين مئات من التركمان والاكراد ، وظلت الفتنة قائمة الى ان نجح مجاهد الدين قايماز في اخمادها ومصالحة الطرفين المتخاصمين (١٠) .

وكان هؤلاء الاكراد والتركمان يشكلون جزء من الجيش الاتابكي . فكانت قوات الفرسان تتألف غالبيتها من التركمان رماة القوس ، وكانت لهؤلاء الفرسان أهمية بالغة في القتال ، لسرعة حركتهم ، وتأثير سهامهم في الفتك بخيول الاعداء (١١) .

كذلك كان الاكراد ضمن قوات الجيش الاتابكي . وكان منهم الامراء والقادة في المناطق التابعة لاتابكية الموصل وخصوصا سنجار والقلاع الكردية (١٢) .

ب ـ الطوائف الدينية :

١ ـ المسلمون : يؤلف المسلمون الغالبية العظمى من سكان الموصل ومعظم هؤلاء كانوا من السنة على المذهبين الشافعي والحنفي . فلقد انتشر

---

(١٠) راجع التفاصيل في الكامل ، ج١١ ص ٥١٩ .

(١١) فوللر : اثر التسلح في التاريخ ، ص ٦٩ .

(١٢) ابن الاثير : الكامل ج١ ص ٤٨٨ (ذكر المؤرخ ابن الاثير ان اكراد سنجار لعبوا دورا هاما في تسليم مدينة سنجار الى صلاح الدين الايوبي عند محاصرته لها في ٥٧٨ هـ) .

هذان المذهبان منذ العصر السلجوقي وما تلا ذلك بعد انتقال الحكم الى الاتابكة ، عن طريق ما اسسه هؤلاء السلاجقة والاتابكة من مدارس لتدريس الفقه الشافعي والحنفي وجعلوها وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفين [١٣] ، وكان بعض هذه المدارس وقفا على المذهب الشافعي فحسب كالمدرسة التي انشأها نور الدين ارسلان الاول واوقفها على ستين شافعيا [١٤] .

ومنذ ان استأثر بدر الدين لؤلؤ بالحكم في الموصل عمل على تشجيع المذهب الشيعي ونشره في امارته ، فقام ببناء المشاهد والاضرحة لابناء الامام علي (رض) في داخل بعض مدارس الموصل . واعتنى بزخرفة هذه المشاهد وتزويقها ، وخصص لها سدنة يقومون على خدمتها [١٥] .

٢ ـ النصارى :

لم يكن بالموصل قبل الفتح الاسلامي سوى محلتان يسكن احداهما المجوس من الفرس ويسكن الثانية الجرامقة النصارى [١٦] . وذكر ابن حوقل انه كان يسكن نينوى قوم من الشهارجة النصارى الاثرياء [١٧] . كذلك سكن في اتابكية الموصل ـ اعني في البلدا نالتابعة لها ـ جماعات مسيحية ، ففي تكريت كانت تقيم جالية مسيحية كبيرة تمتلك البيع والاديرة من بينها بيعة الخضراء [١٨] . وقد هاجر بعض الصناع والبنائين النصارى

---

(١٣) ابن الاثير : الباهر . ص ٩٣ ، ١٨٩ .
(١٤) نفس المصدر : الباهر ص ٢٠١ .
(١٥) الديوه جي : الموصل في العهد الاتابكي ، ص ٧٧ .
(١٦) ابن خلدون : العبر ج٢ ص ٦٨ (طبعة بيروت) .
(١٧) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٩٦ .
(١٨) نفس المصدر : ص ٢٠٥ .

عهد اليه نور الدين محمود ببناء مسجده في الموصل [٢٣] ان يقيم في داره احتفالا مشهودا بذلك اليوم . فيحضر عنده اتابك الموصل وأمرائه والعلماء والفقهاء وعامة الناس . وتقدم في هذا الاحتفال الاطعمة المختلفة [٢٤] .

٣ ـ زيارة مشهد النبي يونس (ع) : ـ

يقع مشهد النبي يونس (ع) بتل نينوى قرب الموصل ، وكان اهل الموصل يخرجون الى هناك في ليالي الجمع والاعياد لزيارة الضريح ، وكانوا ينشدون التراتيل والموشحات الدينية ، وذكر الرحالة ابن جبير ان اهل الموصل كانوا يقضون الليل في الرباط المجاور لمشهد النبي يونس ثم يعودون الى الموصل بعد ان ينتهوا من صلاة الجمعة ، وقد شاركهم ابن جبير في هذا الاحتفال وخرج مع الناس الى نينوى ليلة الجمعة ١٦ صفر من سنة ٥٨٠ هـ وقضى ليلته في الرباط . وتطهر بعين يونس (العين المباركة) . وشرب من مائها . ثم ادى صلاة الجمعة في المسجد المتصل بها [٢٥] .

٤ ـ الاحتفال بعودة الحجاج من بيت الله الحرام :

كان من عادة اهل الموصل الاحتفال باستقبال الحجاج العائدين من الديار المقدسة ، فيخرجون لهذا الغرض وقد ارتدوا فاخر الثياب ، وزينوا خيولهم بالحرير والوشي والقلائد الذهبية [٢٦] .

---

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ٣٦٤ .
(٢٤) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٠ .
(٢٥) ابن جبير : الرحلة ص ١٨٩ .
(٢٦) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٨١ .

وقد شاهد ابن جبير أحد هذه الاحتفالات اثناء زيارته للموصل ووصفه في كتابه الموسوم بالرحلة . وكان من بين الحجاج العائدين ام صاحب الموصل عز الدين مسعود (٥٧٦ ــ ٥٨٩ هـ) . وفي هذا الاحتفال يقول ابن جبير : « خرج الناس عن بكرة ابيهم ركبانا ومشاة . وخرج النساء كذلك واكثرهن راكبات . وقد اجتمع منهن عسكر جرار . وخرج أمير البلد (عز الدين مسعود) للقاء والدته مع زعماء دولته . فدخل الحاج المواصلة صحبة خاتونهم على احتفال وأبهة ، قد جللوا اعناق ابلهم بالحرير الملون وقلدوها القلائد المزوقة ، ودخلت خاتون المسعودية تقود عسكر جواريها ، وامامها عسكر رجالها يطوفون بها ، وقد جللت قبتها كلها بسبائك ذهب مصوغة اهلة ودنانير ، سعة الأكف ، وسلال وتماثيل بديعة الصفات ، فلا تكاد تبين من القبة موضعا . ومطيتاها تزحفان بها زحفا ، وصخب ذلك الحلى يسد المسامع . ومطاياها مجللة الاعناق بالذهب. ومراكب جواريها كذلك . ومجموع ذلك الذهب لا يحصى تقديره . وكان مشهدا ابهت الابصار واحدث الاعتبار »[٢٧] .

ب ــ المهرجانات واعياد الربيع :

عرفت الموصل بجودة مناخها وعذوبة مائها . وقد أكد ياقوت ذلك حين قال : « هواؤها صحيح وماؤها عذب . وكثيرا ما وجدت العلماء يذكرون في كتبهم ان الغريب اذا اقام في بلد الموصل سنة تبين في بدنه فضل وقوة »[٢٨] .

وقد عرفت الموصل بام الربيعين « لانها تلد الربيع في السنة مرتين

---

(٢٧) ابن جبير : الرحلة ص ١٩٠ .

(٢٨) ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص ٢٢٣ .

فهي بين البلاد ام الربيعين » (٢٩) .

وفصل الربيع في الموصل اجمل فصول السنة ففيه تكسو وديان المدينة وسهولها حلة خضراء تنبثق منها الازهار الملونة ، وتنساب مياه دجلة في وديانها بين الحقول والاعشاب ، فيخرج سكان الموصل بعد صلاة العصر من كل يوم الى ظاهر البلد للتنزه في الوديان والسهول الخضراء . حيث يقيمون المهرجانات والالعاب المختلفة من فروسية ومصارعة . وقفز وزحف (٣٠) . وكان بعض هؤلاء السكان يضربون الخيام خارج المدينة في هذا الفصل يرتادونها عصر كل يوم ، ويقضون ليلهم فيها يتمتعون بالمناظر الخلابة والنسيم العليل ، ولا يزال اهل الموصل يخرجون في امسيات الربيع الى ظاهر المدينة ، حيث ينتشرون في السهول المحيطة بها وينصب بعضهم الخيام هناك (٣١) .

واعتاد اهل الموصل الخروج الى الاديرة للنزهة والترويح عن النفس . لوقوع هذه الاديرة في مواضع مشرفة على الحقول والبساتين . وتمتاز بهدوئها وجودة خمورها ورياحينها . وكان معظم قصاد هذه الاديرة من الشعراء والادباء . حيث يقضون اوقاتهم في القصف والشراب والمساجلات الادبية . وفي الشعر الموصلي كثير من القصائد في وصف الديارات والخمور والمجالس والرهبان. ولا زال اهل الموصل يتمسكون بهذه العادة فيخرجون الى الاديرة لمشاركة المسيحيين في اعيادهم ويقضون يومهم في دير مار كوركيس . ودير مار ميخائيل . متمتعين بمنظر الربيع ومشاركين النصارى

---

(٢٩) الالوسي : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج١ ص ٢٢١ .
(٣٠) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٢ .
(٣١) نفس المصدر : الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٣ .

أفراحهم [٣٢] .

ومن بين المواضيع التي اعتاد اهل الموصل زيارتها « حمام العليل » (آو حمام على) المشهور بمياهه المعدنية . وكان يقصده المصابون بالامراض الجلدية للاستشفاء منها . كما كان اهل الموصل يخرجون الى هذا الموضع ويقيمون لهم مساكن بسيطة على شط دجلة حيث يجتمع هنا الملهون واهل الطرب [٣٣] .

كذلك كان بعض المرضى والمقعدين من اهل الموصل يقصدون دير الاعلى من اديرة الموصل . لرقة هوائه وللتغلب على امراض الجلد والحكة والبثور ، بسبب كثرة المعادن الكبريتية والمرقشينا والقلقطار . وهي معادن تبرىء من هذه الامراض الجلدية [٣٤] .

كذلك عرف دير باطا ـ بين الموصل وتكريت حيث موقعه بين المروج ـ بكثرة تردد الناس عليه في ايام الربيع للنزهة ، وذكر ياقوت ان في هذا الدير بئر تشفى المرضى بالبهق [٣٥] .

كذلك كان المرضى بالصرع يقصدون دير الجب الواقع شرقي الموصل للاستشفاء من هذا المرض [٣٦] .

---

(٣٢) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٣ .
(٣٣) نفس المصدر : الموصل في العهد الاتابكي ص ٨٣ ، ٨٤ .
(٣٤) ياقوت : مادة دير .
(٣٥) يا قوت : معجم البلدان : مادة دير باطا .
(٣٦) نفس المصدر : معجم البلدان : مادة دير الجب .

الفصل الثامن

الحيـاة الاقتصادية في الموصل

(١) الزراعــــــة

(٢) التجــــــارة

(٣) الفنون والصناعات

أ ــ صناعة النسيج

ب ــ التحــف المعدنية

ج ــ التحف المصنوعة من الفخار والخزف

د ــ فن الحفر في الجص والخشب وفي الرخام

هـ ــ فــــن التصوير

الحياة الاقتصادية

يرتبط الازدهار الاقتصادي في أي بلد بمدى الاستقرار والاهتمام الذي توفره الدولة لذلك البلد ، وقد تمتعت الموصل في عصر بني حمدان بازدهار اقتصادي لا مثيل له بسبب قيام الحمدانيين بغرس الاشجار والكروم والفواكه . وزراعة الخضر . مما أدى الى كثرة الضياع وتعدد الاسواق واتساع العمران [1] . غير ان هذا الازدهار الزراعي لم يلبث ان تلاشى تدريجيا منذ قيام دولة السلاجقة ، بسبب انصراف أمراء هذا البلد الى التنازع فيما بينهم وعدم اهتمامهم ورعايتهم للناحية الاقتصادية ، فكان سببا في التأخر الذي خيم على الموصل منعكسا على الزراعة والتجارة والصناعة .

ثم بدأت الموصل تستعيد عظمتها وازدهارها الاقتصادي في القرن السادس الهجري ، عندما آل الحكم فيها الى عماد الدين زنكي في سنة ٥٢١ هـ . فقد حظيت الموصل باهتمام ورعاية هؤلاء الأتابكة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه المدينة . فازدهرت فيها الزراعة والتجارة والصناعة .

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٩٤ .

(١)

الزراعــة

تدهورت الزراعة في الموصل قبل قيام دولة الاتابكة . وترجع أسباب هذا التدهور الى اهتمام السلاجقة بشاريع الري التي تخدم الزراعـة من شق الترع وتوصيل المياه من دجلة الى المزارع والبساتين ، مما أدى الى ندرة الحاصلات الزراعية ، فاضطر أهل الموصل تبعا لذلك الاعتماد على الوارد والحصول على ما يسـد حاجاتهم من هـــذه المحاصيل من البلاد والمدن المجاورة لها ، قال الاصطخري في القرن الرابـع الهجري : « ليس لاهل الموصل من دجلة زرع ولا شجـــر ، الا الشيء اليسير في عدوة دجلة من شرقيها ، وزروعهم مباخس ، وفواكهم تحمل من سائـر النواحي [١] .

وندر وجود الفاكهة في الموصــل الى حد انهـا كادت تختفي من الاسواق ، فارتفعت أثمانها بشكل كبير ، حتى كان على بائع العنب مثلا أن يقتني مقراضا ليقص به العنب لقلته اذا أراد أن يزنه [٢] .

وكان بعد مياه نهر دجلة عن المزارع والبساتين من العوامل التي أخرت الزراعة لعدم وجود الترع التي تقوم بايصال المياه من دجلة اليهـا ، ولم يحرص أمراء الموصل قبل العصر الاتابكي على تزويد المدينــة بالترع

---

(١) الاصطخري : مسالك الممالك ط ليدن ١٩٢٧ ص ٧٣ .
(٢) ابن الاثير : الباهر ص ٧٨ .

لمعالجة الأزمة ، وقد روى المقدسي في القرن الرابع الهجري « ان البساتين بعيدة ، وريح الجنوب مؤذية ، وماء النهر بعيد المستسقى » [٣] . وعلى هذا فلم يكن في الموصل شجر ولا بساتين الا التافه القليل [٤] .

واستمر هذا التدهور الزراعي قائما باستثناء فترة حكم بنو حمدان حتى بداية العهد الاتابكي . فعمل أتابكة الموصل منذ أيام عماد الدين زنكي على ابقاء الاراضي بايدي أصحابها بدلا من توزيعها على قواد الجيش والامراء على هيئة اقطاعات . وعندئذ بدأت الزراعة تزدهر وتتقدم اذ حرص الاتابكة على توجيه اهتمامهم ورعايتهم بالزراعة عماد الاقتصاد في البلد ، فهيئوا السبل للنهوض بها بما شقوه من ترع وقنوات لتوصيل المياه من دجلة . فزادت ثروتها الزراعية بشكل ملحوظ نتيجة لتحول كثير من الاراضي الجدباء الى أراضي خصبة ، ينبت بها جميع أنواع الحبوب والبقول والخضروات [٥] .

واسترجعت الموصل رخاءها الاقتصادي في عصر الاتابكة ، فاصبحت بلدا زراعيا ممتازا تكثر فيه الحاصلات الزراعية على اختلاف أنواعها وانتشرت فيها بساتين الفواكه بكثرة بعد ان كانت شبه معدومة ، قال ابن الاثير : « فلما عمرت البلاد . عملت البساتين بظاهرها وفي ولايتها ، فهي اليوم أكثر البلاد فاكهة ، فالرمان يبقى الى آن يدرك العتيق والجديد ، وكذلك الكمثري ، وقريب منه العنب ، وأما التفاح فيجمع العتيق والجديد » [٦] .

---

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٣٨ .
(٤) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢١٤ - ٢١٥ .
(٥) الصايغ : تاريخ الموصل ج١ ص ٣٤ .
(٦) ابن الاثير : الباهر ص ٧٨ .

وعمرت القرى التي كانت مهجورة . فاقبل الناس على الموصل وازدادت اهلا وسكانا . طلبا للامان والاستقرار اللذين توافرا في ظل الحكم الاتابكي [٧] . فبلغ عدد قراها (٦٠٠٠) قرية [٨] . اشتغل أهلها بالزراعة . وأكبر دليل على وفرة الزراعة في الموصل ان بغداد كانت تعتمد في ميرتها على حاصلات الموصل . فقد ذكر أبو المحاسن « ان طعام بغداد وأقوات ساكنيها من الموصل وآعمالها والفرات وديار مضر وربيعة » [٩]. وكانت بغداد تعتمد في ميرتها على الموصل أربعة أشهر من كل عام [١٠] . وبلغ عدد بساتين الخضرة فيها (٩٥) . وعدد بساتين الفواكه والاثمار (٣٦) بستانا [١١] ، الى جانب زراعة القطن في مساحات كبيرة لحاجة أهل الموصل له في النسيج الذي اشتهرت به هذه المدينة [١٢] .

---

(٧) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص ١١١ .

(٨) العمري : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ط الموصل ١٩٥٥ ص ٦٧ .

(٩) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٤٥ .

(١٠) نفس المرجع : النجوم الزاهرة ج١ ص ٤٥ .

(١١) العمري : منية الادباء ص ٦٧ .

(١٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٩٣ .

(٢)

« التجـارة »

أدى ازدهار الزراعة في الموصل الى نمو وتقدم الحركة التجاريـــة فيها في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وكان لموقع الموصل الجغرافي وتحكمه في طرق القوافل التجارية المحملة بالبضائع من الهنـد والصين والشام وفارس أكبر الاثر في ازدياد الحركة التجارية فيها ، وقد أشـار ياقوت الى أهمية الموصل من الوجهة الاقتصاديـة فقال : « هي محط الركبان ومنها يقصـد الى جميـع البلدان . فهي باب العراق ومفتـاح خراسان . منها يقصد الى اذربيجان . وكثيرا ما سمعت ان بلاد الدنيـا العظام ثلاثة : نيسابور لانها باب الشرق . ودمشق لانهـا باب الغرب . والموصل لان الواصل الى الجهتين قل ما لا يمر بها » وقال أيضا : « وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان الا وجد فيها » [١] .

وكانت السفن تصل من جزيرة ابن عمر وبلاد الروم ونواحي ميافارقين الى الموصل مشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والمن والجبن والجـوز واللوز والبندق والزبيب والتين الى غير ذلك من الانواع [٢] .

ولم يقتصر دور الموصل في الناحية الاقتصاديـة على كونها نقطـة التقاء القوافل التجارية فحسب . بـل كانت تلعب دورا كبيرا في تصدير بضائعها التي اشتهرت بها كالمنسوجات المختلفة من حريرية وصوفية وقطنية

---

(١) ياقوت : معجم البلدان : ج٨ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٠٣ .

والتي نسبت اليها وذاع صيتها في بلاد العالم . وكذلك التحف المعدنية المزخرفة والخزف التي برع في صنعها أهل الموصل . فكانت هذه البضائع تحمل الى موانىء البحر المتوسط الشرقي ، حيث كان ينقلها التجار الجنويون والبنادقة الى مختلف المدن الاوربية ليعرض في أسواقها ، ولا تزال أقمشة الموسلين (الموصلي) دليل على العلاقات التجارية التي كانت قائمة آنذاك [٣] .

وكانت أسواق الموصل تزخر بالمحال التجارية التي تكدست فيها بضائع الشرق والغرب ، وكانت هذه البضائع تصل اليها عن طريق السفن والاكلاك [٤] ، التي كانت تسير في دجلة ، وبلغ عدد أسواق الموصل(٣٦) سوقا ، وعدد حوانيتها (٤٨٥١٥) حانوتا ، وكان بها سوقا خاصة لبيع الروائح العطرية ، وتسمى قيسرية المسك وفيها (١١) دكانا [٥] .

ومن اعظم أسواقها التجارية أيضا قيسارية الجامع النوري الذي بناه نور الدين محمود في وسط السوق ، وكانت هذه القيسارية تضم (٦٩٩) حانوتا [٦] ، ومنها قيسارية مجاهد الدين قايماز الرومي ، وقد وصفها ابن جبير بقوله : « وبنى أيضا (مجاهد الدين) داخل البلد وفي سوقه قيسارية للتجار كأنها الخان العظيم ، وتنغلق عليها أبواب حديد ، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض قد جلى ذلك كله في اعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له . فما أرى في البلاد قيسارية

---

(٣) ارنست كونل : الفن الاسلامي ط مصر ١٩٦١ ترجمة احمد موسى ص ٨٧ .

(٤) الاكلاك : سفن صغيرة لحمل البضائع .

(٥) العمري : منية الادباء ص ٦٨ ـ الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٢٤ ـ ١٢٥

(٦) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٤٣ .

تعدلها » [٧] .

هذا الى جانب الاسواق القديمة التي كانت موجودة في الموصل قبل العهد الاتابكي والتي كان يرتادهـــا الفلاحون كسوق القتابين وسوق الشعارين وسوق الاربعاء ، وتقع شرقي المدينة [٨] ، وكانت هذه الاسواق مغطاة بسقف يحميها من الاعلى [٩] .

---

(٧) ابن جبير : رحلة ابن جبير تحقيق وليم رايت . ليدن ، ١٩٠٧ ص ٢٣٥ .

(٨) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ١٢٤ .

(٩) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٣٨ .

(٣)

الفنون والصناعات

حظيت الفنون والصناعات في الموصل باهتمام الملوك الاتابكيين طيلة فترة حكمهم للبلاد ، فقد أحاطوا أرباب المهن وأصحاب الحرف بعنايتهم وشملوهم برعايتهم ، وكانت الموصل غنية بالمعادن والمواد الخام اللازمة ، ولذلك اشتهرت هذه المدينة بمصنوعاتها المختلفة التي عرفها العالم والتي غزت معظم أسواق أوربا وآسيا .

ومن أشهر الصناعات الموصلية صناعة النسيج على اختلاف أنواعها. والمعادن كالاسطال والسكاكين والنشاب والسلاسل والموازين [١] . وصناعة الاواني الفخارية والخزفية ، ومن الفنون الموصلية المشهورة أيضا فن الحفر في الجص وفي الخشب ، وكان من العوامل التي ساعدت على دفع حركة التقدم الصناعي في الموصل هجرة الايدي العاملة الفنية من مصر على أثر المجاعة التي اجتاحت البلاد في عام ٥٩٥ هـ [٢] ، ثم انتقال بعض الصناع والبنائين من نصارى تكريت ، الذين برعوا بفن الزخرفة الجبسية والحفر على الاخشاب [٣] .

---

(١) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٤٥ .

(٢) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٤٥ .

(٣) أرملة (القس اسحاق) : انباء الزمان في جتالقة المشرق ومقارنة السريان . طبعة بيروت ١٩٢٤ ص ٣٣
الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٤٥ .

كل هذه العوامل اضيفت الى ما كانت تزخر به بلاد الموصل من خبرة ومهارة فنية وصناعة فائقة شهدت بها آثارها على مختلف العصور ، وسنتحدث فيما يلي عن أهم تلك الصناعات التي اشتهرت بها الموصل في العهد الاتابكي :

أ ـ صناعة النسيج :

عرفت هذه الصناعة في الموصل قبل الاسلام ، فكانت بلاد الموصل والجزيرة تشتهر بالمنسوجات القطنية والكتانية . واستمرت هذه الصناعة في التقدم حتى بلغت في العهد الاتابكي أوج تقدمها وأصبحت الموصل من أعظم مراكز النسيج في العالم الاسلامي . وقد برع نساجوا الموصل في صناعة المنسوجات الحريرية . فكانوا يتخذون لها الحواشي المقصبة ويطرزونها بالكتابة المختلفة . وزخرفة التوريقات وقوامها النبات وأغصان الاشجار المختلفة . وذلك بخيوط من الذهب والفضة مما كانت ترتديه نساء الملوك والامراء والاعيان [٤] . وكان هذا النسيج قد عرفه العالم باسم الموسلين (Moselin) ونقله التجار الى اسواق اوربا [٥] .

والى جانب المنسوجات الحريرية ذاعت شهرة الموصل في صناعة المنسوجات الصوفية والقطنية التي لم تكن تقل في الجودة والاتقان عن المنسوجات الحريرية . وكانت الموصل تنتج كميات كبيرة من المنسوجات

---

(٤) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٥) Migeon (Gaston) : Manuel d'art Musulman, vol. II, paris. 1907, p. 387.

ارنست كونل : الفن الاسلامي طبعة القاهرة ١٩٦١ ترجمة احمد موسى ص ٨٧ .

القطنية ومن أنواعها الشاش الموصلي . الذي كان يتخـــذه سراة القوم واغنيائهم عمائم يزينون بها رؤوسهم . ومنها النسيج الرقيق الابيض الذي كانت تتخذ منه الثياب الداخلية ، ثم النسيـــج الملون بنوعيـــه الرجالي والنسائي والذي كانت تصدر منـــه كميات كبيرة الى اسواق العالم الخارجي [٦] .

ب ـ صناعة التحف المعدنية :

احتلت الموصل المركز الاول في العالم الاسلامي في صناعة المعادن لتوافر معدن النحاس في الخابور [٧] وذلك بتشجيع كبير من الاتابكة الذين تولوا حكم هذه البلاد، وتتمثل مظاهر هذه الاولوية قبل كل شيء في اتقان تكفيت المعادن اتقانا لا مزيد عليه [٨] .

ويمتاز فن صناعة التحف المعدنية في الموصل بكثرة الرسوم الآدمية والحيوانية . فمن صور تمثل بعض مناظر الصيد الى فرســان يحملون أقواسا وصوايات الى صور تمثل آمراء . كذلك تمتاز التحف المعدنيـة بالتطعيم بالفضة والذهب المقرون بالتكفيت . مما أكسب تلك الصناعات جمالا وابداعا عظيمين . وكان لمدرسة الموصل أكبر الاثر في تطور صناعة المعادن في سائر الاقطار الاسلامية ، فقد رحل كثير من صناع الموصـــل الذين برعوا في هذا الفن الى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد . فنشروا صناعة التحف المعدنية في اسلوب فني يظهر فيه التأثر باساليب مدرسـة

---

(٦) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٤٨ .

(٧) Migeon; op. cit. p. 166.

(٨) ارنست كونـل : الفـن الالاسلامي ص ٨١ ـ ديماند : الفنون الاسلامية ص ١٥١ .

الموصل [٩] .

وقد ظهر هذا التأثر واضحا في المنتجات المعدنية التي ترجع الى العصر المغولي في ايران. فكانت العناصر الزخرفية مشابهة لما انتجته مدرسة الموصل في هذا الميدان [١٠] .

وكانت مسطحات الاواني ترخي في عملية دقيقة سابقة للتكفيت[١١]. ثم تكفت بعناية برقائق من الفضة وشرائط من الذهب بشكل يجعل اللامس لهذه الاواني لا يحس بأثر التجسيم ، وتحمل هذه الاشياء اسماء صناع من الموصل ، فاطلق الناس اسم البرونز الموصلي على كافة هذه الطبقة من الاعمال الشرقية [١٢] .

ج ـ التحف المصنوعة من الفخار والخزف :

كانت الموصل بالاضافة الى شهرتها في صناعة التحف المعدنية مركزا للصناعات الفخارية في القرن السادس الهجري . وكانت الاواني الفخارية تزخرف بطرق عدة . منها ما يكون بالضغط عليها وهي لا تزال لينة ، ومنها بالحزفي جدارها أو بطريقة التخريم . أو بطريقة التلوين أو

---

(٩) Migeon : op. cit. p. 168
ـ زكي محمد حسن : الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ط مصر ١٩٤٠ ص ٢٤٣ .

(١٠) ديماند : الفنون الاسلامية ص ١٥٨ .

(١١) التكفيت : طريقة للزخرفة تقوم على حفر الرسوم على سطح المعدن أو الخشب ثم تملىء الشقوق التي تؤلف هذه الرسوم بقطع من مادة اغلى قيمة كالذهب والفضة. زكي محمد حسن: الفنون الايرانية ص٢٤٣.

(١٢) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص ٨١ .

الاضافة [١٣] .

وكما اتقن الخزاف العراقي في العصر الاسلامي تقليد الخزف الساساني والخزف البيزنطي والخزف الصيني فانه اتقن كذلك الابداع . فاضاف الى أنواع الخزف المعروفة نوعا جديدا لم يكن معروفا من قبل هو الخزف ذو البريق المعدني [١٤] .

وكانت القناني والاباريق تحلى اما بد لايات ملصقة مفرغة تفريغا يدل على موضوعات طريفة ، وأما بافاريز مضغوطة تشتمل على صور الحيوانات المختلفة [١٥] .

د ـ فن الحفر في الجص والخشب والرخام :

والى جانب صناعة المعادن والفخار برع الفنان الموصلي في الزخرفة التي تركت آثارها على ما خلفه ذلك العصر من آثار كالمساجد والقصور وغيرها من الاثار العمرانية . وقبة الجامع المجاهدي تزخر بهذا الفن من الزخرفة . وكذلك محرابه الذي تظهر في أعلاه الزخارف الجصية التي تتألف من زخارف نباتية تتخللها صور حيوانات كالاسد والغزال وطيور أليفة كالبط والحمام جعلت من هذا المحراب آية في الفن الزخرفي . كذلك الزخارف التي زين بها الجامع النوري والجامع العتيق وما تبقى من آثار

---

(١٣) محمد عبد العزيز مرزوق : فخار العراق وخزفه في العصر الاسلامي مجلة سومر المجلد ٢٠ ، ص ١٠١

(١٤) نفس المصدر : فخار العراق وخزفه في العصر الاسلامي مجلة سومر المجلد ٢٠ ، ص ١٠٧ .

(١٥) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص ٨١ .

دور المملكة المسماة (قرة سراي) [١٦] .

والى جانب الزخارف الجصية برع الفنان الموصلي في حفر الزخارف في الخشب وتطعيمه بالاصداف . كما برع في استعمال الاخشاب ذات اللون المغاير للخشب الذي يجري تطعيمه . فكانت تظهر على هذه الاخشاب زخارف غائرة . وبعضها بارزة تحيط باللوح ويكون داخل اللوح زخارف دقيقة للغاية . كما يظهر ذلك في الباب الخشبي لجامع النبي جرجس في الموصل [١٧] .

ولم يقتصر فن الحفر على مادتي الجص والخشب بل تعداه الى الرخام . فكان الفنان الموصلي يطبق الرخام الازرق بالرخام الابيض أو بالصدف ويكون هذا التطبيق اما بالكتابة باحرف كبيرة او تكون على شكل ألواح هندسية جميلة . زينوا بها المحاريب والابواب والجدران التي تحيط باسفل الغرف ، ولا تخلوا المنشآت الموصلية التي ترجع الى ايام الاتابكة من المرمر المطعم بالصدف او بالمرمر الابيض ، فقد وجدت ألواح كثيرة في بقايا الابنية الاتابكية ، بعضها مطبق بالزخارف الهندسية وبعضها بالكتابات [١٨] .

ويكثر وجود الرخام في القسم الشمالي من العراق ، وخاصة في لواء الموصل ، ويكون مائلا الى الزرقة ويسمى (المرمر) ، وهو سهل القطع مطواع للحفر ، وهذا ما جعل السكان يفضلونه على الآجر فاصبح مادة

---

(١٦) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص ٦٨ ـ ديماند : الفنون الاسلامية ص ١٠١ .

(١٧) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٦١ .

(١٨) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٦٢ ـ ٦٣ .

أساسية في أبنيتهم فاتخذوا منه الاقواس والمداخل والشبابيك وبلطوا به دورهم [١٩] .

هـ - فن التصوير :

كانت الموصل مركزا هاما من مراكز فن التصوير الاسلامي الذي وصل ذروة تقدمه في الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ . ومما لا شك فيه ان هذا الازدهار كانت له اصول قديمة وتقاليد سابقة نضجت في عهد بدر الدين لؤلؤ . وتمتاز التصاوير المنسوبة الى الموصل بتأثرها بالفن الايراني خاصة فيما يختص بالرسوم الآدمية التي تشبه نظائرها فيما وصل الينا من التحف الخزفية المنسوبة الى الري .

ومن المخطوطات المزينة بالصور التي تنسب الى الموصل . مخطوط من كتاب الترياق لجالينوس (محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس) ويرجع الى سنة ٥٩٥ هـ ، كما ينسب الى الموصل مخطوط آخر من نفس الكتاب (محفوظ في المكتبة الاهلية بأثينا) الذي يمكن ارجاعه وفقا لاسلوب التصاوير الى بداية القرن السابع الهجري [٢٠] .

---

(١٩) الديوهجي : مجلة سومر المجلد العشرون - ص ١٦٧ .
(٢٠) زكي محمد حسن : الفنون الايرانية : العصر الاسلامي ص ٩١
حسن الباشا : التصوير الاسلامي في العصور الوسطى ط القاهرة ١٩٥٩ ص ١٤٥ - ١٤٩ .

الفصل التاسع

الحركة العلمية في الموصل

(١) المؤسسات العلميــة ٠

المدارس ــ الرباطات ــ دور الحديث ٠

(٢) شيوخ العصر الاتابكي ٠

(١)

المؤسسات العلمية

نشأة المدارس وأثرها في النهضة العلمية :

المدرسة دار كبيرة ذات غرف للدراسة واقامة طلاب العلم في الحديث واصول الفقه ، واول المدارس التي انشئت في الاسلام المدرسة البيهقية ، التي أسست للبيهقي المتوفي عام ٤٥٤ هـ في نيسابور (١) .

ومن نيسابور انتشرت المدارس في العراق في العصر السلجوقي الذي يعتبر عصر انطلاقة الحركة المدرسية في الاسلام ، فالمدرسة كمركز للنشاط العلمي السني تدين بوجودها لهذه الاسرة (٢) .

ويعود الفضل في انشاء هذه المدارس وانتشارها الى الوزير السلجوقي نظام الملك ، فأسس المدارس في بغداد والبصرة وبلخ ومرو ونيسابور وهراة ، واصفهان ، وانشأ في كل مدينة في العراق وخراسان مدرسة (٣) .

وأشهر تلك المدارس وأبعدها آثرا في نشر الثقافة الاسلامية هي

---

(١) حسين امين : المدرسة المستنصرية ط بغداد ١٩٦٠ ص ٢٢ .

(٢) محمد حلمي احمد : الحياة العلمية في مصر والشام (المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع ١٩٥٨ ، ص ٦) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ج٣ ص ١٣٧ ـ حسين امين : العراق في العصر السلجوقي ص ٢٢٤ .

المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك ببغداد فيما بين عامي ٤٥٧ ـ ٤٥٩هـ وشرع في التدريس بها في ذي القعدة من عام ٤٥٩ هـ ـ ١٠٦٧م [٤] . وكانت من الضخامة بحيث أصبحت انموذجا احتذته المدارس الجديدة في العراق. وبولاية زنكي على الموصل ابتدأت حركة احياء سياسي واجتماعي وثقافي . في مناطق الجزيرة العراقية والشام [٥] .

وحظيت الحركة العلمية في الموصل باهتمام وعناية الملوك الاتابكيين الذين اشتهروا بحبهم وتشجيعهم للعلم وأهله . فشيدوا المدارس والمساجد ودور الحديث والرباطات . واغدقوا على هذه المعاهد الاموال . واوقفوا عليها الاوقاف الكثيرة للانفاق عليها وعلى خزانة كتبها وعلى المدرسين . فقد كانت هذه المدارس والمعاهد تتكفل بتأمين الطعام والمسكن والكسوة والكتب لمن يدرس فيها من الطلاب [٦] .

والاتابكة ـ وان كانوا من غير العرب ـ الا ان هذا لم يمنعهم من تشجيع العلوم ورعاية للآداب العربية ، فهم نشأوا في بلاد عربية اسلامية فاعتنقوا دين أهلها وتأدبوا بآدابهم وتثقفوا بثقافتهم فكانوا عربا مسلمين في الثقافة والدين يشجعون العلماء والادباء وأهل الفنون وأصبحت الموصل في العهد الاتابكي قبلة العلماء والادباء والشعراء والكتاب والقراء

---

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ١٨٠ ـ حسين امين : المدرسة المستنصرية ص ٢٣ .

G. Wiet ; Egypte musulmane dans
«Precis de l'histoire d' Egypte»
t. II, le Caire 1932, p. 237.

(٥) محمد حلمي احمد ـ الحياة العلمية في مصر والشام ص ٤

(٦) محمد حلمي احمد : المجاة التاريخية المصرية المجلد السابع ص١٣

والمحدثين وأصحاب الفنون [٧] .

وكان سيف الدين غازي الاول يتذوق الشعر والادب ويكرم الشعراء وقد مدحه الشاعر الحيص بيص [٨] بقصيدة قال فيها :

الام يراك المجد في زي شاعر وقد نحلت شوقا فروع المنابر

« فأعطاه سيف الدين غازي الف دينار سوى الاقامة والتعهد مدة مقامه ، وسوى الخلع والثياب من سائر الانواع » [٩] .

وقلما نجد ملكا منهم لم يؤسس معهدا علميا في الموصل أو غيرها من البلاد التابعة لهم ، وقد سار على ذلك رجال دولتهم فبلغ عدد المدارس في الموصل (٢٨) مدرسة . و (١٨) دارا للحديث ، و (٢٧) خانقاه للصوفية الى جانب الكتاتيب [١٠] .

ومن هذه المدارس التي أسسها الملوك الاتابكة في الموصل :

أ ـ **المدرسة الاتابكية العتيقة** : وهي المدرسة التي انشأها سيف الدين غازي الاول بالموصل ، وكانت من أحسن المدارس وأوسعها ، وجعلها

---

(٧) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٩٦

(٨) هو شهاب الدين ابو الفارس سعد بن محمد بن سعد التميمي المتوفي سنة ٥٧٤ (شذرات الذهب ج٤ ص ٢٤٧)

(٩) ابن الاثير : الباهر ص ٩٣ ـ ٩٤ .

(١٠) العمري : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ٦٦ ط الموصل ١٩٥٥ م

وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفين[١١]. ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة ابو بركات عبدالله بن الحسيني المعروف بابن الشيرجي المتوفي سنة ٥٧٤ هـ . الذي درس على العالم والمؤرخ بهاء الدين بن شداد[١٢]. وعبد السلام بن محمد ظهير الدين الفارسي المتوفي سنة ٥٩٦ هـ[١٣].

٢ ـ **مدرسة الجامع النوري** : تنسب هذه المدرسة الى نور الدين محمود بن زنكي . فقد رأى نور الدين انه من المفيد ان يجمع بين الدين والعلم في مسجده الذي بناه بالموصل . فبنى به مدرسة . ولما زار نور الدين الموصل في سنة ٥٦٨ هـ فوض امر التدريس بهذه المدرسة الى الفقيه عماد الدين ابو بكر التوقاني الشافعي . وكتب منشورا بذلك[١٤] .

٣ ـ **المدرسة العزية** : تنسب هذه المدرسة الى عز الدين مسعود (٥٧٦ ـ ٥٨٩ هـ) الذي امر بانشائها في الموصل تجاه دور المملكة ، وهي مدرسة كبيرة كانت وقفا على الشافعية والحنفية[١٥] ، وصفها ابن خلكان : « بانها من احسن المدارس »[١٦] . وقرر عز الدين مسعود للفقهاء فيها من الفواكه والحلواء والدعوات في المواسم والاعياد ، والشيرج للوقود والفحم وغير ذلك ، وقرر في وقفها من الصدقات كل اسبوع وفي الايام

---

(١١) ابن الاثير : الباهر ص ٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٢٠٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٥٠٧ ، العيني : عقد الجمان ج١ ـ ٢١ صفحة ١٩٢ .

(١٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

(١٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٤ ص ٢٥٤ .

(١٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص ٢٦٣ .

(١٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٨٩ ، الذهبي : العبر ج٤ ص ٢٦٩ .

(١٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٥ .

الشريفة والليالي المباركة شيئا كثيرا [١٧] • ومن تولى التدريس في هذه المدرسة عماد الدين محمد بن يونس بن منعه المتوفي سنة ٦٠٨ هـ ، الذي تلقى علومه الفقهية في المدرسة النظامية ببغداد [١٨] •

٤ ـ **المدرسة النورية** : وهي المدرسة التي بناها نور الدين ارسلان شاه الاول (٥٨٩ ــ ٦٠٧ هـ) بالموصل . وقد ذكرها ابن الاثير فقال : « ومن محاسن اعماله المدرسة التي انشأها بباطن الموصل مقابل دار المملكة. وهي من احسن المدارس ، ووقف عليها الوقوف الكثيرة وجعلها وقفا على ستين فقيها من الشافعية ، سوى ما فيها من الصدقات الدارة والتعهدات للصوفية والفقراء » [١٩] • ومن تولى التدريس في هذه المدرسة ابو حامد عماد الدين محمد بن يونس بن منعه [٢٠] •

٥ ـ **المدرسة القاهرية** : انشأها الملك القاهر عزالدين مسعود بن نور الدين ارسلان (٦٠٧ ــ ١٥ هـ) . واول من درس فيها كمال الدين بن يونس بن منعه المتوفي سنة ٦٣٩ هـ [٢١] • وقد تولى تدريس العلوم الاسلامية والادب واللغة والمنطق والحكمة والتاريخ والشعر كذلك عمل بالتدريس فيها ابي الفضل شرف الدين احمد بن كمال الدين بن منعه المتوفي سنة ٦٢٢ هـ [٢٢] •

---

(١٧) ابن الاثير : الباهر ص ١٨٩ .
(١٨) ابن الغوطي : تلخيص مجمع الاداب ج٤ القسم الثاني ص ٨٥٦ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ .
(١٩) ابن الاثير : الباهر ص ٢٠١ .
(٢٠) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٤٧٦ .
(٢١) نفس المصدر : وفيات الاعيان ج٢ ص ٩٦ ، ج١ ص ٣٢ .
(٢٢) نفس المصدر : وفيات الاعيان ج١ ص ٩٠ ، ج٤ ص ٤٠٠ .

ولم يقتصر بناء المدارس والمعاهد على الملوك الاتابكة فحسب ، بل سار على هذا النهج عدد كبير من كبار رجال الدولة الاتابكية ، فاسسوا المدارس والربط في الموصل وخارجها ، منهم زين الدين على بن بكتكين المتوفي سنة ٥٦٣ هـ الذي اسس مدرسة بالموصل عرفت بالمدرسة الزينية [٢٣] ، بجوار مسجده الذي عرف بالمدرسة الكمالية نسبة الى كمال الدين بن يونس بن منعة ، الذي تولى التدريس فيها [٢٤] . وكان مجاهد الدين قايماز يحفظ الشعر والحكايات والنوادر والتواريخ ، وعرف بحبه للعلم والعلماء ، فشيد مدرسة للشافعية ، ورباطا للصوفية ، وما رستانا للمرضى ، وأوقف على الكل وقوفا حسنة [٢٥] . وقصده المؤلفون ومنهم ابو المعالي سعد بن علي الخطيري الذي قدم اليه مؤلفه الموسوم « كتاب الاعجاز برسم الامير مجاهد الدين قايماز » [٢٦] .

كما أسس بدر الدين لؤلؤ المدرسة البدرية الذي كان يتولى التدريس فيها ابو المظفر محمد بن علوان الموصلي المتوفي سنة ٦١٥ هـ [٢٧] .

وبنى القاضي كمال الدين الشهرزوري مدرسة بالموصل عرفت بالمدرسة الكمالية القضوية ، ومن درس فيها ولده القاضي محمد بن كمال الدين الشهرزوري ، الذي ولى قضاء الموصل ودرس بمدرسة ابيه وبالمدرسة النظامية في الموصل [٢٨] .

---

(٢٣) ابن الاثير : الباهر ص ١٣٦ .

(٢٤) الديوهجي : الموصل في العصر التابكي ص ١٣٦ .

(٢٥) ابن الاثير : الباهر ص ١٩٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص ٣٣٨ ، ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٦٩٤ .

(٢٦) الصايغ : تاريخ الموصل ج١ ص ٢٢١ .

(٢٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص ٨٢ .

(٢٨) السبكي : طبقات الشافعية ج٤ ص ١٥٠ ، الديوجي : مجلة سومر المجلد ١٣ ص ١٠٧ .

ولم تكن المدارس وحدها مركزا للعلوم المختلفة . فهناك الربط التي انشأت في الموصل والتي كان لها اثرها في نشر الثقافة والعلوم الدينية . اذ لم تكن الربط مقصورة على التعبد والتزهد بل كانت ايضا مواضع للتأليف والتصنيف والاقراء والتثقيف والاجازة والمحاضرات . وكان لخزائن الكتب فيها قوام يتولون خزنها وصيانتها ومناولتها وترتيبها . وكانت هذه الربط بمثابة منازل للعلماء الراحلين من بلد الى بلد ؛ ومن قطر الى قطر في طلب العلم او نشره . او في امر من الامور الخاصة بالدين [٢٩] .

ومن المنشآت الدينية الاخرى التي ساهمت في نشر العلوم الدينية دور الحديث . وهي مؤسسات علمية كانت تدرس فيها اقوال النبي (ص) وافعاله واحواله من حيث الرواية واتصال الاحاديث بالرسول (ص) . واحوال رواتها . ثم من حيث الاسناد اتصالا وانقطاعا . وتتناول هذه الدراسة ايضا المعنى المفهوم من الفاظ الحديث والمراد منها . مبنيا على قواعد اللغة وضوابط الشريعة ومطابقا لاحول النبي (ص) [٣٠] .

---

(٢٩) مصطفى جواد : مجلة سومر المجلد العاشر ج٢ ص ٢٢٤ ، ٢٣٣

(٣٠) حاجي خليفة : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ج١ ص ٦٣٥ (طبعة استنبول سنة ١٩٤١ م) .

(٢)

شيوخ العصر الاتابكي

هذا وقد تمخض عن قيام هذا النوع من المنشآت في الموصل ان تألقت الحركة العلمية في العصر الاتابكي ، تألقا يشهد به ظهور عدد كبير من العلماء والادباء والمحدثين والاطباء [١] .

واشتهرت بعض الاسر في الموصل بمختلف العلوم ، من هذه الاسر : اسرة المؤرخ ابن الاثير الذي كان والده عاملا للاتابكة على جزيرة ابن عمر ، واشهر مؤلفات ابن الاثير هو كتابه : الكامل في التاريخ ، الذي يعتبر موسوعة اسلامية لا غنى لكل دارس في التاريخ عنها . ثم كتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، « واللباب في تهذيب الانساب » . « والتاريخ الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل » ، واشتهر أخوه مجد الدين ابن الاثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) في علوم الفقه والحديث ، وكانت له التصانيف الكثيرة في التفسير والنحو والحساب منها : « جامع الاصول في احاديث الرسول » ، و « النهاية في غريب الحديث » ، « والانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف » ، « وكتاب البديع في النحو » وغيرها [٢] .

اما اخوه الثالث ضياء الدين ابن الاثير (٥٨٥ ـ ٦٣٧ هـ) فقد اشتهر بالادب ، ومن مؤلفاته كتاب : « المثل السائر في ادب الكاتب

---

(١) نقولا زيادة : مدن عربية ط بيروت ١٩٦٥ ص ١٩٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

والشاعر » ، ثم كتاب « المعاني المخترعة في صناعة الانشاء » . « وكتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم » [٣] .

ثم اسرة ابناء يونس بن منعه وهم من علماء المذهب الشافعي . وكان جدهم يونس بن محمد بن منعه بن مالك المعروف بـ رضى الدين الاربلي (٥٠٨ ـ ٥٧٦) أول من سكن الموصل وعمل في التدريس بمدرسة زين الدين على بن بكتكين (المدرسة الزينية) ، وكان يونس مشهورا بالفقه والادب [٤] .

واشتهر من ابناء يونس هذا عماد الدين بن يونس بن منعة (٥٣٥ ـ ٦٠٨ هـ) الذي تولى القضاء في الموصل ودرس في معاهدها . وكان له عدة تصانيف ومؤلفات في الفقه والادب . منها : الفتاوى الواسطية . وكتاب المسائل الموصلية . والمحيط في الجمع المهذب والوسيط . وشرح الوجيز للغزالي . وتخرج عليه خلق كثير صاروا كلهم ائمة مدرسين يشار اليهم [٥] . ثم كمال الدين بن يونس (٥٥١ ـ ٦٣٩ هـ) الذي كان عالما في اللغة والنحو والادب والفلسفة والرياضيات والطب . وكان عنده المام بعلوم الطبيعيات والموسيقى . وقصده الطلاب من كل مكان . ومن مؤلفاته كتاب : « كشف المشكلات وايضاح المعضلات في تفسير القرآن » . وشرح كتاب : « التنبيه في الفقه » . « وكتاب لغز في الحكمة » وغير ذلك من المؤلفات [٦] . ثم شرف الدين بن كمال الدين بن يونس (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) الذي عمل في التدريس بالمدرسة القاهرية وله عدة مؤلفات منها : كتاب

---

(٣) نفس المصدر : وفيات الاعيان ج٢ ص ١٥٨ ـ ١٦١ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٣ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ج١ ص ٤٧٧ .
(٥) ابن خلكان : ج١ ص ٦٧٩ .
(٦) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ج١ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨ .

التنبيه في الفقه الشافعي [٧] .

والى جانب اسرة ابن الاثير وابن منعة هناك اسرة اخرى كان لها شهرة واسعة بالعلوم الفقهية الشافعية منهم : كمال الدين محمد بن عبدالله الشهرزوري قاضي القضاة (٤٩٢ ــ ٥٧٢ هـ) ، الذي ولي قضاء الموصل في عهد سيف الدين غازي ، ثم انتقل الى الشام والتحق بخدمة نور الدين محسود [٨] . ومنهم القاضي ابا حامد محمد بن كمال الدين الشهرزوري الذي ولي قضاء الموصل في عهد عزالدين مسعود [٩] ، وهناك أسر علمية كثيرة اشتهرت في مختلف العلوم والاداب منها اسرة ابناء هبل واسرة ابناء مهاجر واسرة النقيب [١٠] .

ومن الاعلام الذين نشأوا بالموصل القاضي بهاء الدين بن شداد (٥٣٩ ــ ٦٣٢ هـ) المؤرخ المشهور صاحب كتاب المحاسن اليوسفية في سيرة صلاح الدين الايوبي . والمبارك بن الشعار الموصلي صاحب كتاب « عقود الجمان » وهو في اثني عشر مجلدا . وابو الحسن الهروى الرحالة الشهير المتوفي سنة ٦٢١ هـ صاحب كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات . ومنازل الارض ذات الطول والعرض . والتذكرة الهروية في الحيل الحربية [١١] . وابى الدر ياقوت بن عبدالله الموصلي الكاتب الملقب امين

---

(٧) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص ٩٨ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٣ ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦ ط مصر ١٩١٨ .

(٩) نفس المصدر : وفيات الاعيان ، ج٣ ص ٣٧٩ .

(١٠) نفس المصدر : وفيات الاعيان ج٢ ص ٣٩٥ ــ ٣٩٦ ، ج١ ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧ .

(١١) ابن خلكان ج١ ص ٤٩٣ ــ ٤٩٤ ، الديوهجي : تاريخ الموصل في العهد الاتابكي (ذكر ابن خلكان ان للهروى كتابا اسمه الخطب الهروية ولم نجد ذكرا لكتاب التذكرة الهروية كما ذكر الديوهجي واكتفى ابن خلكان بالقول بان له مؤلفات اخرى) .

الدين الذي درس النحو على ابن محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي ، وكان خطه في غاية الحسن فقام بنسخ الصحاح للجوهري فكتب عدة نسخ بيعت كل نسخة بـ ١٠٠ دينار . وتوفي بالموصل سنة ٦١٨ هـ [١٢] . وابى اسحاق ابراهيم نصر بن عسكر الملقب ظهير الدين الفقيه الشافعي الموصلي [١٣] . وياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ، واحمد بن ابي بكر المعروف بابن خلكان .

وبالاضافة الى ما ذكرناه هناك كثير من العلماء الذين نبغوا بميادين العلوم المختلفة وتركوا من المؤلفات التي تزخر فيها المكتبة العربية . منهم أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري المتوفي سنة ٦٤١ هـ . وهو من علماء اللغة العربية في الموصل . ونبغ في النحو والصرف . وأخذ عنه كثيرا من علماء حلب وفقهائها [١٤] . ومنهم احمد بن الحسيني بن احمد المعروف بابن الجناز الموصلي المتوفي سنة ٦٣٧ هـ الذي وضع كتابا في النحو أسماه « النهاية في النحو » [١٥] كذلك نذكر من نحاة الموصل وأدبائها يحى بن سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفي سنة ٦١٩ هـ [١٦] .

وكان لدراسة الطب في هذه المرحلة نصيب ملحوظ . فكان الطلاب

---

(١٢) ابن خلكان : ج٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(١٣) نفس المصدر ج١ ص ١٧ .

(١٤) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ ص ٤١٩ .

(١٥) سوادي عبد محمد: امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح ـ رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي ـ جامعة بغداد ١٩٦٨

(١٦) ياقوت : معجم الادباء ج٦ ص ٢٧٩ .

يتلقون دروسه النظرية ويقومون بتمريناته العملية في البيمارستانات . حيث كان المرضى يعالجون من غير اجر [١٧] .

ومن الاطباء المشهورين في الموصل عدد كان لهم مؤلفات لها اثرها في عالم الطب . من هؤلاء عمار بن علي الموصلي الكحال المشهور . وكان له خبرة بمداواة امراض العين . وانتقل الى مصر في ايام الحاكم بأمر الله ومن مؤلفاته في الطب : « كتاب المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالادوية والحديد » [١٨] .

ثم الطبيب المشهور مهذب الدين بن هبل البغدادي والمعروف بالخلاطي ، قال عنه ابن ابي اصيبعة « كان أوحد وقته وعلامة زمانه في صناعة الطب وفي العلوم الحكمية . متميزا في صناعة الادب . وله شعر والفاظ بليغة . ومتقنا لحفظ القرآن . وكان يجلس في داره بسكة ابي نجيح بالموصل ويقصده الطلاب من كل مكان . وتوفي في الموصل في المحرم سنة ٦١٠ هـ ودفن بباب الميدان . ومن مؤلفاته كتاب « المختار في الطب » الذي الفه في سنة ٥٦٠ هـ . وكتاب « الطب الجمالي » صنفه لجمال الدين الاصفهاني الوزير الاتابكي المشهور [١٩] .

ثم كمال الدين بن يونس بن منعه الذي « كان متميزا بالطب والفلسفة

---

(١٧) محمد حلمي احمد : المجلة التاريخية المصرية المجلد ٧ ص ١٣ ١٩٥٨ م .

(١٨) ابن ابى اصيبعة : : عيون الانباء في طبقات الاطباء ج٢ ص ٨٩ طبعة مصر ١٨٨٢م .

(١٩) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء : ج١ ص ٣٠٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٦٧ .

والادب والدين »[٢٠] . وابى الحسن على بن ابي الفتح بن يحيي كمال الدين الموصلي المتوفي في سنة ٦٣٤ هـ[٢١] . والمهذب علي بن احمد بن مقيل الموصلي الذي كان «اعلم اهل زمانه بالطب وله تصنيف حسن»[٢٢].

وفي الهندسة نبغ في الموصل علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن مسافر المعروف بتعاسيف المتوفي سنة ٦٤٩ هـ . الذي يعتبر اماما في الرياضيات وعرف « بالمهندس » . وقد قام هذا العالم بعمل كرة تسمى : الكرة السماوية Celestial Globe محفوظة في متحف نابولي[٢٣] .

---

(٢٠) نفس المصدر : الجزء الاول ص ٣٠٦ ــ ٣٠٨ .
(٢١) احمد عيسى بك : معجم الاطباء ط مصر ١٣٦١ هـ ص ٢٩٨ .
(٢٢) نفس المرجع : معجم الاطباء ص ٢٩٩ .
(٢٣) سوادي : امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ص ١٥٩ .

« خاتمــــة »

يتضح لنا من هذه الدراسة أهمية أتابكية الموصل . والدور الهام الذي لعبه ملوكها على مسرح أحداث الشرق الادنى الاسلامي . ابان القرنين السادس والسابع الهجريين ، في فترة كانت من أشد فترات العالم الاسلامي تحرجا .

وقد كان للدور الذي لعبه زنكي مؤسس دولة الاتابكة في الموصل في الجهاد ضد الصليبيين . وايمانه في حتمية وحدة القوى الاسلامية لمواجهة العدوان الصليبي ، نتائج خطيرة في مجرى الاحداث بعد وفاته . فقد سار ولده نور الدين على نفس السياسة وحمل راية الجهاد ضد الصليبيين ، متعاونا مع أتابكة الموصل الذين لم يترددوا في القيام بهذا الواجب المقدس ، فاشتركت قواتهم مع قوات نور الدين في أغلب المعارك . وحضروا بأنفسهم تلك الحروب .

وبعد ظهور قوة صلاح الدين في الشام نهض أتابكة الموصل للدفاع عن استقلالهم في وجه اطماع صلاح الدين في بلاد الجزيرة والموصل ، وعلى الرغم من استيلاء صلاح الدين على القلاع والحصون في الجزيرة فانه لم يتمكن من اقتحام الموصل بفضل ما بذله حكامها من الجهود في الدفاع عنها ، وصمدت الموصل في وجه جيوش صلاح الدين في مراحل الحصار الثلاث التي حاصرت أثناءها قواته المدينة ، ولم يكن خضوع الموصل لصلاح الدين في سنة ٥٨١ هـ نتيجة لهزيمة عسكرية وانما كان ذلك ايمانا من صاحب الموصل بوجوب حسم الفتن وحقن دماء المسلمين

والتعاون على مواجهة الصليبيين . وقد ابرزنا الدور الذي قامت به جيوش الموصل في المعارك التي خاضها صلاح الدين في بلاد الشام . ومساهمة صاحب الموصل بالسلاح والاموال في تلك المعارك .

وتعتبر سنة ٦٠٧ هـ وهي السنة التي توفي فيها صاحب الموصل نور الدين ارسلان شاه الاول . نهاية نفوذ الاتابكة من خلفاء زنكي في الموصل. فقد تعاقب على حكم الدولة بعد نور الدين أبناءه القصر ، فانتقلت السلطة الفعلية الى بدر الدين لؤلؤ النائب في الموصل ، واصبح حكم الاتابكة حكما اسميا تستتر ورائه بدر الدين حتى يحين الوقت لاعلان ولايته الرسمية على الدولة . وتم له ذلك في سنة ٦٣١ هـ .

★★★

أما من الناحية الحضارية فقد أبرزنا دور الموصل في الحضارة الاسلامية تنيجة للرعاية التي اولاها اتابكتها لمختلف اوجه النشاط الحضاري علميا وعمرانيا واقتصاديا ، فاصبحت الموصل في عهدهم من امهات المدن الاسلامية ، ويكفي دليلا على تقدمها العلمي كثرة المدارس والمعاهد العلمية من رباطات ودور للحديث وغيرها ، فقصدها العلماء والادباء والكتاب والشعراء بفضل تشجيع الاتابكة لهم واغداقهم الهبات الوافرة والعطايا الكثيرة ، فنبغ في الموصل العلماء الاعلام . ونخص بالذكر منهم المؤرخ ابن الاثير واخوته مجد الدين وضياء الدين وكذلك اسرة الشهروزري وابناء هبل ، والمؤرخ العالم ابن شداد ، وياقوت الحموي ، والرحالة ابو الحسن الهروي .

★★★

اما من ناحية الفنون فقد بينا مدى مساهمة الموصل الفعالة في الارتفاع بالقيم الفنية للصناعات تحت ظل الاتابكة الذين شملوا ارباب الحرف واهل الفنون برعايتهم ، فظهرت في الموصل مدارس في التصوير ، وفي صناعة الاواني المعدنية المكفتة بالذهب والفضة ، والتي أثرت تأثيرا عميقا في تطور هذا الفن في مصر والشام في العصر المملوكي ، بالاضافة الى شهرتها في صناعة المنسوجات ، ويكفي دليلا على هذه الشهرة ان اسم الموصل ما زالت تتضمنه أرق انواع المنسوجات المسماة بالموسلين •

ومن ناحية العمران فان كثرة الآثار الباقية في المباني المدنية والحربية يعبر تعبيرا لا يقبل مجالا للشك عن تقدم الموصل في فن البناء والزخرفة من جهة ، وعن الانتعاش الاقتصادي والازدهار الصناعي الذي اصابته الموصل في ذلك العصر من جهة اخرى ، بالاضافة الى أن هذه الآثار تعكس التأثيرات السلجوقية حينا والسورية والمصرية حينا آخر ، وهي تأثيرات تعبر عن تداخل العلاقات السياسية بين الموصل وغيرها من جاراتها الدول الاسلامية •

المراجـــع

أولا ــ المصادر العربية المخطوطة

ثانيا ــ المصادر العربية المطبوعة

ثالثا ــ المراجع العربية الحديثة

رابعا ــ المراجع الاوربية الحديثة المعربة

خامسا ــ المراجع الاوربية الحديثة

أولا ـ المصادر العربية المخطوطة

(١) ابن الاثير الحلبي : (عماد الدين اسماعيل بن احمد بن الاثير الشافعي الحلبي ت ٦٩٩ هـ)
ـ عبرة اولى الابصار (مخطوط : دار الكتب المصرية رقم ٤٤٣ تاريخ)

(٢) ابن أيبك (ابي بكر عبدالله بن ايبك الدواداري ق٨هـ)
ـ كنز الدرر وجامع الغرر (مخطوط : دار الكتب المصرية رقم ٤٦٤٣ تاريخ)

(٣) العمري (محمد امين بن خيرالله العمري الموصلي)
ـ منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في سادات الموصل الحدباء (مخطوط : المتحف العراقي ببغداد رقم ١٥٦٤ تاريخ)

(٤) العيني (بدر الدين بن محمد محمود بن احمد المعروف بالعيني ت ٨٥٥ هـ)
ـ عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان (مخطوط: دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ)

(٥) ابن الفرات (ناصر الدين محمد المعروف بان الفرات الحنفى المصري ت ٨٠٧)

ـ تاريخ الدول والملـــوك (مخطوط ـ دار الكتب المصرية رقم ٣٠٩٧ تاريخ)

(٦) ابن واصل — جمال الدين بن عبدالله محمد بن سالـم بن واصل ت ٦٩٧ هـ

ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب (مخطوط: دار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩ تاريخ)

ثانيا ـ المصادر العربية المطبوعة

(٧) ابن ابي اصيبعة (احمد بن القاسم)
ـ عيون الانباء في طبقات الأطباء (طبعة مصر ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٢ م)

(٨) ابن الاثير (عز الدين علي بن ابي الكرم)
ـ الكامل في التاريخ طبعة بيروت ١٩٦٦ م

(٩) ابن الاثير ـ التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ـ (تحقيق عبد القادر طليمات القاهرة ١٩٦٣ م)

(١٠) ابن الاثير (ضيـــاء الدين)
ـ رسائل ابن الاثير تحقيـــق الدكتور سامي الدهان طبعة دمشق

(١١) الاصطخري (ابو اسحاق ابراهيم)
ـ المسالك والممالك طبعة ليدن ١٩٢٧

(١٢) الاصفهاني (ابو الفرج) طبعة وزارة الثقافة والارشـــاد القومي ـ الاغاني

(١٣) الاصفهاني (عماد الدين الكاتب)
ـ الفتح القسي في الفتح القدسي
طبعة مصر سنة ١٣٢٤ هـ

(١٤) الآلوسي (محمود شكري الآلوسي)
ــ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب

(١٥) ابن بطوطة (احمـــد)
ــ تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائـــب الاسفار (طبعة مصر ١٩٥٨)

(١٦) البكري (عبدالله)
ــ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (طبعة مصر ١٣٦٤ هـ)

(١٧) البنـــداري (الفتح بن علي) : تاريخ دولة آل سلجوق (مطبعة الموسوعات بمصر : ١٩٠٠ م)

(١٨) ابن تغرى بردى (ابو المحاسن الاتابكي)
ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب المصرية

(١٩) ابن جبير (محمد بن احمـــد)
ــ رحلة ابن جبير ــ طبعة مصر ١٩٥٥)

(٢٠) ابن الجوزي (ابو الفرج عبد الرحمن)
ــ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج١٠ طبعة حيدر اباد سنة ١٣٥٨ هـ

(٢١) حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله)
ــ كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون طبعة استانبول سنة ١٩٤٣ م

(٢٢) الحسيني (على بن الحسين)
ـ اخبار الدولة السلجوقية طبعة لاهور سنة ١٩٣٣ م

(٢٣) ابن حوقل (ابو القسم)
ـ صورة الارض ط ليدن سنة ١٩٣٨ .

(٢٤) ابن خلدون (عبد الرحمن)
ـ المقدمــة طبعة بيروت

(٢٥) ابن خلدون ـ العبــــر طبعة بيروت

(٢٦) ابن خلكان (احمـــــد)
ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ط مصر سنة ١٩٤٩

(٢٧) الذهبي (ابو عبدالله محمد بن احمد)
ـ تاريخ دول الاسلام ـ طبعة حيدر اباد ١٣٦٤هـ

(٢٨) الذهبي ـ العبر في خبر من غبر طبعة الكويت

(٢٩) الراوندي (محمد بن على بن سليمان)
ـ راحة الصدور وآية السرور
(طبعة مصر ١٩٦٠ م ١٣٧٩ هـ)

(٣٠) الرهاوي التاريـــخ السرياني
نشرة البطريرك افرام رحماني بيروت ١٩٠٠

(٣١) ابن الساعي (ابو طالب على)
ـ الجامع المختصر طبعة بغداد ١٩٣٤
تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

(٣٢) السبكي (عبد الوهـاب)
ـ طبقات الشافعية طبعة مصر ١٣٢٤ هـ

(٣٣) السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ

(٣٤) سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبي المظفر يوسف) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ج٨ طبعة الهند ١٩٥١

(٣٥) ابو شامة (عبد الرحمن)
ـ الروضتين في اخبار الدولتين القسم الاول والثاني من الجزء الاول ـ
تحقيق الدكتور محمد حلمي احمد

(٣٦) ابو شامة ـ ذيل الروضتين طبعة مصر ١٩٤٧ م

(٣٧) الشابشتي (ابو الحسن علي)
ـ الديارات طبعة بغداد سنة ١٩٥١
تحقيق الاستاذ كوركيس عواد

(٣٨) ابن شداد (بهاء الدين)
ـ سيرة صلاح الدين طبعة مصر ١٩٣٤ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال .

(٣٩) الشهرستاني (ابو الفتح محمد بن عبد الكريم)
ــ الملل والنحل : منشور بحاشية الفصل في الملل والنحل والاهواء لابن الحزم طبعة مصر سنة ١٣٢٠ هـ

(٤٠) الطبري (ابن جرير)
ــ تاريخ الامم والملوك طبعة مصر تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

(٤١) ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا)
ــ الفخري في الآداب السلطانية

(٤٢) ابن عبد الحق (صفي الدين البغدادي)
ــ مراصد الاطلاع في معرفة الامكنة والبقاع •
طبعة مصر ١٩٥٤

(٤٣) ابن العبري (ابو الفرج غريغوريوس)
ــ تاريخ مختصر الدول طبعة بيروت ١٩٥٨ المطبعة الكاثوليكية

(٤٤) ابن العديم (كمال الدين عمر)
ــ زبدة الحلب في تاريخ حلب طبعة دمشق سنة ١٩٥٤ تحقيق ــ الدكتور سامي الدهان

(٤٥) ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن العماد الحنبلي)
ــ شذرات الذهب في اخبار من ذهب •
طبعة مصر ١٣٥٠ هـ

(٤٦) العمري

(ياسين بن خيرالله الخطيب)
ـ منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء طبعة الموصل سنة ١٩٥٥ تحقيق الاستاذ سعيد الديوهجي

(٤٧) الفارقي

(ابن الازرق الفارقي)
ـ تاريخ ميافارقين
طبعة مصر ١٩٥٩ م

(٤٨) ابو الفدا

(اسماعيل)
ـ المختصر في اخبار البشر
طبعة لبنان

(٤٩) ابن الفوطي

(كمال الدين ابن الفضل عبد الرازق)
ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ـ طبعة بغداد ١٣٥٠ هـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد

(٥٠) ابن الفوطي

تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ج٤ قسم ١ـ٣
تحقيق الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥

(٥١) ابن قتيبة

(عبدالله بن مسلم)
ـ الامامة والسياسة
طبعة مصر ١٩٠٤ م

(٥٢) القزويني (زكريا بن محمد)
ـ اثار البلاد واخبار العباد . طبعة غوتنجن
سنة ١٨٤٨ م

(٥٣) ابن القلانسي (حمزة بن اسد التميمي)
ـ ذيل تاريخ دمشق
طبعة بيروت ١٩٠٨ م

(٥٤) القلقشندي (ابو العباس احمد)
ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ
طبعة دار الكتب المصرية

(٥٥) القلقشندي ـ نهاية الارب في معرفة انساب العرب

(٥٦) ابن كثير (اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي)
ـ البداية والنهاية في التاريخ .
مطبعة السعادة بالقاهرة

(٥٧) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد)
ـ الاحكام السلطانية . ط مصر ١٢٩٨ هـ

(٥٨) ابن مسكوية (احمد بن محمد)
ـ تجارب الامم
طبعة مصر ١٣٣٣ هـ

(٥٩) محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي :
مضمار الحقائق وسر الخلائق
ـ تحقيق الدكتور حسن حبشي
طبعة القاهرة ١٩٦٨

(٦٠) المقدسي — احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
طبعة ليدن ١٩٠٩ م

(٦١) المقريزي (تقي الدين احمد بن علي)
— السلوك لمعرفة دول الملوك
طبعة مصر ١٩٥٦ م

(٦٢) الهروى (ابو الحسن علي)
— الاشارات الى معرفة الزيارات
طبعة دمشق سنة ١٩٥٣ تحقيق موردیل

(٦٣) الهمذاني (ابو بكر احمد المعروف بابن الفقيه)
— مختصر كتاب البلدان
طبعة ليدن ١٨٨٥ م

(٦٤) ابن واصل (جمال الدين بن سالم)
— مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ج١.٢.٣
تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال —
طبعة مصر ١٩٥٣ و ١٩٥٧ و ١٩٦٠ م

(٦٥) ابن الوردي (زين الدين أبو حفص عمر)
— تتمة المختصر في اخبار البشر
طبعة مصر ١٢٨٥ هـ

(٦٦) ياقوت (ابي عبدالله ياقوت الحموى)
— معجم البلدان — ط بيروت ١٩٥٣م — ١٣٧٦هـ

(٦٧) ياقوت — معجم الادباء — ط مصر
تحقيق مرجليوت

ثالثا ـ المراجـــع العربية الحديثة

(٦٨) احمد (الدكتور محمد حلمي)
ـ الخلافة والدولة
طبعة مصر ١٩٥٩

(٦٩) احمـــد الحياة العلمية في مصر والشام
(المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع ١٩٥٨)

(٧٠) احمد (عيسى بك)
معجم الاطباء . طبعة مصر ١٣٦١ هـ .

(٧١) ارملة القس اسحق ـ ابناء الزمان في جثالقة المشرق
ومفارنة السريان ط بيروت ١٩٢٤

(٧٢) امـــين (الدكتور حسين)
ـ تاريخ العراق في العصر السلجوقي
طبعة بغداد ١٩٦٥

(٧٣) امـــين ـ المدرسة المستنصرية طبعة بغداد ١٩٦٠

(٧٤) الباشـــا (الدكتور حسن)
ـ الالقاب الاسلامية ط مصر ١٩٥٧

(٧٥) الباشـــا ـ التصوير الاسلامي في العصور الوسطى
ط القاهرة ١٩٥٩

(٧٦) جواد (الدكتور مصطفى)
ـ مجلة سومر (دور الحديث) المجلد ١٠

(٧٧) حبشي (الدكتور حسن)
ـ نور الدين والصليبيون
طبعة مصر ١٩٤٨

(٧٨) حسن (الدكتور زكي محمد)
ـ الفنون الايرانية في العصر الاسلامي
ط مصر ١٩٤٠ م

(٧٩) حسن (الدكتور حسن ابراهيم)
ـ النظم الاسلامية
ط مصر ١٩٣٩

(٨٠) حسن (الاستاذ عبد الوهاب)
ـ بيوت الله مساجد ومعاهد
(كتاب الشعب رقم ٧٥)

(٨١) حسنين (الدكتور عبد المنعم)
ـ سلاجقة ايران والعراق
ط مصر

(٨٢) الحسيني (محمد باقر)
ـ العملة الاسلامية في العهد الاتابكي
ط بغداد ١٩٦٦

(٨٣) حمدي (الاستاذ حافظ)
ـ الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي
ط مصر

(٨٤) الخضري (الشيخ محمد)
ـ تاريخ الامم الاسلامية
ط مصر

(٨٥) خليل (الاستاذ عماد الدين)
ـ عماد الدين زنكي
رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي جامعة بغداد ١٩٦٥ ٠

(٨٦) الديوهجي (الاستاذ سعيد)
ـ الموصل في العهد الاتابكي
ط بغداد ١٩٥٨

(٨٧) الديوهجي ـ جوامع الموصل في مختلف العصور
ط بغداد ١٩٦٣

(٨٨) الديوهجي ـ مدارس الموصل ـ مجلة سومر
المجلد ١٣

(٨٩) الديوهجي ـ قلعة الموصل ـ مجلة سومر
المجلد ١٠

(٩٠) زكي (الدكتور عبد الرحمن)
ـ السلاح في الاسلام
ط مصر ١٩٥١

(٩١) زيادة (الدكتور نيقولا)
ـ مدن عربيـــة
ط بيروت ١٩٦٥

(٩٢) سالم (الدكتور السيد عبد العزيز)
ـ طرابلس الشام في العصر الاسلامي
ط مصر ١٩٦٧

(٩٣) سالـم ـ التاريخ والمؤرخون العرب
ط مصر ١٩٦٥

(٩٤) سالـــم ـ المغرب الكبير
ج٢ ط مصر ١٩٦٦

(٩٥) سالـــم ـ التخطيط ومظاهر العمـــران في العصور الاسلامية الوسطى
ـ المجلة ـ عدد ٩ سنة ١٩٥٧

(٩٦) سوادي (السيد سوادي عبد محمد)
ـ امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي جامعة بغـداد سنة ١٩٦٨ .

(٩٧) الشيال (الدكتور جمال الدين)
ـ تاريخ مصر الاسلامية
ط مصر ١٩٦٧

(٩٨) الصايغ (القس سليمان)
ـ تاريخ الموصل ج١
ط مصر ١٩٢٣

(٩٩) الصياد (دكتور فؤاد عبد المعطى)
ـ المغول في التاريخ
ط مصر

(١٠٠) طليمات (الدكتور عبد القادر)
ـ مظفر الدين كوكبوري
(سلسلة اعلام العرب)

(١٠١) طليمات ـ المؤرخ ابن الاثير
رسالة دكتوراه جامعة عين شمس ١٩٦٧

(١٠٢) عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح)
ـ الحروب الصليبية الجزء ١و٢
ط مصر ١٩٦٣

(١٠٣) عاشور ـ صلاح الدين الايوبي
ط مصر ١٩٦٥

(١٠٤) العريني (الدكتور الباز العريني)
ـ الشرق الاوسط والحروب الصليبية
ج١ ط مصر ١٩٦٣

(١٠٥) العريني ـ الايوبيون
ط بيروت ١٩٦٧

(١٠٦) العريني ـ مؤرخوا الحروب الصليبية
ط مصر ١٩٦٢

(١٠٧) عـواد (الاستاذ كوركيس عواد)
ـ الموصل ـ ط بغداد ١٩٥٩

(١٠٨) ماجـــد (الدكتور عبد المنعم)
ـ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى
ط مصر ١٩٦٣

(١٠٩) ماجـد ـ الناصر صلاح الدين
طبعة مصر ١٩٥٨

(١١٠) مرزوق (الدكتور محمد عبد العزيز)
ـ فخار العراق وخزفه في العصر الاسلامي
مجلة سومر ـ المجلد ٢٠

رابعا ــ المراجع الاوربية الحديثة المعربة

(١١١) باركر (ارنست)
ــ الحروب الصليبية ــ ترجمة الدكتور الباز العريني ــ ط مصر ١٩٦٠

(١١٢) بروكلمان (كارل)
ــ تاريخ الشعوب الاسلامية ــ ترجمة منير بعلبكي ــ ط لبنان

(١١٣) حتى (فيليب)
ــ تاريخ العرب مطول
ط بيروت ١٩٥٣

(١١٤) ديماند
ــ الفنون الاسلامية ــ
ط مصر

(١١٥) كونل (الاستاذ ارنست)
ــ الفنن الاسلامي ــ ترجمة احمد موسى
ط مصر ١٩٦١

(١١٦) لسترنج (جى)
ــ بلدان الخلافة الشرقية
ترجمة كوركيس عواد
ط بغداد ١٣٧٧ هـ

(1) Baldwin - Crusades 1. Philadelphia 1955.

(2) Cahen (claude) : Lasyrie du Nord, epoque des croisades Paris, 1940.

(3) Grousset : Histoire des Croisades, Paris, 1935.

(4) R.C. (Smail) : Crusading Warfare, Cambridge 1956.

(5) Setton (K.M.) : Ahistory of the Crusades. Pennsylvania, (2 vols) 1958.

(6) Stanely Lane-Poole : A history of Egypt in the middle ages, London 1901.

(7) Stanely Lane-Poole : Saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem, London 1914.

(8) Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the East Cambridge, 1907.

(9) Steven (Runciman) : A history of the Crusades London, Peregrinel Books, 1965.

(10) Viajes de Benjamin de Tudela, Trad. Espagnole, par Ignacio Gonzalez, Madrid, 1918.

(11) Wiet, G-L. : Egypte Arabe. Histoire de la Nation Egyptienne. IV, Paris, 1937.

(12) Wiet, G. : L'Egypte musulmane dans «precis de l'histoire d'Egypte» T. 11, Le caire 1932.

(13) Migeon (Gaston) : Manuel d'art musulman. vol. II Paris, 1907.

(14) (F. HONICGMANN): The Encyclopaedia of Islam, vol. III

(15) Persian - English Dictionary : Fstein gass PH. D. London 1930.

(١٦) سامي (ش) قاموس الاعلام (تركي)
طبعة استانبول ١٣٠٦ هـ

الصور وفهرس الموضوعات (١)

(١) اعتمدنا في اختيار الصور على المراجع التالية :

ـ الموصل في العهد الاتابكي : الاستاذ سعيد الديوه‌جي ط بغداد .

ـ الموصل ام الربيعين : الاستاذ سعيد الديوه‌جي (مديرية الاثار العامة بغداد ١٩٦٥) .

ـ مدينة الموصل: الاستاذ كوركيس عواد (مديرية الاثار العامة ١٩٥٩)

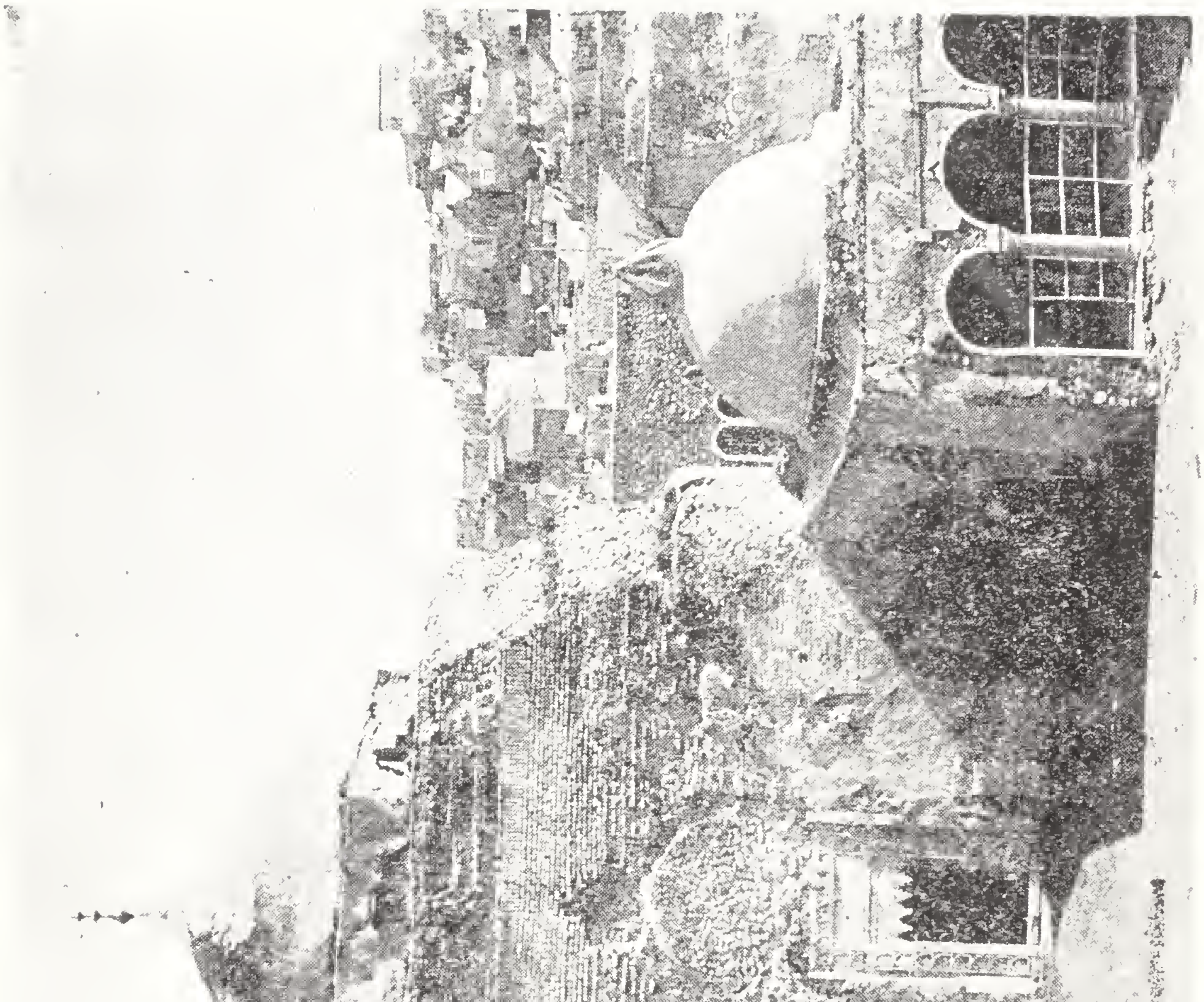

شكل — ١ — قبة المدرسة الكمالية — جامع شيخ الشط

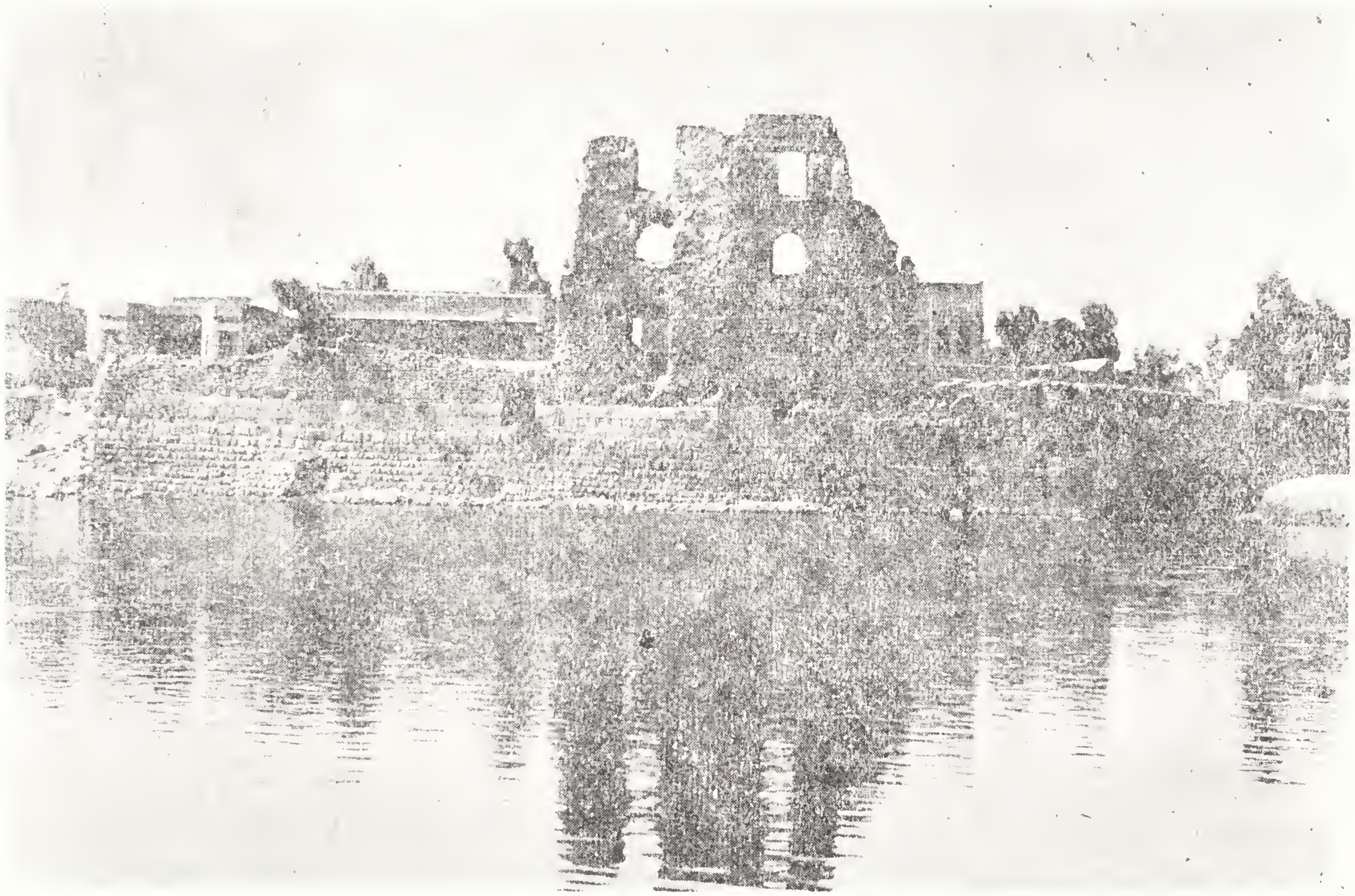

شكل ــ ٢ ــ قصر بدر الدين لؤلؤ من جهة النهر

شكل ـ ٣ ـ بقايا قصر السلطان بدر الدين لؤلؤ (قره سراي)

شكل ـ ٤ ـ (قلعة الموصل)

شكل ـ ٥ ـ الجامع الكبير ـ المحراب الداخلي

شكل ـ ٦ ـ الجامع الكبير ـ بقايا زخارف جصية في أعلى المحراب الداخلي

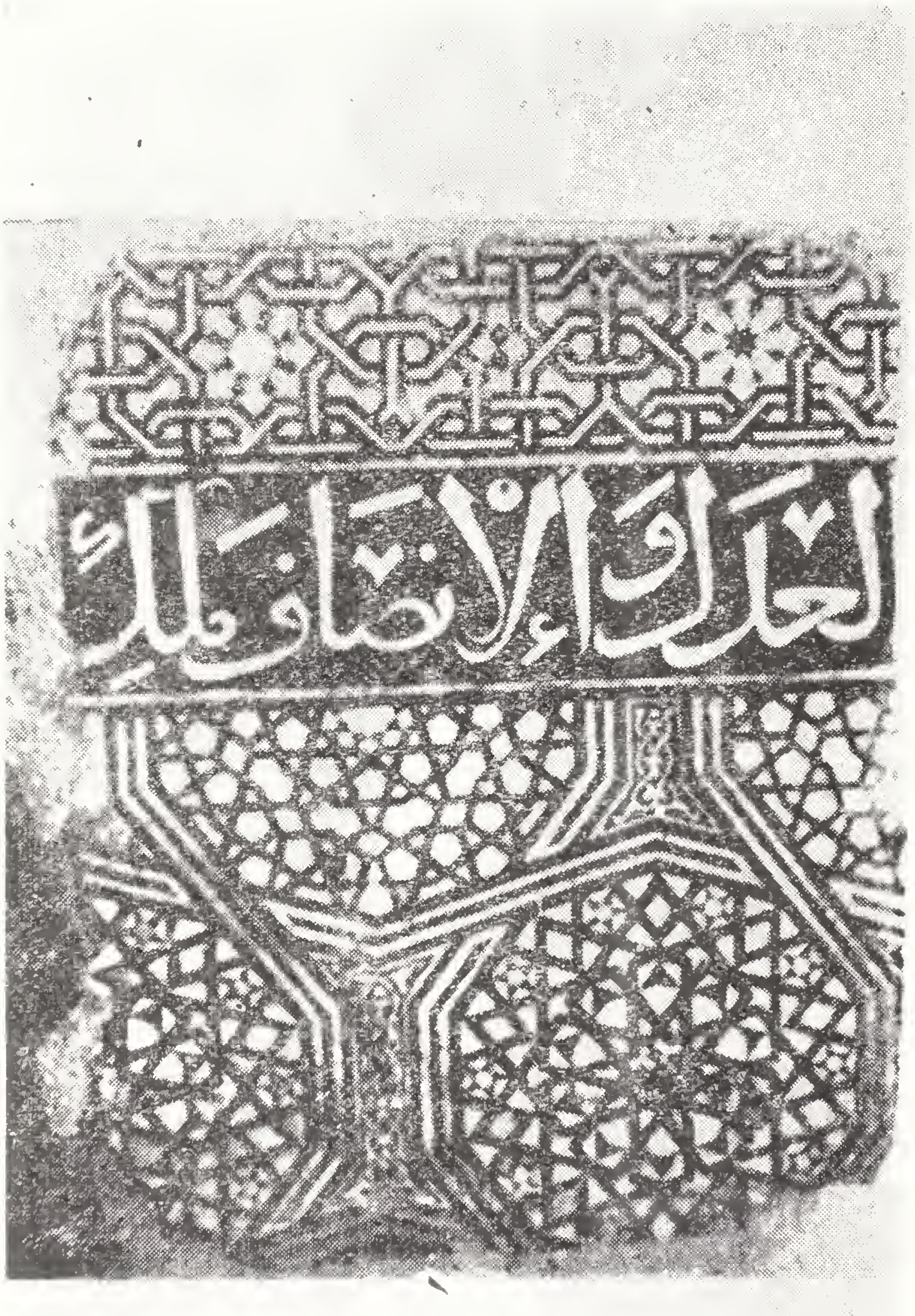

شكل ـ ٧ ـ زخارف مطعمة بالمرمر تزين المدرسة النورية في الموصل

شكل ٨ ابريق من النحاس الاصفر المطعم بالفضة صنعه شجاع
ابن منعة الموصلي سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣٢ م

شكل ـ ٩ ـ نماذج من النقوش المحفورة التي كانت تزين الابريق النحاسي

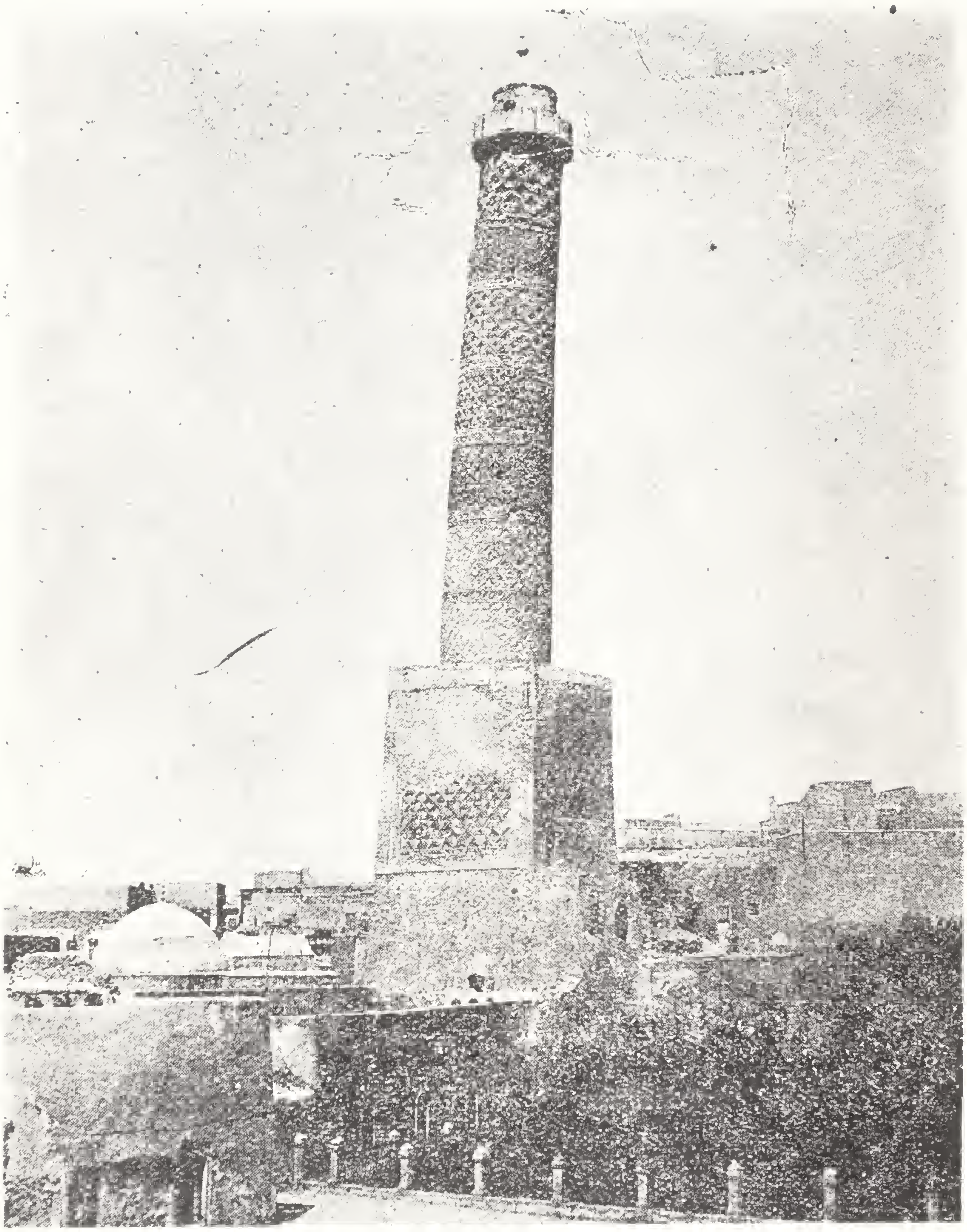

شكل ـ ١٠ ـ منارة الجامع النوري ـ الجامع الكبير

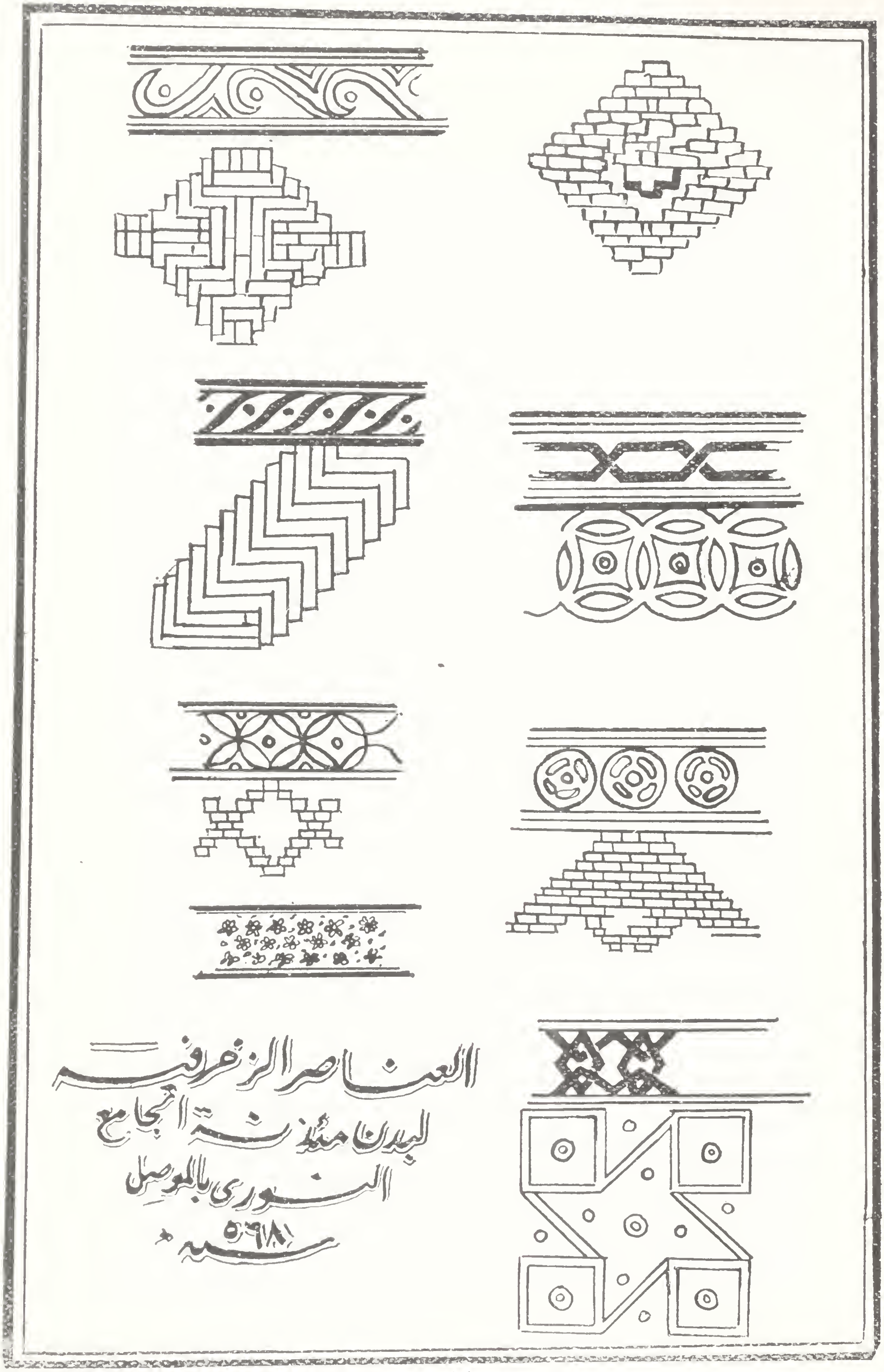
العناصر الزخرفية
لبدن مئذنة الجامع
النوري بالموصل
سنة ٥٦٨ هـ

شكل – ١١ –

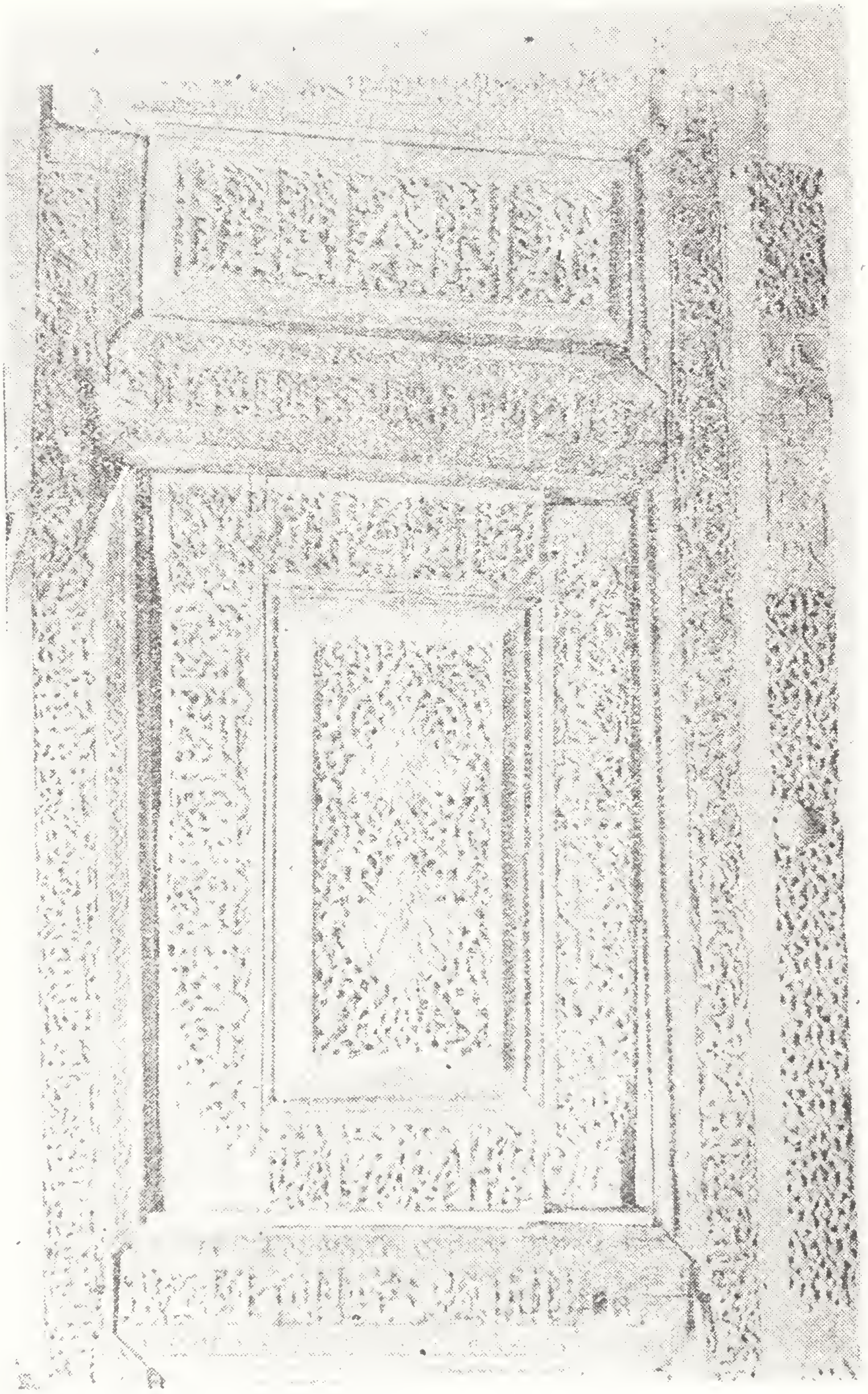

شكل – ١٢ – باب من جامع النبي جرجيس بالموصل
وتظهر زخارفة وكتاباته الكوفية

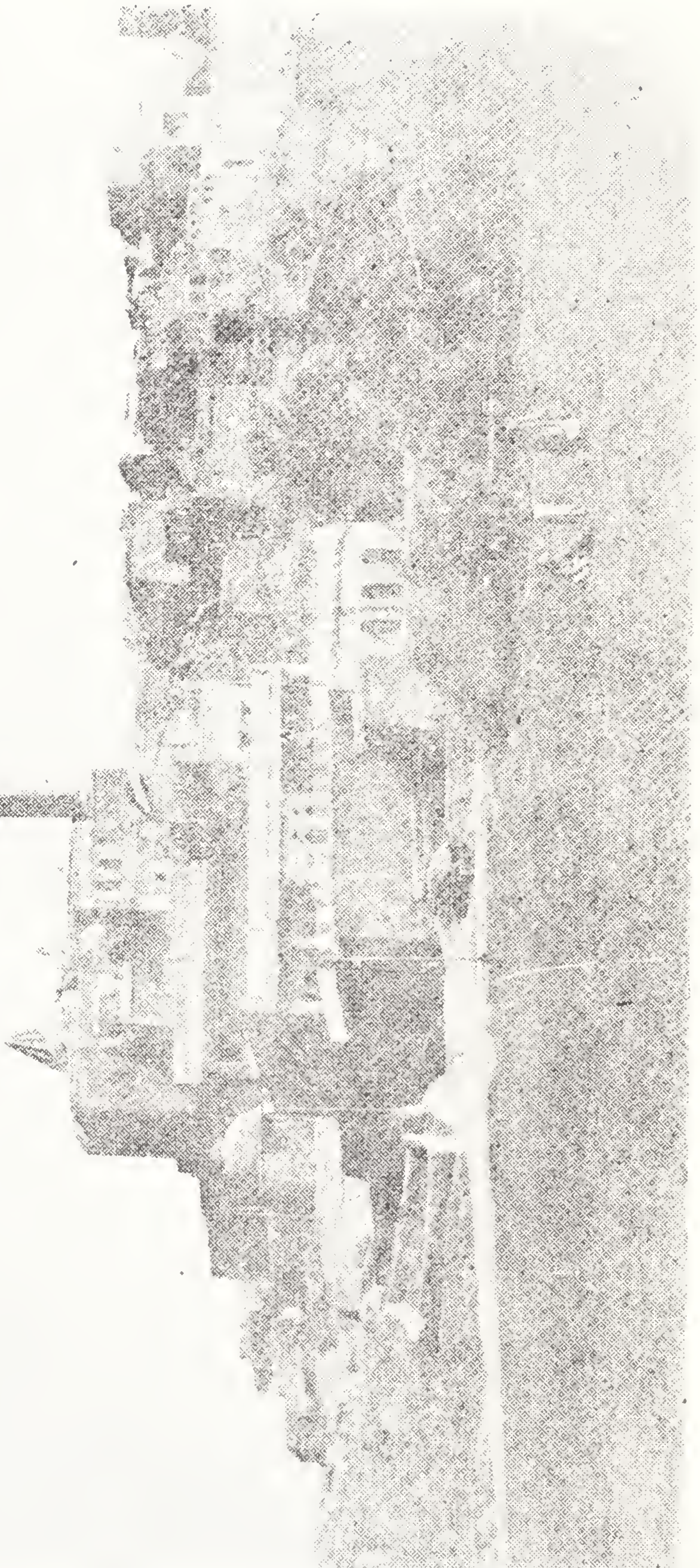

شكل ـ ١٣ ـ جامع النبي يونس

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة بقلم الاستاذ الدكتور عبد العزيز سالم	٧ ــ ٨
موضوع الرسالة	٩ ــ ٢٢
الباب الاول	٢٥ ــ ٦٣
التاريخ السياسي	
الفصل الاول	
(١) نشأة دولة الاتابكة في الموصل	
(٢) نشأة عماد الدين زنكي	
(٣) قيام دولة الاتابكة في الموصل	
(٤) انقسام الدولة الاتابكية بعد مقتل زنكي	
الفصل الثاني	
العلاقات بين اتابكية الموصل واتابكية حلب	
٥٤١ هـ ــ ٥٦٩ هـ	
(١) العلاقات في عهد سيف الدين غازي الاول	
(٥٤١ ــ ٥٤٤ هـ)	
(٢) العلاقات في عهد قطب الدين مودود	٦٥ ــ ١٠٢
(٥٤٤ ــ ٥٦٥ هـ)	
(٣) العلاقات في عهد سيف الدين غازي الثاني	
حتى وفاة نور الدين في ٥٦٩ هـ	
الفصل الثالث	
العلاقات مع الايوبيين في عهد صلاح الدين	١٠٣ ــ ١٦٦
(١) الموقف السياسي في الشام بعد وفاة نور الدين	
(٢) الموقف السياسي في الشام بعد وفاة الملك الصالح	

الموضوع	الصفحة
(٣) الصراع بين صلاح الدين عزالدين مسعود	
(٤) اشتراك عساكر الموصل في الجهاد ضد الصليبيين تحت راية صلاح الدين	
الفصل الرابع	١٦٧ — ٢١٠
(١) الصراع بين نور الدين ارسلان والملك العادل ابي بكر بن ايوب حتى صلح سنة ٥٩٧ هـ	
(٢) تجدد الصراع بين نور الدين والعادل حتى ٦٠٧ هـ	
(٣) تدخل الاشرف موسى في الصراع الداخلي في الموصل	
الفصل الخامس	
العلاقات مع سلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين	٢١١ — ٢٣٠
(١) العلاقات مع السلاطين السلاجقة :	
أ ـ ضعف الصلات السياسية بين الاتابكة وسلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان مسعود	
ب ـ حركة ألب ارسلان بن السلطان محمود بعد مصرع زنكي	
ج ـ دور اتابك الموصل (قطب الدين مودود) في القبض على السلطان سليمان شاه ومحاصرة بغداد	
د ـ دور قطب الدين مودود في عودة سليمان شاه الى السلطنة	
(٢) العلاقات مع الخلفاء العباسيين	
أ ـ حرص اتابكة الموصل على الولاء الروحي للخليفة	
ب ـ تطور العلاقات بين اتابكة الموصل والخلفاء حتى نهاية حكم اسرة زنكي في الموصل ٦٣١ هـ .	
الفصل السادس	٢٣٣ — ٢٦٠
نظم الحكم والحضارة في اتابكية الموصل	

الموضوع	الصفحة
(١) نظام الحكم في دولة اتابكة الموصل	
أ ــ الاتابك	
ب ــ نائب الاتابك أو دزدار القلعة	
ج ــ الوزير	
د ــ الحاجب	
(٢) النظام القضائي	
قاضي القضاة وقضاة الاقاليم	
(٣) النظام المالي	
أ ــ ديوان المال	
ب ــ العملات	
(٤) النظام الحربي	
أ ــ الجيش وتقسيماته	
ب ــ البريد	
الفصل السابع	٢٦١ ــ ٢٩٤
(١) تخطيط المدينة	
أ ــ الارباض	
ب ــ المحلات	
ج ــ الاحياء	
د ــ الميدان	
هـ ــ دور المملكة	
و ــ الشوارع	
(٢) المنشآت	
أ ــ المساجد	

الموضوع	الصفحة
ب ــ الربط ودور الحديث	
ج ــ القلاع والاسوار	
(٣) الحياة الاجتماعية في الموصل	
أ ــ طبقات السكان	
ب ــ الطوائف الدينية	
ج ــ مظاهر الاحتفالات	
الفصل الثامن	٢٩٥ ــ ٣١٠
الحياة الاقتصادية في الموصل	
(١) الزراعــــة	
(٢) التجارة	
(٣) الفنون والصناعات	
الفصل التاسع	٣١١ ــ ٣٢٥
الحركة العلمية في الموصل	
(١) المؤسسات العلمية	
المدارس ــ الرباطات ــ دور الحديث	
(٢) شيوخ العصر الاتابكي	
الخاتمة	٣٢٧ ــ ٣٢٩
المراجـــع	٣٣٠ ــ ٣٤٩
الصور وفهرس الموضوعات	٣٥١ ــ ٣٧٧
مقدمة باللغة الانجليزية	٣٨٢ ــ ٣٨٨

made. In the field of agriculture, I explained the Atabeks' efforts to irrigation system and to improve the methods of agriculture which resulted in the flourishing and increase of the crops at that time.

With regard to commerce, I have explained that the flourishing of agriculture led to the development of the commercial activities in Mosul to dispose the agricultural and industrial products. I have also stated that the excellent situation of Mosul and its control over the caravan routes had the greatest effect to nourish the commrecial activities in the city.

In the field of industry, I made a study about the professions and industries of which Mosul was famous, such as the textile industry, which had a universal reputation in the Middle Ages; the industry of inlaid-metallic rarities of which the artisans of Mosul were famous. Their reputation spread throughout the Muslim World. I spoke also of the industry of the porcelain rarities, the art of engraving on gypsum, wood and marble, and the art of painting which was well-known in Mosul in the Atabeks' period.

I have dedicated the Forth Chapter to a study of the scientific life in Mosul. I have dealt with the learning establishments such as schools, monastries and houses of Traditions, and the effect of these establishments on the development of the scientific life and other fields. I have also spoken of the Scholars (Sheiks) of the Atabek's period who were distinguished in the field of science and knowledge like Banu al-Athir, Banu Yunus, Banu Man's Banu al-Shahrazuri and others. Furthermore, I have referred to the revival of Mosul in the Medical field.

Rashid Al-Jumaily

Beirut — July, 1970.

I have dedicated the second part of this thesis to the study of the Civilization of Mosul in the Atabeks' period. Therefore, I divided this part into four chapters. The first chapter deals with the study of the ruling institutions and admistration in the principality of Mosul, and to what extent they resemble those of theSaljuqs. I have spoken of the Atabek and his jurisdictions and of his deputy in the fortress. I have also referred to some officials such as the Minister (Vesir), the Chamberlain (Hajib), the Supreme Judge (Qadi al-Qudat), Judges of the provinces (Qudat al-Aqalim). Moreover, I have explained the financial, military and postal (Barid) systems. The latter system was devoted to serve the military objects of the principality.

In the Second Chapter I have dealt with the planning of Mosul itself as a centre of the principality. I have showed here its outskirts, localities, quarters, squares, palaces and streets. I have also refered to its religious establishments such as mosques, monastries (Ribatat) and the houses of Traditions (Dural-Hadith); also the military establishments like walls, towers and castles which were constructed by the Atabeks or their statesmen during this period. I have stressed upon Mosul only, neglecting the other cities and places which were rarely loyal to Mosul. In addition, there is no reference in the Arabic sources to indicate that the Atabeks had constructed their establishments in these cities except Mosul. These sources provide us only with the Atabeks' care of their capital.

I have not neglected the social life. A study of the classes of the inhabitants and the religious casts in Mosul is made. Some manifestations of life such as religious ceremonies, festivals and spring feasts are stated.

In the Third Chapter, a study of economic life and the progress accomplished in Mosul in the time of the Atabeks is

and Imad ad-Din Zanki III. who believed that he had the right to rule the principality of Mosul after the death of his brother Al-Qahir. The area had witnessed a number of alliences and continuous wars between Badr ad-Din, who was assisted by Al-Ashraf Musa, and Imad ad-Din Zanki and his ally Muzaffar ad-Din KuKburi of Irbil. This conflict was ended in favour of Badr-ad-Din who terminated the rule of the last of the Zankids in 631 A.H. and declared himself as the prince of Mosul.

The Last Chapter deals with the political study, mainly the relationships, between the Atabeks and the Saljuq Sultans on the one hand, and between the Atabeks and the Abbasid Caliphs on the other. With reference to the relations with the Saljuqs. I have showed the starting decline of the political relations between the Atabeks and the Saljuq Sultans after the death of Mas'ud in 547 A.H. After this date the Sultan lost his influence over the Atabeks, who followed a policy which suited their own interests. The Atabeks interfered in the dispute and was which broke - out between the Saljuqs themselves. They sided with one side against the other. They intended by their intervention to achieve personal gains from the winning side, and to weaken the Saljuq Sultans and to prevent them from interfering in the principality of Mosul's affairs.

The relation with the Abbasid Caliphs was based on a spiritual allegience. The Atabeks used to acquire from the Caliph-as the successor of the Prophet - a warrant to legalize their rule before their peoples. This tradition became a necessary step to achieve power. I have mentiened the Caliph's interference to restore peace and to bring nearer the views of the Atabeks and the Ayyubids their rivals. The Caliph did not hesitate to play this role by sending his delegations to adjure the two sides to approve peace to spare the Muslim blood.

death of Nur ad-Din. This relationship lasted until Saladin's death in 589 A.H. I have also spoken of the dispute which broke-out between Saladin on one hand and As-Salih Isma'il of Aleppo and Sayf ad-Din Ghazi on the other, and after that between the first and Izz ad-Din Mas'ud of Mosul. This dispute came to an end when Saladin dominated Syria and Jazira and subdued Mosul itself to his authority in 581 A.H. Consequently, it was an ipso facto that Mosul, under the control of Saladin, took part in most of his campaigns against the Crusaders between 583 and 589 A.H.

The Forth Chapter deals with the relations between Mosul and Saladin's successors till the end of the reign of Nasir ad-Din Mahmud, the last of Zankids in Mosul. I explained the attempt of Izz ad-Din Mahmud to restore what Saladin had seiged from his principality, and to restore also what had fallen to the hands of al-Adil Abu Bakr, brother of Saladin, during the war between him and Nur ad-Din Arsilan Shah, who succeeded his father in Mosul. I have traced all the stages of the conflict between the prince of Mosul and those princes of Jazira who assisted him and the Ayyubid princes of Syria on one hand, and Al-Adil on the other, to put an end to Al-Adil's influence in Jazira, but this struggle ended with the full control of Al-Adil over the area.

I have also dealt in this chapter with the emergence of Badr ad-Din Lulu and how he dominated the principality of Mosul's affairs after the death of Nur ad-Din Arsilan in 607 A.H. when he was succeeded by his minor sons. Such state of affairs gave Badr ad-Din Lulu the opportunity to obtain power. Consequently, the successors of Nur ad-Din Arsilan did not enjoy but their name to rule; such name which Badr ad-Din utilised to play a hidden part until he had the opportunity to declare himself as the prince of Mosul.

At that time, a conflict took-place between Badr ad-Din

between his sons Sayf ad-Din Ghazi in Mosul and Jazira, and Nur ad-Din Mahmud in Aleppo and the neighbouring cities in Syria.

The Second Chapter shows the political relationships between the Atabeks of Mosul and Nur ad-Din Mahmud till his death in 569 A.H. I have explained in this chapter the important part played by Sayf ad-Din Ghazi, the Atabek of Mosul, in sharing his brother Nur ad-Din in the Jihad against the Crusaders in Syria, and how he did succeed to lift the Crusading siege of Damascus in the time of the Second Crusades.

I have also discussed in this chapter the dispute between Qutb ad-Din Muwdud, who succeeded his brother in Mosul, and his brother Nur ad-Din, and their agreement upon foreaking their contest to co-operate in Jihad which was their mutual object. I have also spoken of the strife between Sayf ad-Din Ghazi ibn Qutb ad-Din Mawdud and his brother Imad ad-Din Zanki II about the succession of the principality in which their uncle. Nurad-Din, intervened taking the side of Zanki II. I have showed here how Nur ad-Din's interference ended with the capture of Mosul in 566 A.H., and how he did impose his influence over it. Consequently, the actual authority was transfered to Nur ad-Din's deputy.

Nevertheless, this situation was changed after the death of Nur ad-Din in 569 A.H. when Sayf ad-Din Ghazi was able to restore his dominions in Jazira which had fallen to the hands of Nur ad-Din. In the mean time, he was interested in keeping good relations between him and his cousin As-Salih Isma'il.

I designated the Third Chapter to a study of the relationship between Mosul and Saladin from the very beginning of his intention to annex Syria to his dominions after the

sades in Syria. But those historians did not give his the successors the same attention which they had given to the time of Zanki, there fore they only dealt with everythingconnected with the period of Nur-ad-Din and Saladin who continued the same policy of Zanki against the Crusaders.

For this reason. I intended to select this period as a subject of this study. I have adopted a new method in dealing with this subject by starting the history of the Atabeks throughout my study of their political relationships with the neighbouring Islamic powers. Some chapters of my historical study are concerned with the relations between Mosul and Aleppo and Damascus in the period of Nur ad-Din, and its relations with Cairo and Damascus in the time of Saladin and his successors. I have also mentioned its relations with the Saljuqs and the Abbasid Caliphs in Baghdad without neglecting, however, the role of Mosul in the Jihad and also the part it played in the cultural field in the Atabeks' period.

My thesis is divided into two principal parts. This first part deals with the political history of the Atabeks represented in their relations with their Muslim neighbours. This part starts with a chapter including a study of the creation of the Atabek's dynasty, their origin in Mosul and the relation of Qasim ad-Dawla Aqsunqur, father of Imad ad-Din, with the Saljuq Sultons, and his distinguished place which he enjoyed in the Saljuq State. I have also studied the career of Imad ad-Din Zanki till the rise of the Atabek's dynasty in Mosul in 521 A.H., following the stages of his struggle and his efforts to consolidate his dynasty and to unite the Islamic front.

The chapter shows his struggle against the Crusaders which was crowned by the reconquest of the Country of Edessa; it ends with the division of the Atabek's dynasty after the assassination of Zanki in the Castle of Ja'bar in 541 A.H.

THE ATABEK'S DYNASTY IN MOSUL
AFTER IMAD AD-DIN ZANKI

In the 6th and 7th centuries A.H., the Islamic Near-East witnessed one of the most critical periods of its history. It was exposed to a vast crusading aggression which led to the creation of four Latin States in the midst of this area. This aggression was hastened by diverse causes. These causes were the Saljuqs' decline, the incapacity of the Abbasid Caliphate in Baghdad. the dissolution of the Fatimid Caliphate in Egypt and Syria and the struggle between the Islamic powers in this area. Accordingly, a strong Islamic personality should appear on the scene of events to take the leadership and work for the unity of these dispersed Islamic powers. This was a necessary step to wage the Holy War (Jihad) against the Crusaders and to eliminate the consequences of aggression .

This demonstrates the important role which was played by the Atabek's dynasty in Mosul in this critical period to consolidate the unity of the Islamic states and to resist the crusading movement. Amongst the Atabeks, such individualities emerged, who were able to unite Muslims in Iraq and Syria. It was an essential step before facing the crusaders. We can see also that some of the Atabeks took a principal part in the joint Holy War (Jihad).

This subject of the Atabek's dynastry of Mosul after Imad ad-Din Zanki has not yet received a proper attention from historians despite that the period of Zanki himself was a favourable subject to them and they dealt with it in some of their important works. This was due to the fact that Zanki was the real hero of the Holy War (Jihad) against the Cru-

Rashid - Al Jumaily
Baghdad - University

The Atabek's Dynasty In Mosul After Imad Al - Din Zanki

(541. A. H - 631. A. H)

Published With the contribution

Of the Baghdad University

1970

DAR AL - NAHDAH
AL - ARABIYAH
Beirut - Liban

Estelle Whelan

مطابع منيمنة الحديثة
بيروت - لبنان
تلفون: ٢٣١٧١٥

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

دولة الاتابكة في الموصل

History: Cities
Beth Mardutho Library

رشيد الجميلي

كلية الاداب - جامعة بغداد

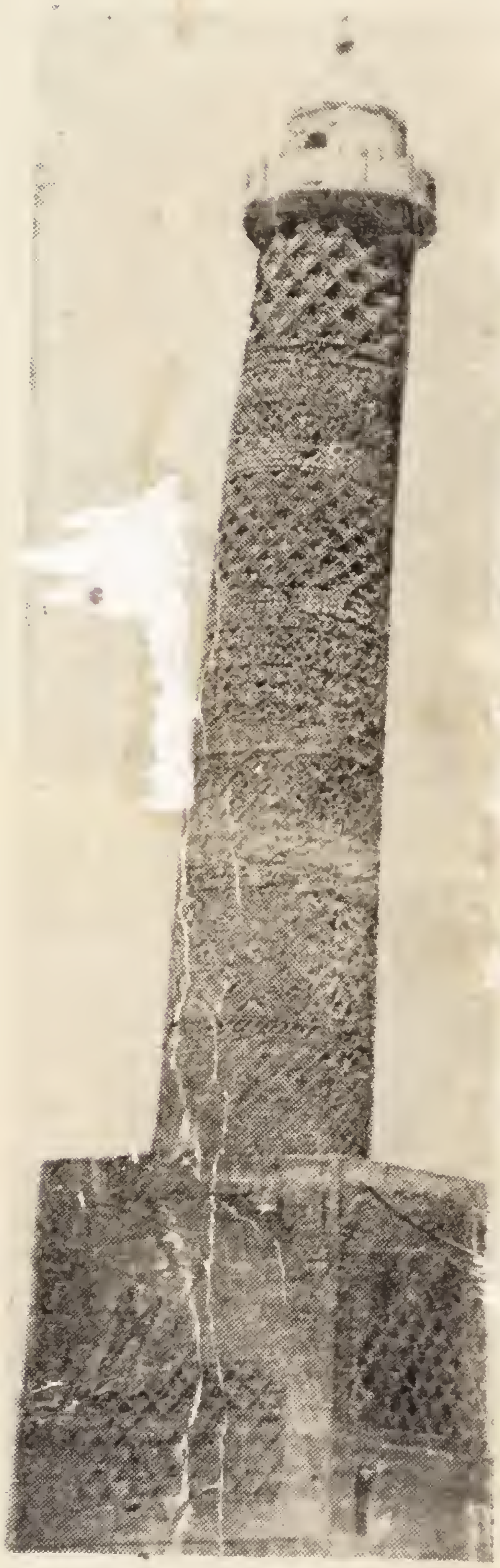

دولة الأتابكة في الموصل

بعد عماد الدّين زنكي

٥٤١ هـ — ٦٣١ هـ

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الطبعة الاولى

١٩٧٠

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت - ص.ب ٧٤٩